فتحى رضوان
يروى لـ
ضياء الدين بيبرس

أسرار حكومة يوليو

مع دراسة شاملة بعنوان

هوامش على لعبة المذكرات السياسية

بقلم :
ضياء الدين بيبرس

الناشر : مكتبة مدبولى - القاهرة

مطبعة المعرفة

الى أنور السادات

الرجل الذى عقد العزم • مهما كانت النتيجة •
على الا يضار صاحب رأى ، ولا يصادر • مهما كان هذا الرأى ••

أحييك يا سيدى • وأنتظر منك المزيد •

((ضياء))

■ الصور التاريخية :
عدسة الفنان حسين الرملى

■ الخطوط والغلاف :
للفنان الغمرى عقل

هوامش على لعبة المذكرات السياسية

● مقدمة بقلم : ضياء الدين بيبرس ●

— ١ —

شرخ رنين التليفون المتواصـل قلب الليل ٠٠ ورفعت السـاعة متوجسا ٠٠ فما تعود التليفون قط أن يحمل الى أذنى أخبارا سعيدة حين يرن فى مخدعى قبل الفجر ٠٠٠

كان المتحدث على الطرف الآخر سيدة .. يمكن جدا أن يتورط القلم فى اسباغ صفات المهابة والاجلال عليها ٠٠ من باب المجاملة ٠٠ أو من باب الانبهار ٠٠ وكانت تلك السيدة قرينة شخصية كبيرة ممن اقتربوا من ذروة السلطة وصنع القرار فى أعوام صعود ثورة ٢٣ يوليو وتحولها من ثورة الى سلطة ٠

أدهشـــنى هذا الاتصـــال التليفونى الليلى بقدر ما أزعجنى .. ثم رجحت كفة الازعاج لما سمعتها تطلب الى الا أنشر حلقات مذكرات زوجها التى لم يكن قد مضى على موافقته على نشرها الا أقل من عشر ساعات .. وأستطردت السيدة قائلة ان هذه الحلقات تحتاج الى مراجعة جديدة على الرغم من اننا راجعناها ثلاث أو أربع مرات،(وكانت أخر مرة من ساعات) وتلقيت من صاحب المذكرات بعد تلك المراجعة الأخيرة ـ فى حضور زوجته وبمشاركة منها فى بعض الأحيان ـ الثناء المستطاب بلا حساب على اسلوبى فى العرض ، ودقتى فى السرد ، وعلى .. وعلى .. مما يتحرج القلم فى ترديده هنا أو التوسع فيه أو الاشارة اليه ! .

على أية حـــال ، لم يــكن بد مما ليس منه بد ، على الأقل من باب احترام حقوق هذا النوع من الشخصيات العامة فى أن يراجعوا أنفسهم ، ولو أدت المراجعة الى التراجع ! .

وفعلا ذهبت فى صباح نفس اليوم الى قصر الوزير الخطير السابق الذى كان يسكن قبل الثورة فى شقة ايجارها ثلاثة جنيهات شهريا بضاحية من ضواحى القاهرة ، فانتقل بقدرة قادر بعد شهور من توليه الوزارة الى هذا القصر الشامخ .. ورأيت نفسى أفتح ملف المذكرات من جديد . وأقرأ الحلقات التى ســبقت قراءتها كلمة كلمة ، والموافقة عليها حرفا بحرف ، والتى كيل لها المديح بغير حساب ..

وفوجئت بأن زوجة الوزير الخطير السابق تمسك بزمام الحديث بينما جلست أنا وهو صامتين كان على رؤوسنا الطير .. واذا بها تطلب حذف

كل ما جاء بالمذكرات عن أسرار علاقة الثورة بالاخوان المسلمين !! •

وسألتها وقد تذرعت بابتسامة يلين لها قلب الحديد : لماذا ياست هانم ! •

هى ــ لأن موقف الحكومة من الاخوان لم تتضح معالمه بعد •••

أنا ــ ولكن نظام السادات أخرج كل سجناء الاخوان من المعتقلات •• وسمح لكتب الشهيد سيد قطب بالتداول •• ولم يعد ذكر الاخوان من المحرمات •

هى ــ وهذا هو بالضبط سبب « اصرارنا » على حذف سيرة الاخوان •• ان الوقت لا يسمح بالمجازفة بمدحهم •• فقد ترجع الحكومة فى كلامها •• ولا بانتقادهم •• فقد تبعث قوتهم من جديد •

وبدأت فى صمت حزين أشطب عدة صفحات من المذكرات •• واذا بها تلاحقنى قائلة :

هى ــ وكمان أرجو أن ترفع من المذكرات كل « ماذكرناه » عن علاقة الثورة بالسودان •

أنا ــ (فى أدب شديد) ــ لماذا يا ست هانم ؟ ان ما رواه « معالى » الزوج المحترم يكشف وقائع مذهلة عن الرسالة السرية التى أرسلها عبد الرحمن المهدى باشا القطب السودانى الكبير الى الرئيس الراحل عبد الناصر •• ثم عن الأسرار التى لم تذع حتى الآن عن قصة صلاح

سالم مع السودان ابتداء من السبعة عشر مليون جنيه التى ذهب بها وعاد من غيرها ·· وكانت من أسباب انقلاب السـودانيين ــ وهم قوم ذوو كبرياء وأنفة ــ علينا ·· لغاية نتائج رقصة الحرب التى رقصها شبه عار فى جنوب السودان ·· لغاية الظروف الحقيقية التى تراكمت وأدت فى النهاية الى اخراج صلاح سالم من صورة السلطة ! ·

هى ــ يا أخ ضياء أنت تنفخ فى قربة مقطوعة ، نحن أدرى بظروفنا وبمواقع السياسة ... أحذف كل ما جاء فيه سيرة السودان لأنها مسألة حساسة وغير قابلة للنقاش ·

وبدأت أشطب صفحات كاملة جديدة ·· ولم أكن قد فرغت من هذه المذبحة حين عاجلتنى بالضربة الثالثة قائلة : أشطب أسرار اتفاق الانجليز والأمريكان فى عام ١٩٥١ على ضرورة قيام ثورة عسكرية ضد الملك فاروق·

انا ــ ودى فيها ايه كمان يا ست هانم ··

هى ــ لا نعرف بالضبط اذا كان هذا الكلام سيغضب الأمريكان ام لا ·· ولا تنس ان الوزير ــ هكذا كانت السيدة تتكلم عن زوجها طول الوقت ــ رجل سياسى ، وليس من السياسة التحرش بالأمريكان الآن ··

وسكتت لحظة ثم أردفت : لا تغضب يا أخ ضياء ·· فهناك أشياء أخرى يريد «الوزير» حذفها ·· مثل قصة الاقتراح الذى قدمه «معاليه» ذات يوم على مائدة الافطار لعبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين أيام

الوحـدة بتهجير جنـود الجيش المصرى المسرحين الى شـمال سـوريا لاستزراعها ·· كذلك أرجوك أن تحذف قصة المقابلة التى هيأها السيد محمد أحمد للوزير ،عقب اخراجه من الوزارة ، ليقابل الرئيس عبد الناصر، وكيف انتهت المقابلة بأن قال الرئيس الراحل للوزير ان المشير عبد الحكيم عامر هو السبب الحقيقى فى اخراج الوزير من الحكم ·

قلت وأنا أكبح جماح أعصابى بصعوبة : ان « الوزير » روى لى ان عبد الناصر أرسل له ، بعد انتهاء المقابلة بـ ٢٤ ساعة،سبعمائة جنيه من جيبه الخاص على سبيل النقوط لابنتكم التى كانت على وشك الزفاف ·· فهل أحذف هذه أيضا ؟

قالت : نعم · لا داعى لرواية شىء من هذا على الاطلاق · كذلك لا داعى لكتابة قصة الاشاعات التى زرعتها المخابرات وقتها ضد الوزير لتلطيخ سمعته انتقاما لصدامه مع عبد الحكيم عامر فى مداولات مجلس الوزراء ·

قلت : هل تخافون المخابرات ! ان المخابرات لم تعد تخيف الا الخونة وأعداء البلاد · ولم تعد تأخذ الأبرياء بالاشاعات ·· فما الذى يخيفكم من الحديث عن جهاز لم يعد زبانيته القدامى عليه موجودين فى الصورة !

قالت : أنظر الحرية التى يمارسها صلاح نصر يا أخ ضياء ثم تساءل معى : ألا يدل تحركه فى حـرية كاملة على أن له سـطوة هائلة .. وأن المخابرات الجديدة تشعر بانتساب بدرجة ما الى المخابرات القديمة ؟

قلت : أبدا ·· ان حرية السيد صلاح نصر فى الدفاع عن نفسه دليل فقط على ان السادات صادق مع نفسه ومع الناس حين يقول ان الحرية حق مباح للجميع ···

قالت السيدة : اذن أنت ساذج · ولا أضيف الى هذا أكثر من أنك شخصيا موضوع تحت رقابة المخابرات ·· وقد حذرنا الصحفى فلان الفلانى ـ وذكرت اسم صحفى كبير ـ من الاتصال بك أصلا ·· والمهم أن تحذف قصة المخابرات مع زوجى ·· كذلك احذف كيف جعلت البلدية من البقعة الواقعة أمام بيتنا « مقلب زبالة » فى ثالث يوم لخروج الوزير من الوزارة ·· ولم ترفعها الا بعد أن عاد « الوزير » بعد سنين كثيرة الى منصب آخر ! ·

قلت : ياست هانم ·· وماذا سيبقى من الذكريات !

قالت : كذلك لا داعى لكتابة أى شىء يغضب الناصريين لانهم مازالوا قوة هائلة فى البلاد العربية ·· ولا تكتب أى شىء يرضى الناصريين لأن الشعب المصرى مفعم مرارة من اسلوب الحكم قبل عهد السادات ·· يعنى لا تكتب ضد عبد الناصر ولا مع عبد الناصر ··

قلت : هذا يلغى مجهودنا تماما لأن تلك المذكرات تحاول أن تروى شهادة رجل اقترب من عبد الناصر كثيرا فى حقبة هامة وفاصلة من حياة ثورة ٢٣ يوليو ··

قالت : وماذا فى هذا ؟ ·· بصراحة « نحن » نفضل لو ألغيت

مشروع هذه المذكرات أصلا ·· « فالوزير » لم تنته حياته السياسية ·· وليس من المفروض أن يكتب السياسى ذكرياته مادام لم يفقد امكانية أن يعود الى صورة الحياة السياسية ·

قلت محاولا ألا تفصح أسارير وجهى عن مشاعرى التى امتزج فيها الذعر بالحزن وبالاحتقار : ولكن « الوزير » كان أصلا صاحب فكرة أن أكتب مذكراته ·· وهو الذى اتصل بى واقترح على أن أكون لسانه وقلمه · وهذا نظام معروف فى أوروبا وأمريكا · وقد راجع ما صنعته على لسانه كلمة كلمة · وقد أنفقت شهرين فى هذا العمل ··

قالت ، وكأنما تتأمل وجهة نظرى من علو شاهق : ايه يعنى شهرين من حياتك فى مقابل مستقبل « الوزير » ·

وتحولت الى « الوزير » الخطير السابق صامتا وكأننى أستغيث به · وأشهد ان الرجل كان ولا يزال به شىء من الحياء ·· على الرغم من انه يتحول الى قط سيامى وديع فى حضور زوجته ·· فاذا بشخصيته المهيبة التى يعرفها الناس عنه ويعرفه الناس بها ويتعرف عليه الناس من خلالها ·· اذا بهذه الشخصية وكأنها قناع يتقمصه فوق مسرح الحياة العامة · فاذا ماذهب الى بيته خلع قناعه مثلما يخلع ملابسه ···

وتململ الوزير الخطير السابق تحت وطأة نظراتى .. واقترح،بدافع من حيائه ، أن نقسم البلد بلدين ، فنحذف بعض ما طلبت السيدة قرينته حذفه · ونبقى الجانب الآخر ، مع اثرائه بمزيد من الذكريات التى لا يتسبب نشرها فى احراج أو وجع دماغ ··

وفعلا بدأنا عملية « ترقيع » واسعة النطاق كانت أشق بكثير من عملية صياغة المذكرات الأصلية . واضطررت - باسلوب المقامر الذى يتورط فى مزيد من بعثرة المال على مائدة القمار على أمل أن يعوض خسارته - أقول اضطررت الى أن أضيع أسابيع جديدة فى التردد على منزل الوزير السابق الخطير ، لاجراء عملية « الترقيع » المشار اليها .. وكانت السيدة الفاضلة زوجة « الوزير » تجلس فى أثناء حوارى مع زوجها صامتة لا تتكلم .. ترمقنى بعينى صقر وعلى شفتيها ابتسامة باردة غامضة .

وكنا قد اتفقنا على أن نقرأ الصياغة الجديدة للمذكرات بعد الحذف والاضافة حلقة حلقة .. فما يكاد « الوزير » يسمع الحلقة حتى يهلل لها ويكبر ، ويصوغ من روائع الكلام قلائد مدح يطوق بها عنقى ، فلا أكتفى بذلك ، وانما أتحول الى السيدة الجليلة قرينته أسألها رأيها ، فتجيبنى بايماءة موافقة من رأسها .. فلا أكتفى بهذه الايماءة وانما ألاحقها بمزيج من المداهنة والأصرار حتى نسمع منها وبصوتها ، الموافقة الصريحة وان جاءت من خلال أسنان مطبقة ، وشفاه مرتجفة ، وأنفاس لاهثة .

وأتنفس الصعداء ، وأهرول الى بيتى سعيدا بما أنجزت ، وأنام قرير العين حتى يوقظنى رنين التليفون بعد نصف الليل - ودائما بعد نصف الليل ! .. وما أكاد أرفع السماعة حتى يتناهى الى صوتها المعدنى يسألنى عن الصحة ، وعن المدام ، وعن الأولاد ثم تقول لى فى هدوء صاعق : يا أخ ضياء .. الحلقة التى راجعناها اليوم نريد أن تحذف منها كذا وكذا حتى لا تغضب الجهة الفلانية أو يتضايق علان بن ترتان ..

كذلك نريد أن تضيف كذا وكذا حتى نسترضى الجهة الفلانية ويرتاح من جهتنا بال مش عارف مين ابن مين !

وأذهب من جديد فى الصباح واجف القلب بعد سهرة انكب فيها حتى الفجر فى انجاز التعديلات المطلوبة ·· واقرؤها على عجل على الزوجة بحضور « الوزير » الخطير ·· وما أكاد أنتهى من القراءة حتى أتحول الى « الست هانم » أسألها عن رأيها فتقول لى : لماذا تسألنى ؟ اسأل الوزير ·· فهو الذى يقرر وهو الذى ينقض وهو الذى يأمر وهو الذى ينهى !

ويطرق الوزير الخطير الى الأرض ، ويقول لى فى مزيج من ضيق مكبوت وحياء سافر : لا شلت يداك يا بنى ·· والله لولا متناقضات السياسة لما أربكناك ولما أربكنا أنفسنا الى هذا الحد ···

على هذا النحو استمررنا من جديد ، حتى فرغنا من صياغة جديدة نالت موافقة الزوجة الفاضلة وزوجها الوزير · وقلت وأنا أجمع أوراقى وأنا أتأهب للانصراف : ما ينتهى على خير يكون خير ·· وكل ما آمله من الله ومنكم بعد كل هذا الجهد الا تفاجئونى بتعديلات جديدة ·

فاذا « بالوزير » ينبرى قائلا فى صوت دبت فيه الحرارة لأول مرة منذ زمن بعيد · أعوذ بالله ، والله تكون الحكاية لعب عيال ·· وأكون أنا شيخ الأنذال ·· اذا ما اعترضنا بكلمة بعد ذلك ·· أنشر هذا الكلام على بركة الله وبرضاى وبأذنى ·· واعطنى ورقة وقلما لأعطيك تصريحا بالنشر بأى صيغة تشاء ·

قلت : يا سيدى . يكفينى منك أن نقرأ الفاتحة سويا ، وأن تقرأها معنا صاحبة العصمة زوجتك .. أما أن أستكتبك اقرارا فهذا ما تأباه على مكانتك عندى ، وقيمتك فى قلبى ...

قال الوزير ملحا : اسمع كلامى . ودعنى أكتب لك الاقرار .

قلت فى نوبة من نوبات « الدون كيشوتيه » : مستحيل ، تكفينى الفاتحة ... ان الفاتحة عندى أهم من كل عقود العالم ومن كل الاقرارات المدونة والمسجلة !

وقرأنا الفاتحة .

وقلت : الآن ألبى دعوتكم التى أجلتها عشرين مرة على الأقل الى الغداء ..

وكانت مفاجأة ضاحكة ، فقد اعتاد أهل البيت كثيرا فى اعقاب جاساتى مع الوزير أن يلحوا على فى المكوث لتناول الغداء ، واعتدت أن أعتذر قائلا : اننى اذا عدت الى البيت فى الساعة الرابعة بعد الظهر ـ موعد انتهاء الجلسات ـ دون أن أتناول الغداء فى بيتى فقد تشك زوجتى فى أننى قد تزوجت غيرها .. فكان الوزير وقرينته يعفيانى من الغداء حرصا على سعادتى الزوجية .. أما فى ذلك اليوم المشهود ـ يوم الاقرار النهائى للصيغة الثالثة أو الرابعة للمذكرات ـ فقد فاجأتهما بدعوة نفسى الى الغداء .

كان الغداء بسيطا ولكنه شهى وسخى .. قلقاس متقن الطهو باللحم ، ومكرونة سباجيتى باللحم ، وشوربة باللحم ، وكان عيشا وملحا

ولحما بمعنى الكلمة .. وشاركنا أولاد وبنات «الوزير» هذا العيش والملح واللحم • وأمضينا وقتا سعيدا صافيا ، وخرجت من قصر الوزير وقد غسلت هذه اللحظات البسيطة السعيدة كل ما كان بقلبى من مرارة ••• وذهبت الى مكتب للآلة الكاتبة لكى أملى للمرة الثالثة الصياغة الثالثة للمذكرات . وأمضيت عدة ساعات الى جوار الطابع ، فانني كنت لا أأتمن احدا على هذا النوع من المذكرات ••• ووصلت آخر الأمر الى بيتى قرب منتصف الليل . وكنت منهوك القوى ولكنى كنت مرتاح البال.. واذا بى أجد برقية فى انتظارى بتوقيع«الوزير»يطلب فيها الى الا انشر حرفا واحدا مما أملاه على والا فعل بى كيت وكيت وشكانى الى مش عارف مين ومين ••

لم أصدق عينى ، ورحت أنهب البرقية بعينى من جديد •• واذا برنين التليفون يشرخ كالعادة قلب الليل •• واذا بصوت الزوجة الفاضلة تسألنى من بعيد : يا أخ ضياء •• هل وصلتك البرقية ؟

قلت : نعم •••

قالت : الحمد لله •••

ثم وضعت السماعة بلا سلام أو كلام !

— ٢ —

وقد قيل ان المؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين • ومع ذلك فلا أزال آمل وأظن وأزعم أننى مؤمن صادق الايمان على الرغم من اننى ،

بعد القصة السالفة ، لدغت من جحر نفس ذلك الوزير الخطير السابق مرة ثم مرة . فقد حدث أننى نذرت للرحمن صوما عن الكلام فيما حدث لى ومعى وبى على يد هذا الوزير وزوجته . ورفضت ، حتى بينى وبين نفسى ، أن أفكر بصوت عال أو هامس أو هاجس فى حقوقى المنهوبة ووقتى الضائع وأعصابى التى تمزقت بين الرجوع والمراجعة والتراجع والرجعة . وظللت بعض الوقت أسير دهشة يستعبدها الذعر لمجرد التفكير فى ان من الممكن أن رجلا كهذا كان له فى وجدانى شىء من المهابة يمكن أن يتنكر بهذه البساطة لكلمة شرف توثقها وتعززها وتباركها قراءة فاتحة الكتاب . وبدأ عقلى يفكر من جديد فى المعلومات والأسرار التى أدلى بها الى هذا الرجل . ورحت افنطها وأعيد ترتيبها من جديد فى عملية «مونتاج» ذهنية بأسلوب يقف فى منتصف المسافة بين خيال كاتب الدراما وبين قواعد المنهج الديكارتى فى اعادة تركيب الحقائق بعد تحليلها الى عناصرها الأولية ...

واذا بى أصل الى استنتاجات مفزعة فى اطار نفس المعلومات التى رواها لى ذلك الرجل بعد ترتيبها الجديد . فقد كان بتلك المعلومات هنا وهناك ارهاصات تشير الى أن هذا الوزير (قبل أن يكون وزيرا) كان من الموهوبين العظام الذين ترصدهم أوكار المخابرات العالمية العاتية وتسيطر عليهم من خلال نزوات تمس شرف الانسان واعتباره ... ثم تدفع بهم الى أعلى حتى يقتربوا من مراكز صنع القرار ، فينقلوا أخبارها ويؤثروا فيها ويساهموا فى صياغة فكرها .. وفى نفس الوقت فان تلك القوى الجهنمية العاتية تدس فى يد الحاكم الذى سبق لها أن زجت بين أعوانه بهؤلاء الموهوبين الملوثين ... أقول تدس فى يده أسرار هؤلاء الموهوبين، ومواطن ضعفهم ، حتى يغالى الى الثقة بهم ، ويسرف فى الارتكان اليهم ،

مطمئنا الى سيطرته عليهم من خلال البقع السوداء التى تشوه ملفاتهم ٠٠٠ والحاكم عادة يفضل أن يستعين بالموهوب الملوث على الموهوب النظيف لان الأخير قد يسبب له الصداع اذا أحب أن يناقش أو يعترض أو يستقيل ٠٠

فى اطار قاعدة « الموهوب الملوث » ، اذن ، وصل الوزير الخطير الى صورة السلطة فى عهد الرئيس الراحل عبد الناصر ٠ الى أن ضبطت الأجهزة للوزير تسجيلات بصوته مع بعض أعضاء البعث السورى ينتقد عبد الناصر ٠ فما كان من الرئيس الراحل الا أن أعطى النور الأخضر لضبط ذلك الوزير متلبسا بتلك النزوة المشينة التى عرفت عنه ٠٠ واقتيد الرجل بهذه الحالة الى بيت عبد الناصر حيث ارتمى على أقدامه قائلا : ان الله غفور رحيم ياسيادة الرئيس ٠٠ فاذا بعبد الناصر يقول له فى صوت بارد : انهض يافلان ٠٠ اننا لا نؤاخذك بهذا الذى ضبطناك به ٠٠ ولكننا نؤاخذك بهذا الذى سجلناه عليك !

ثم ان الرئيس أمر بادارة التسجيلات التى تحوى محاورات الوزير مع بعض رجال البعث ٠٠٠ واستطرد بعد أن انتهت المحاورات قائلا يخاطب الوزير : مادام بيتك يافلان من زجاج ٠٠٠ فلماذا ترمينى بالحجارة وأنا الذى رقيتك من درجة شحاذ الى درجة وزير !

على هذا النحو مضت استنتاجاتى فعذرت الرجل واستراحت نفسى ٠٠٠ قلت لنفسى : لعل زوجته التى وقفت الى جواره فى ابان تلك

المحنة أمام الرئيس أصبحت تسيطر عليه بعد أن كسرت عينه ••• أو لعل الرجل راجع نفسه هو وزوجته فخافا ان تذكر مذكراته الناس بالفضيحة القديمة فقررا أن يسدا الباب الذى تجىء منه الريح •• أو لعلهما أدركا ان القارىء الذكى يمكن أن يقرأ مابين السطور فيستنتج مثلما استنتج كاتب هذه السطور ••• على أية حال ـ استطردت مناجيا نفسى ـ لا بأس من أن أخرج من القصة كلها بالعظة التى توحيها التجربة • وغفرت للموهوب الملوث ما فعله • وأضفت ما حصلت عليه من مذكراته ـ بصورها الثلاث ـ الى رصيدى من المعلومات والأسرار ••

ولكن حدث أن ألمت بالرجل محنة معينة لا أريد أن أشير اليها هنا لاننى حريص على ألا يتعرف عليه الناس من خلال تلك السطور ••• فاذا به يبادر الى الاتصال بى قائلا : ان الله يأمرنا بأن نتقى دعوة المظلوم •• فهل دعوت على ؟ قلت له صادقا : لا ••• قال : اذن فأدع لى • قلت : أسأل الله أن يسامحك ••• قال : ويشفينى ••• قلت : ويشفيك • قال : اذن تعال نقرأ صياغتك لمذكراتى قراءة رابعة وأخيرة ••• فان خيالك ألم بى فى ذروة محنتى وكأنه يعتب على ••• ولست أريد أن ألقى ربى الا اذا أصلحت أمرى معك •

وذهبت اليه •• وقرأنا صياغتى لمذكراته قراءة رابعة كانت فى واقعها قراءة صورية ارضاء لمزاج « الست هانم » التى جلست تتربص بكلمة هنا وتترصد لجملة هناك • وكانت نظراتها الى تعذبنى وأنا أقرأ وأجف القلب ما كدت أحفظه عن ظهر قلب • وبعد أن انتهيت من قراءة

معظم الحلقات بادرتنى قائلة : يا أخ ضياء انك تتجاهل أن وراء كل عظيم أمرأة ••• وهذه المذكرات ستظل ناقصة ما لم تسرد فى حلقة كاملة قصة دورى فى حياة الوزير • قلت لها وأنا أنحت من قلقى اكذوبة كبيرة : « سيدتى . أنت لا تستحقين حلقة فقط... انت تستحقين كتابا بأكمله » ••• هنالك انفرجت شفتاها عن ابتسامة صفراء مرصعة بأسنان كنيوب الليث ، بارزة ... واعتبرت كلامى هذا وعدا بكتاب مستقل أدبجه عنها ••• ومن جديد أجازت هى وزوجها النشر مقسمين بأغلظ الايمان انهما لن يتراجعا مهما حدث • وأمسك الزوج الوزير الخطير السابق بالقلم وقد أخذته الجلالة ليوقع على تصريح كتابى بالنشر ••• ولكننى رفضت من جديد أن أحصل على توقيعه ، وقلت له ان قراءة الفاتحة تكفى •

وقرأنا الفاتحة رقم (٢) ••• !!

ولا شك ان القراء معذورون اذا هزوا أكتافهم لروايتى عما حدث من هذين الزوجين معى بعد ذلك • ولا شك أن بعضهم سيتهمنى بالماسوكية وأن البعض الآخر سيهمسون بينهم وبين أنفسهم بما معناه بالموسوكية (أى التلذذ بتحمل العذاب) وأن البعض الآخر سيسهمون بينهم وبين انفسهم بما معناه أن ذنبى على جنبى . فالذى حدث اننى أرسلت المذكرات الى عاصمة عربية . وما كادت تعد للنشر حتى وصلت الى رئيس تحرير المجلة العربية برقية عاجلة بتوقيع الوزير الخطير يطلب تأجيل النشر لاجراء مراجعة جديدة . ومن بيروت اتصل بى رئيس التحرير ضاحكا ليقول : صاحبك الوزير طلب منى أن أسلمه الأصول قائلا ان المعلومات التى فيها ملكه .. فرفضت لأن الصياغة من انشائك أنت ..

ثم عاد صاحبك الوزير فسألنى كم يتقاضى ضياء الدين بيبرس على الحلقة الواحدة من هذه الذكريات فقلت له انها تعامل على أساس انها أحاديث صحفية هامة لأن مجهود الصحفى فيها أضخم من مجهود صاحب المذكرات على أى حال نحن فى مجلتنا لم نعد نحترم هذا الرجل .. فأغلق صفحته، وابدأ صفحة جديدة !

- ٣ -

ولكنى بطبيعة الحال لم أطو تلك الصفحة الأليمة بالسهولة التى نصحنى بها ذلك الصديق الصحفى العربى . فقد كنت، مع تسليمى بكثير من جوانب الضعف الانسانى ، كنت أظن أن هناك حدودا لانعدام الحياء ، ولكل القيم السلبية مثل الغدر والختل والنفاق .. ولهذا صممت على أواجه ذلك الوزير ولو على سبيل الفضول لأرى كيف يمكن أن يثبت عينه فى عينى بعد هذا التصرف الـ ... رباه ، ماذا أقول !

على أية حال بدأت أمارس مع ذلك الوزير السابق ويمارس معى لعبة المطاردة بالتليفون . أطلبه فيسألنى سفرجى البيت عن اسمى ، ثم يرد فى سرعة رجع الصدى أن الوزير غير موجود . فأسأل — عارفا بالجواب مقدما هذه المرة — عن السيدة الجليلة قرينة الوزير فيقال لى انها غير موجودة . ولكنى كنت واثقا طول الوقت انهما على «السماعة الأخرى» !

و « السماعة الأخرى » هى تلك السماعة التى يرفعها صاحب التليفون فى نفس الوقت الذى يرفعها فيه أهل البيت أو خدمهم ، حتى

يتعرف المطلوب على صوت طالبه أو اسمه ويقرر ما اذا كان يرد على الفور أو يشير الى الشخص الأخر بأن ينفى وجوده ٠ وكل تليفون مركب فى بيت معظم الناس المهمين وأنصاف المهمين فى مصر فضلا عن الفانيات وأنصاف الفانيات له « سماعة أخرى » ، بل انى أعرف رجلا ، كان مهما فى وقت من الأوقات ، أصبحت هوايته الجنسية ، بعد انحسار نفوذه واستكانته الى معاش الوزير ، أن يرفع « السماعة الأخرى » ويتمتع بعبارات الغزل التى يصبها بعض أصدقائه فى اذن زوجته القابعة على مرمى متر واحد منه ، دون أن يعرف الصديق المتغزل ان الزوجين يتأهبان للعبة الحب الكبرى بفضل تدفق بيانه ، وعاطفته الجياشة ، ونبرته المضطرمة ، وعباراته الساخنة ٠٠٠ وهكذا أصبحت « السماعة الأخرى » تؤدى أدوارا لم تكن فى حساب مخترعيها الذين استغنوا بها عن عبارة « الباشا فى الحمام » التى كان يضطر اليها ساسة ماقبل ١٩٥٢ ٠ فى تلك الأيام التى بلغ من رجعيتها وتخلفها ، انما لم ترتق الى تكنولوجيا « السماعة الأخرى » !!

على اننى لم أسمح للملل أو الغضب أن يردا أصابعى عن ادارة قرص تليفون الوزير السابق اياه ٠ ذلك لأن لعبة انكار نفسه كانت فى حد ذاتها تستهوينى ، لا من باب استعذاب العذاب ، ولكن من باب الايمان بأن كل مرة ينكر فيها نفسه كانت تطلعه هو على حقيقة نفسيته . وكنت قد حرصت على ألا يبدو فى صوتى المرة تلو المرة أثر الضيق أو الانفعال ، بل اننى كنت أترك له فى كل مرة رسالة شفهية تبدأ بالتحية وتنتهى بالاحترام ٠٠٠ حتى مل هو نفسه اللعبة قبل أن أملها ، وجرؤ ذات مرة على أن يرد على ٠ وجاءنى صوته ممزقا بين الخجل والتحفز ٠

وسألته عن السبب الذى جعله يطعننى فى ظهرى تلك الطعنة .. فاندفع يقول انه هو نفسه لا يعرف كيف انه يقع تحت تأثيرى كلما جلست اليه فاذا ماخلا الى نفسه ندم على أنه باح لى بكل ماروى ... ثم أعطانى محاضرة فى مقتضيات السياسة ـ ودواعيها ، ثم سألنى هل لدى ما أقوله ؟ فقلت له بالحرف الواحد : ليس لدى الا أن أدعو الله أن يتولانا جميعا ويجزينا بما نستحق .. وانتهى الحديث عند هذا الحد . وفى اليوم التالى قرأت ان خيرا ما أصاب هذا الرجل ... ففزعت الى السماء أسألها وأنا ممزق الوجدان بين الحيرة والايمان عن الحكمة فى أن تجعل الشر يزدهر وينتصر الى هذا الحد . ولولا بقية من فطرة طيبة لتخاذل الايمان فى قلبى أمام الحيرة .

ولست انكر أننى ساورتنى فى الأيام الحزينة التى أعقبت حديث التليفون الأخير أفكار بأن أنشر تحت عنوان « لعبة التكذيب » ، نفس المذكرات التى صغتها على لسان ذلك الوزير ، راويا القصة الكاملة للرواية ثم للتراجع ... ثم أعلن مقدما أن ذلك الوزير قد يكذب هذه الأسرار واذن فأنا لا أنسبها اليه وانما أرويها على انها معلومات عرفتها من مصدر لم يأذن لى بأن أنسبها اليه صراحة . وفعلا اتفقت مع دار نشر عربية على ذلك . ثم عدت فتوقفت لما سمعت بخبر مرض جديد عاود الرجل ... ولم أشأ أن أضاعف محنته بأن أفضحه .

حتى حدثت واقعة مدهشة . ذلك أننى كنت أزور عاصمة أوروبية واذا بزميل صحفى معروف يقول لى ان الوزير السابق فلان موجود فى تلك العاصمة . وانه سمع منه ــ أى من الزميل ــ بوجودى فى تلك العاصمة

وانه يحب أن يراني ، لأنه نادم على ما فعله معى . فقلت للزميل : اذا كان هذا الرجل قد سمع منك بوجودى هنا فهو يستطيع أن يعرف منك رقم تليفون فندقى . قال الزميل : هو يخشى أن ترده ردا غير كريم . قلت : لماذا لا يجرب ؟

وفعلا اتصل بى الوزير . وجاءنى على السماعة صوته مختنقا بشيء لم أدر ان كان الحياء أم كان الدموع . وقال لى انه اكتشف ان فطرتى تختلف عن فطرة الصحفيين ، وأنه يثق فى أننى لن أتردد فى زيارته وهو فى محنته . فقلت ضاحكا اننى لا أعرف تصوره لفطرة الصحفيين ولكنى أحب أن ألفت عنايته الى اننى صحفى حتى أطراف أصابعى ، وأن كثيرا من الناس قد يختلفون حولى وحول طباعى وأخلاقى وأسلوبى فى التعامل ، ولكنهم يتفقون على شيء واحد اننى صحفى قح .. ولهذا السبب — استطردت — فأنا لا أحب أن أتصور أن مفهومه عن فطرة الصحفيين يختلف عن فطرتى . أما عن زيارته فهذه مسرة لى ، ثم قلت له : أننى قادم اليك .

وذهبت الى شقته الأنيقة التى ينزل فيها فى العاصمة الأوروبية على حساب دافع الضرائب المصرى أحمل فى يمينى تورتة أناناس ، واستقبلتنى زوجته بابتسامة أكثر اتساعا من فتحة صدر فستان ابنتها . وكان هناك — أيضا — ابن الوزير وأحد مريديه وهو طالب دكتوراه ، وأخيرا فقد كان هناك أيضا ابتسامة عريضة على شفتى الوزير لم تتخل عنهما الا لحظة أن قبل رأسى وهو يقول على ملأ من الجميع : انه نادم وآسف على كل ما فعله معى ... وأنه يستغفر الله ويستغفرنى !

ولست أنسى قط نظرة الدهشة الهائلة فى عينى الزوجة المصونة والجوهرة المكنونة وهى تسمع هذا الكلام ... كما لا أنسى فحيحها وهى تقول فى غضب مكبوت يستتر نفسه بابتسامة باردة : على ايه يعنى الكلام ده يا فلان .. الأخ ضياء صحفى وأنت سياسى . ومن طبيعة مهنته ألا ينشر كل ما يسمع .. كما أن من طبيعة حياتك ألا تقول كل ما تعرف ...

وأطرق الوزير السابق بعينيه الى الأرض ، وقال : « الرجل ضيفنا يا فلانة . وقد عذبناه كثيرا » . فقالت فى صوت رنان : « أهلا به وسهلا .. أما تلك الهدية فهى فى غير مكانها فكلانا فى بلد غريب » . فقلت لها : « ياست هانم ... النبى قبل الهدية » . فراحت يدها تعبث بالستائر ، وخرجت بالصمت عن لا ونعم . فقلت دفعا للحرج أننى جئت زائرا ولم أجىء صحفيا .. وأنه خير لنا جميعا أن ننسى القصة كاملة ، واننى شخصيا سامحت الوزير فلا داعى لنبش ما دفناه سويا ...

وكلام كثير فى هذا المعنى ..

واذا بى أفاجأ بأن الوزير يقول لى : انه مصمم على أن يسمح لى هذه المرة بالافراج عما رواه لى . فقلت له : الحقيقة ان ورائى امورا كثيرة تشغلنى ، وأننى أعتذر عن بحث هذا الموضوع الآن ..

قال : اذن أنت مازلت غضبان .

قلت : أبدا يا « معالى » فلان • كل ما فى الأمر أن القصة كلها تجلب لى الارتكاريا (الحساسية) • وأفضل أن نبدأ علاقة جديدة •
قال : وهو كذلك • وعلى كل حال فقد جئت فى موعدك ، والله يعلم انني كنت أفكر فيك كثيرا حتى قبل أن أراك • ذلك أن عندى أقوالا وأسرارا هامة أريد أن ارد بها على ما ينشره فلان .. (وذكر اسم شخصية سياسية محترمة) ..

وفعلا ناولنى دفتر رسائل أزرق اسمه باللاتينية على أوراقه ، وراح يملى على أسرارا سياسية هامة ، بعضها سبق رواه لى ، وبعضها جديد تماما ، حافل بالهجوم على عبد الناصر (وأذكر انه وصف سياسة مصر الداخلية فى عهده فى حقبة الوحدة المصرية السورية بأنها كانت سياسة « مراحيض » ، ولما راجعته فى الكلمة أصر على اثباتها ونسبتها الى زميل آخر له) ••• وأدركت من جسارته هذه المرة ومن الحاحه الشديد على تجريح عبد الناصر أنه يظن أن النور الأخضر فى مصر مضاء للهجوم على الرجل • ولم أناقشه ، فأنا نفسى لست ناصريا بالمعنى الحزبى الذى يسبغ على عبد الناصر أوصاف الملائكة والقديسين ويجعل عهده خيرا كله ••• ولكننى فى نفس الوقت لست من الذين يعتبرون أن عهد عبد الناصر كان شرا ينبغى أن يشن عليه هجوم بشع يمزق ، بين ما يمزق ، شرف أمة بأسرها • ثم ان فى رأيى أن الذين أكلوا على مائدة عبد الناصر وصعدوا على حسه وربوا لحم أكتافهم من خيره واقتنوا السيارات الفاهة والشقق الخاصة المكيفة والاموال المهربة من ورائه يجب يكونوا آخر من يطعن فى عبد الناصر ••• وقد أبيح لا مثالى أن ينتقدوا نظرية « تفضيل أهل الثقة على أهل الخبرة » التى تبناها عبد الناصر

فقسمت البلد الى عسكر وحرامية وشردت الكفاءات وسوست روح الأمة وسمحت لبعض الأوغاد والجهلاء أن يضعوا أقدامهم القذرة على أعناق الأشراف ، وأن يحاصروهم من خلال لقمة العيش ... أقول قد أبيح لأمثالى أن ينتقدوا عهد عبد النـاصر انتقادا موضوعيا فيذكروا شرف نواياه وانتقاله بآمال المعذبين فى الأرض من السفح الى الذرى ، ووضعه للكرامة العربية فى خانتها الصحيحة .. ولكن عليهم أن يذكروا ذلك الى جانب نقدهم لسياسة القهر والارهاب التى حجب ظلامها جانبا من انحازاته المضيئة ... ثم اننا فى النهاية ونحن ننتقد عبد الناصر يجب أن نسأل أنفسنا : « هل نقبله كله أن نرفضه كله ... » بتعبير آخر : هل اذا كان لدينا أن نختار بين ما بعد ثورة ٢٣ يوليو بكل ما فيها من حسنات ومن سيئات ... وبين ما قبل تلك الثورة بكل ما فيها من ايجابيات وسلبيات ، فأيها نختار ؟

أنا شخصيا أختار عهد عبد الناصر رغم ما أصابنى وأصاب الكثيرين من الأكفـاء والأشراف والمثقفين على يدى جمعيـة المنتفعين بعبد الناصر وأجهزته السرية ... ورغم ما أصاب البلد من نكسات قابلة للعلاج فى المدى الطويل . وقد يكون من حقى أن أقول كل هذا بالفم المليان ... ولكن ليس من حق الذين صاغوا من أقلامهم وأسـلوب حياتهم وجلود وجوههم تيجانا لعهد عبد الناصر أن ينقضـوا عليه سـعيا وراء منفعة أو ركوبا لموجة ... دعك من هؤلاء الذين أطلقوا الرصاص على جثمـان عبد الناصر وهم الذين مدوا فى حياته الى الكواكب اذرعهم فصنعوا منها قلائد شعر طوقوا بها عنق ذلك الرجل العظيم ، رحمه الله ، وجزاه بقدر أعماله ونواياه !

أعود – ومعذرة عن الاستطراد ، ولا حيلة لنا فيه – أعود الى شقة الوزير السابق الأنيقة فى تلك العاصمة الاوروبية ، حيث كان يعالج على حساب المواطن المصرى المتشعلق على رفارف أوتوبيسات القاهرة ٠٠ أعود اليه وهو يملى على أسرارا حافلة بالتجريح لعبد الناصر ٠٠٠ وفى خلال ذلك استأذن طالب الدكتوراه ثم استأذنت الزوجة والأبنة فى الانصراف لأن وراءهما انجازات هامة فى شارعى ريجنت واكسفورد قبل أن تغلق المحلات أبوابها . وبقيت وحدى مع الوزير وثالثنا القلم ودفتر رسائله الزرقاء ٠ ثم ما لبثت أن أصبحت رابعتنا سيدة أجنبية من أهل ذلك البلد ، أتاح لى قدومها أن أعرف أنها كتبت للأطفال بلغة ذلك البلد كتابا من مائة صفحة من الحجم الصغير عن قصة حياة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ٠ وتقاضت على ذلك أجرا من أمير دولة عربية ما يعادل مبلغ خمسين ألف جنيه استرلينى ٠

وقد رجوت السيدة أن تلتقط لنا – الوزير وأنا – عدة صور ٠ ثم عرضت على الوزير أن أقرأ عليه الحديث فى صورته النهائية قبل أن أرسله الى القاهرة ، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم بسمل وحوقل واقسم بعرض العزيزة الغالية – زوجته – أنه لن يكرر ما فعل من قبل ٠ وانه ثقته بى لاحد لها ، ، وانه مازال يتمنى على أن أتفرغ لكتابة مذكراته كلها بقلمى الذى صفاته كذا وكيت ٠

وانصرفت مشيعا بدعواته وقبلاته وطرت الى فيينا ... وفى فيينا قابلت الدكتور حسين سعيد وزير التعليم الأسبق،فرجوته أن يحمل معه الى القاهرة الرسالة التى تحوى حديث الوزير الخطير اياه . وتكرم الرجل وقبل أداء تلك المهمة .. وفعلا أوصلها الى مجلة قاهرية .. واذا برسالتى التى تحمل الحديث ، تجد فى انتظارها عند رئيس تحرير المجلة التى أرسلته اليها ، رسالة من الوزير الخطير السابق : ان ضياء الدين بيبرس سيرسل اليكم حديثا على لسانى . وضياء صحفى شيطان لا أدرى كيف أقنعنى بأن أتكلم .. فمن فضلكم لا تنشروا ما سيرسله واعتبروا هذا الرسالة تكذيبا لأى كلام ينشر على لسانى ! .

وهكذا عشت حتى رأيت تكذيبا لحديث لم ينشر ! .. وكانت فرصة سانحة لافتراس سمعة هذا الوزير السابق الذى وصف نفسه بلسانه مرة بأنه « شيخ الانذال » : وذلك بأن رويت قصتى معه كاملة بحذافيرها على زملائى فى تلك الصحيفة . ولم أجد أحدا يتعاطف معى، على الرغم من احتقارهم لمنهج هذا الرجل .. فقد كنت فى نظرهم انسانا لم ينأ بنفسه عن الجحر الذى سبق أن لدغ منه مرة ومرة .

هذه المرة لم أجد شيئا ادفع به عن نفسى سخرية زملائى وأصدقائى .. بل أننى اقتنعت ان رواية مأساتى مع الوزير تدين اطمئنانى الغريب اليه رغم كل ما فعله،أكثر مما تدين نذالته . ومع ذلك فقد كان ثمة سؤال يلح على وكان فضولى الصحفى يدفعنى الى البحث عن جواب له . هذا السؤال هو : ما سر نبرة العداء الواضحة فى الطعنة الجارحة التى ختم

بها الوزير السابق جولته الثالثة معى ؟ ولماذا اختار أن يشتمنى فى رسالته الى الصحيفة وقد كان يكفيه ان يرسل رجاء بعدم النشر على نحو ما فعل فى المرتين السابقتين ؟ ٠٠ ظل هذا السؤال يراودنى حتى فوجئت برسالة شفهية من ديبلوماسى يمت بصلة القرابة الى الوزير اياه ٠٠ وفى تلك الرسالة قال لى الديبلوماسى ان الزميل الصحفى الذى كان واسطة اللقاء بينى وبين الوزير فى العاصمة الاجنبية كان هو الذى أوغر صدر الوزير وزوجته ضدى هذه المرة ٠ كيف ؟ قال لهما الصحفى ان المفروض أن ضياء الدين بيبرس سينشر هذا الحديث فى صحيفة « كذا »٠ وهذه المجلة كانت قد تورطت فى ذلك الحين ــ دون تخطط لذلك ــ فى خصــومة عارمة مع شخصية لها مقامها الروحى الجليل فى قلوب المصريين وغير المصريين. وقد اشعلت هذه الخصومة ضدها حملات كثيرة من كل اتجاه . فاذا جاء ذلك الوزير السابق الآن ونشر فيهـــا بعض الأراء والأسرار والذكريات فكأنه يضع يده فى يد خصوم تلك الشخصية .. أو كأنه يعلن الحرب على تلك الشخصية .

هنالك ارتاع « شيخ الانذال » لهذا التفسير من الصحفى الذكى الذى راعه أن اظفر دونه بهذا الكنز الصحفى الاخبارى. وانتهزتها الزوجة فوصة لكى تصب النار على الزيت، وتمسك بذقنها وتقول لزوجها: « الم أقل لك ؟ ». وبعدها كان من السهل على الحيزبون أن تمسك بيد الشيخ المنهار لتحرك أصابعه برسالته الى الصحيفة .. هذه الرسالة الغريبة التى كذبت حديثا لم يقرأه لا صاحبه ولا القراء ! .

وأذكر أننى رويت بعد ذلك للاستاذ الكبير فتحى رضوان هذه القصة

بحذافيرها •• فرأيت فى عينيه بريق الفنان وهو يعثر على نموذج انسانى مثير صالح لاستغلاله دراميا فى عمل فنى باهر • وفتحى رضوان كاتب مسرحى من عتاة الساخرين • بل انه يمسرح تعامله مع الناس الى حد أنه يفترض مقدما ـ ويغفر فى نفس الوقت ـ اخطاء الآخرين ولو كانت فى حقه ويبررها ويعتذر عنها باعتبار أنها جزء لا يتجزأ من الطبيعة الانسانية • بتعبير آخر فأن فتحى رضوان فقد القدرة على الدهشة . ولست أنكر أننى أصبت بخيبة أمل وأنا أرقب أساريره وهو يستمع الى قصتى المفزعة . ففيما عدا بريق عينيه الذى كان ينم عن التسلية ، لم ألحظ عليه ارتياعا أو ذهولا او دهشة . وكنت اتمنى فى قرارة نفسى لو أنه أظهر شيئا من الانفعال أو التعاطف •• على الاقل ليجاملنى •• ولما وصلت لخد النهاية فى قصتى مع « شيخ الانذال » قال فى هدوء فاتر وصاعق معا ان السياسة عند بعض السياسيين لا شرف لها . وقد أطاح أتاتورك بأصدق أصدقائه ـ بل ورفيق فراشه على حد تعبير بعض الروايات ـ أطاح أتاتورك بهذا الصديق لأنه خشى أن يفتن الناس به فينصرفوا عن أتاتورك نفسه . ولم يضف فتحى رضوان الى ذلك كلمة واحدة على سبيل التجريح لهذا الوزير السابق وإن كانت عيناه قد قالتا لى : ان هذا المسلك من ذلك الرجل لا يستغرب ..

وخرجت من عند فتحى رضوان وأنا أفكر فى كيف ألوى ذراع هزيمتى وهوانى على زميله الوزير الخطير السابق ، بطل هذه المرحلة من هذا الحديث •• وخطر ببالى أن انشر التفاصيل الكاملة لقصته هو وزوجته معى ، باعتبار أنها صورة نابضة بالحياة لرجل من صناع السياسة بل من صناع القرار فى وقت من الاوقات •• وبعد نشر القصة انشر المعلومات التى رواها لى معلنا انه لم يأذن بنشرها •• ولكنه بعد أن أضاع من عمرى

شهرين ، لم يعد المالك الوحيد لها . فهذه المعلومات ذات شقين : الاحداث والصياغة . والاحداث حين يرويها سياسى لصحفى ليست مثل سيارة يقرضها رجل لاخر ويصبح من حقه استردادها .. وانما هى شهادة تصبح بمجرد انتقالها الى حوزة انسان آخر ، ملكا مشاعا للناس والتاريخ. ثم ان الصحفى ليس ساعى بريد ولا شريط تسجيل ولا ابرة اسطوانة .. بمعنى ان قلمه يغير ويقدم ويؤخر ويفسر .. وهذا هو الذى يبرر وضع اسمه على حديث أجراه أو ذكريات كتبها .. ومن هنا فالمادة تصبح بعد أن يصوغها الصحفى بقلمه مثل المولود له أب وأم ... كلاهما له فيه نصيب . وكل ما يطلب من الصحفى ألا يدس على لسان صاحب الذكريات ما لم يقله ، أو يحرف فى آرائه تحريفا يجعل صاحبها يتبرأ منها ، أو يستخدمه ستارا ليضع آراءه هو (آراء الصحفى) . ثم ان السياسى حين يتفق مع الصحفى على ان يتفرغ له هذا الاخير ويعطيه وقته الذى كان من الممكن ان ينفقه فى مجهود ذهنى أو فكرى آخر .. كأنه وقع معه عقدا بالنشر ، فلا يجوز له بعد ذلك أن يتراجع مهما كانت الأسباب . ثم ان الصحفى حين يجلس الى السياسى يقوم بدور منشط ذاكرة ذلك السياسى ، ويعاونه أساسا فى تجميع المادة التاريخية ، وفى تفتيق مواطن الرواية ، وفى توجيه الأسئلة التى على أساسها يستطرد السياسى فى الحديث . ومعظم السياسين — ولا ينطبق هذا الكلام بحال من الأحوال على رجل مثل فتحى رضوان — ليسوا من أصحاب الأقلام . بل ان منهم من يلجأ الى آخر ليكتب له رسالة أو بطاقة معايدة فاذا ما جاء الصحفى وأرشده الى كيفية رواية الاحداث وربطها ، ثم عاد السياسى فعدل بعد ذلك عن النشر .. الا يعد ذلك بمثابة سرقة لوقت الصحفى ثم سرقة مجهوده الذهنى ؟

خطرت كل هذه الخواطر ببالى وأنا أقرر أن أروى القصــة ٠٠٠
وقصة القصة ـ بل خطر ببالى أن أنشر ذكريات ذلك الوزير السابق
وصوره معى وأدلة أخرى على انه أملى على المعلومات الواردة بكل ســطر
أنشره ٠٠ ولن يجرؤ هو على التكذيب ، أو لن يجد أحدا يصدقه اذا
ما جرؤ على التكذيب ، لسبب بسيط ، هو أنه ليس فيما سينشر بطبيعة
الحال ـ على لسانه ـ ما يسيىء اليه .. أما ما يسيىء الى الآخرين فمن
الممكن حذفه أو اخراجه من سياق التعبير المباشر على لسانه ..

وفعلا بدأت أعد تلك الذكريات للنشر على أنها أحاديث عدل صاحبها
عن نسبتها اليه ، وفجأة ٠٠٠ خطرت ببالى فكرة أشد اغراء هى أن أنشر
كل مارواه لى ذلك الوزير الخطير السابق على انه معلوماتى الشخصية ٠
وليس فى هذا أى افتراء على الحقيقة بطبيعة الحال ٠ فالصحفى لا ينشر
كل معلوماته منسوبة الى مصادرها ٠٠٠ واذن فلا جناح أن أحذف اسم
المصدر أصلا وأتكلم عنه بضمير الغائب لا بضمير المتكلم ، فأقول انه
فلانا قابل عبد الناصر وقال له كذا بدلا من أن أقول انه قال : أنا قابلت
عبد الناصر وقلت له كذا ٠٠٠

واستراحت نفسى الى هذا القرار .. وفعلا نفذت هذه الفكرة فى
كثير مما نشرت من أحاديث ولقاءات ومذكرات وذكريات ٠ وعلى سبيل
المثال فاننى وأنا أنقل ذكريات الأستاذ الكبير فتحى رضوان سمحت
لنفسى الى آخر مدى بأن أنتقل من ذكرياته الشــــخصية الى معلــوماتى
الشخصية ٠ وكثيرا ماكنا نتحاور وهو يراجع البروفة النهائية لتلك

الذكريات فى شأن ما كان يريد حذفه من آراء أو معلومات أنشرها تعليقا على معلوماته وآرائه . وكان منطقى أننى مادمت لا أقول اننى أنشر مذكرات فتحى رضوان بقلم فتحى رضوان ، وانما أقول اننى انشر رواية عن فتحى رضوان يكتبها ضياء الدين بيبرس .. فقد أصبح من حقى أن أحشر أنفى فى سياق الحديث مادمت لا أنسبه اليه ... ثم أن هذا المنهج كفيل بأن يحفظ حقوق فتحى رضوان فيما بعد فى أن يروى قلمه ذكرياته أو مذكراته كاملة ... كذلك يحفظ حقوقه الأدبية فى ألا ينسب اليه ما يكتبه قلمى ... فهو نفسه كاتب عظيم وله قلم مميز ومن الظلم له ولقلمه أن ينسب اليه ما كتبه صاحب قلم مثله . باختصار أقنعت فتحى رضوان أن يكون معى مصدرا للتاريخ بدلا من أن يكون راوية له . ورضى الرجل ، ولا أقول اقتنع ، بذلك المزيج العجيب الذى اشتهر به من التسامح والسماحة والسخرية المستترة والكبرياء والايثار .

والواقع أن فتحى رضوان لم يرو لى كل مذكراته العامة أو الخاصة ... كما أنه لم يرو لى كل ذكرياته عن حقبة معينة . فهو قد حجب عنى أشياء كثيرة لأنه على حد قوله أما لا يريد ان يسيىء الى أحياء أو اموات مازال لهم دورهم فى حياتنا المعاصرة ... واما لا يريد أصلا هدم صور استقرت فى نفوس جيل كامل عن شخوص وأحداث ... ومن ناحية اخرى فهو قد حجبك أنت ــ اى عن القارىء ــ اشياء أخرى رواها لى ثم رفض أن أنشرها لانها تمس ، على حد تعبيره ، حرمات وجوانب شخصية فى كثير من السياسة وصناع القرار . وقد امتثلت لرغبته واحترمتها ولكنى لم أقتنع بهـا .. ذلك اننى أرى ان تاريخ الأمة ليس مجـرد الأحداث الظـاهرة والقرارات العلنيـة والسرية والوثائق الرسـمية

والمستترة .. ان تاريخ الأمة هو تفاعل كل هذه الأشـياء مع العادات والنزوات والميزات الشخصية للزعماء والساسة وصانعى القرار .

— ٥ —

• وهنا يثور سؤال هو : ما هو الحد الفاصل بين حق الشخصية العامة أو الزعيم أو السياسى أو الشاهد .. بين حقه فى أن يعتبر هذه المذكرات حـكرا له وبين حق الشعوب فى أن تعرف أسرار تاريخها .. بعبارة أخرى هل مذكرات السياسى ملك له أو ملك للأمة ..

للاجابة على هذا السؤال .. نرجع الى بحث ممتاز للكاتب السياسى جلال السـيد فى هذه النقطة بالذات ، نشر له فى جريدة الجمهورية ..

يقول جلال السيد :

« منذ وفاة سـعد زغلول فى ٢٣ أغسطس عام ١٩٢٧ أثيرت قضـية ، لا تزال حتى الآن بدون حل ، ولم تـكن القضـية من الذى يخلف سعد فى رئاسـة الوفد ، فقـد حسمت سريعا واختير مصطفى النحـاس ، لكن الذى لم يحسم وظل محل خلاف حوالى أربعين عاما ، الموقف من مذكرات سعد ، ففى الاسبوع الأول لوفاة سعد زغلول ، جمعت السيدة صفية زغلول ، مذكرات زوجها ورقمتها ورتبتها ، وظنت انها تستطيع ان تحتفظ بها .

واثيرت — لأول مرة — حق ملكية المذكرات السياسية : هل تكون لورثة سعد ، ضمن ما تركه لهم أم تكون للحزب الذى كان رئيسه؟ لأن ما تركه من مذكرات يتعلق بتاريخ الأمة ، وتاريخ ودور حزبه .

وكانت القضية قانونية ، سياسية ، وظل النزاع قائما بين ورثة سعد — كأسرة — وورثة سعد كحزب سياسى ، ثم تم الاتفاق بين الطرفين الأسرة وحزب الوفد ، على ان تبقى المذكرات تحت يد خليفة سعد — مصطفى التحاس — ويكون له الحق فى نشرها فى الوقت الذى يراه ، ويقوم بمراجعتها من التاحية السياسية ، كما أن للاسرة الحق فى مراجعة الجزء الخاص بالأسرة تم هذا عام ١٩٢٧ .

وبعد ثلاث سنوات — وفى حكومة اسماعيل صدقى — كان الصراع شديدا بين الوفد وصدقى وخشى التحاس ، بسبب ما كانت تتعرض له بيوت السياسيين من هجمات التفتيش ، ان تقع المذكرات فى يد اسماعيل صدقى — وهو خصم لسعد ، وسبق ان طرد من الوفد فى بداية تكوينه ، فوضع المذكرات فى احدى خزائن بنك مصر .

وظلت مذكرات سعد لغزا محيرا أمام الباحثين والمهتمين بدراسة التاريخ ، فيسمعون عن المذكرات ، ولكن لم يكن هناك أى تأكيد ، ولم يكن يعرف حقيقة الأمر سوى قلة من أعضاء الوفد وقلة من أسرة سعد ، كما هو الحال بالنسبة لمذكرات مصطفى التحاس ومكرم عبيد فى هذه الأيام .

وفى عام ١٩٤٨ ، كان اسماعيل صدقى قد بدأ بتشر مذكراته فى مجلة المصور ، وجاء فيها ما اغضب حزب الوفد ، حين تناوله علاقته بسعد وتكوين الوفد ودوره فى هذا .

وفتحت خزانة بنك مصر - لأول مرة - بعد ١٨ عاما - ليرد الوفد على ما جاء فى مذكرات صدقى ، وذلك من خلال مذكرات سعد ..

ويقول محمود سليمان غنام - فى كتابه أضواء على ثورة ١٩١٩ - « وكان اسماعيل صدقى قد نشر مذكراته سنة ١٩٤٨ عن بعض نواحى ثورة ١٩١٩ ، فرددت عليه بسبع مقالات فى جريدة صوت الأمة واستعنت فى هذا الرد بمذكرات سعد زغلول ، التى طلبتها من خليفته مصطفى النحاس فتفضل بوضعها تحت تصرفى ، وتوقفت عن متابعة الكتابة لاغراض ورثة سعد زغلول ، وبالرغم من اصرار التحاس على مواصلتى الكتابة لمخالفة هذا الاعتراض ، لما استقر عليه الاتفاق الذى حرر بينه وبين الورثة ، لم أشأ السير فى اتمام المقالات خشية فرض الحراسة القضائية عليها » .

وقد احتج ورثة سعد على طريقة النشر ، لأنه كان مخالفة للاتفاق ، واستطاعوا ايقاف التشر وظلت قضية المذكرات بين النحاس وورثة سعد أمام الحكومة منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٣ الى أن وضعت تحت الحراسة حتى صدر قرار وزارى من وزارة الثقافة بأن أى حائز على أى وثيقة يجب المحافظة عليها وحظر اخراجها من البلاد والتصرف فيها .

ثم صدر قرار وزارى رقم ٢٣٩ لعام ١٩٦٣ ، فى ٢٥ يونيو ، باعتبار أن المذكرات السياسية الآتية ذات قيمة للتاريخ القومى وهى : مذكرات سعد زغلول ـ محمد فريد ـ مكرم عبيد ـ عبد الرحمن فهمى ـ فخرى عبد النور ـ محمد على علوية ـ وكذلك مذكرات محمد كامل سليم ـ اسماعيل صدقى ـ محمد حسين هيكل .

وكان هذا بسبب تصوير نسخة كاملة من مذكرات محمد فريد للطالب ارثر جولد شميت من جامعة هارفارد فى الوقت الذى لم يطلع فيها المؤرخون المصريون على هذه المذكرات .

وقد اودعت مذكرة سعد زغلول فى دار الوثائق التاريخية القديمة ـ ٥٣ كراسة ـ الا أن القضية له تنته بعد .

فحزب الوفد حل منذ عام ١٩٥٣ ، واحد أطراف النزاع وهو مصطفى النحاس ، توفى منذ عشر سنوات . ومع ذلك لم يتوقف النزاع حول مذكرات سعد زغلول ، وفى هذه المرة بين ورثة سعد زغلول ، والدولة حول التعويضات المادية التى ستدفعها الدولة ، وفى هذه المرة أيضا ـ عرض الأمر على القضاء . وشكلت لجنة لتقييمها ، لتقدير التعويض اللازم .

وهنا تثار قضية لابد من توضيحها واقرارها ـ بشكل قانونى ـ هل للورثة الحق فى تعويض للمذكرات السياسية ؟

حفاظا على جزء هام من مصادر تاريخنا ، يجب أن يعوض

أصحاب هذه المذكرات أو ورثتهم ولكن بلا مبالغة ، فعلى أصحاب تاريخنا - ومن الصالح توضيح بعض الغموض - أو اضافة تفسيرات أو وقائع تفيد التاريخ .. كما أن على أصحاب المذكرات أو ورثتهم - أن يتخلوا عن الحساسية - فيما يتعلق ببعض الاخطاء أو ما يرونه عيوبا ، لا يجوز نشرها .

فلقد اعطى سعد زغلول المثال ، فى الصدق مع النفس ، ولم يعبأ بأى حساسية أو حكم ، فسجل نواقصه وعيوبه كما رآها ولم يخجل أن يلوم نفسه - تجاه بعض التصرفات ، وسجلها بأمانة شديدة ، وهذا ليس عيبا أو نقيصة فى سعد ، ولكن العيب أن نترك دوره الأساسى ونركز على بعض التصرفات الشخصية ، والتى كان هو مصدرها ومسجلها . ومن المفيد للباحثين ولكتابه تاريخ مصر ، نشر مذكرات سعد زغلول ، نشرا علميا ، كاملا ، خاصة انه قد مضى على كتابتها وعلى وفاة صاحبها خمسون عاما ، وهذا كاف جدا للقضاء على كافة الحساسيات الاسرية والسياسية ، فلقد أصبحت تاريخا ملكا للامة ، وليس ملكا لاسرة سعد ، أو لحزبه .

وكما تعرض السياسيون للاضطهاد فى الماضى ، كانت أيضا مذكراتهم السياسية ، فكانت تهرب وتفقد ، وتضيع بعض أجزاء منها ، وتختفى ، وتظهر ، شأنها فى ذلك ، شأن السياسيين كتابها . وكما كانت حياة محمد فريد حافلة بالاضطهاد والمضايقات الأمر الذى دفعه الى الهجرة ، لمواصلة النضال ، سارت مذكراته - أيضا - فى رحلة شاقة بدأت من برلين عام ١٩١٩ ، واستقرت فى دار الوثائق عام ١٩٦٣ .

وتبدأ قصتها بخطاب من محمد فريد ــ حيث ثقل عليه المرض فى برلين ــ الى صديقه اسماعيل لبيب الذى كان يقيم فى جنيف ، يطلب منه سرعة الحضور الى برلين ، وذلك فى سبتمبر عام ١٩١٩ ، وحضر اسماعيل لبيب ، فطلب منه محمد فريد أن يتسلم صندوقا أودعه عند سيدة ألمانية ــ كان يسكن عندها ــ وأوصاه أن يحمله الى مصر ويسلمه لابنه عبد الخالق فريد . وكان هذا الصندوق يحتوى على مذكرات وأوراق محمد فريد ، واحتفظ اسماعيل لبيب بوصية صديقه ، وانتظر حتى يكبر عبد الخالق ، ولكن الموت لم يسعفه وقامت زوجته ــ فيما بعد ــ بتسليم الصندوق الى عبد الخالق فريد .

واحتفظ الابن بمذكرات ابيه ، ولم يفكر فى نشرها ــ نظرا للظروف السياسية التى كانت تعيشها مصر قبل الثورة .

وعندما كان المؤرخ عبد الرحمن الرافعى يؤلف كتابه عن محمد فريد طلب المذكرات من ابنه .

وكما يقول الرافعى : « ظلت المذكرات عندى لمدة ثلاث سنوات ، وقد أطلعت عليها ودرستها دراسة دقيقة » .

ثم حدث أن جاء طالب من جامعة هارفارد هو ارثر جولد شميت ليعد رسالة الدكتوراه عن الحزب الوطنى ، وحصل من عبد الخالق فريد على نسخة مصورة كاملة من مذكرات محمد فريد ، كما حصلت الجامعة الأمريكية فى مصر على نسخة أيضا ، وهنا ثارت ثائرة المؤرخين ودراسى

التاريخ ، وأثيرت القضية مع وزارة الثقافة ، التى تدخلت لحماية المذكرات السياسية .

ثم ظهر كتاب اليقظة لمحمد صبيح ـ عام ١٩٦٤ ـ وبه مذكرات محمد فريد ، ونشرتها أيضا احدى الجرائد اليومية ، وهنا ثارت ثائرة عبد الرحمن الرافعى ، عبد الخالق فريد ، وكانت القضية حول أسلوب النشر . واحتج عبد الخالق فريد وقال : « ان الأستاذ صبيح أسقط الكراسة الثالثة والتى تبدأ بصفحة ٧٣ وتنتهى بصفحة ١٠٢ من المذكرات ، كما أغفل الكراسة الثامنة ، هذا الى جانب وجود ٣ كراسات لم يطلع عليهم » .

أما عبد الرحمن الرافعى فقد ثار عندما قيل « أن مصطفى كامل كان يضارب فى البورصة » كما جاء فى المذكرات ، واعتبرها افتراءات .

وفى عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ بدأت مجلة الكاتب بنشر مذكرات محمد فريد ، مع بعض المقدمات للفصول والتحقيق العلمى الى درجة ما ، ولكنها لم تستكمل باقى المذكرات .

وفى عام ١٩٧٥ ، ظهر كتاب « مذكرات محمد فريد » القسم الأول ويتناول تاريخ مصر من عام ١٨٩١ حتى عام ١٨٩٧ ، حققه وقدم له الدكتور رؤوف عباس . (وهى عبارة عن ٥ كراسات من ١٦ كراسة) . ويرى وجود كراسات مفقودة تتناول الفترة من ١٨٩٧ حتى عام ١٩٠٤ ، ويتساءل أين هذه الكراسات ؟

وقد مرت مذكرات عبد الرحمن فهمي ـ السكرتير العام للجنة المركزية للوفد عام ١٩١٩ ـ بنفس الظروف التي مرت بها المذكرات السياسية ، حول نقلها والمحافظة عليها بعيدا عن الخصوم السياسيين ، خاصة أنه كان لديه الخطابات السرية التي كانت بينه وبين سعد زغلول ، وقد نشر عبد الرحمن فهمي عدة مقالات من مذكراته في الدنيا المصورة ، وكل شيء والدنيا ، في عامي ١٩٣١ ، ١٩٣٥ ، وظل ابنه مراد فهمي ـ وزير الأشغال سابقا ـ محتفظا بمذكرات والده وخطاباته وأوراقه ، منذ وفاته عام ١٩٤٦ ، حتى عام ١٩٦٣ . وانتهى نشر منها الدكتور محمد أنيس : دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ ـ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي ـ وذلك في عام ١٩٦٣ ، وأودعت المذكرات والأوراق الخاصة والمراسلات في دار الوثائق .

ويوجد أيضا في دار الوثائق التاريخية ، الى جانب مذكرات سعد زغلول ، محمد فريد ، عبد الرحمن فهمي ـ مذكرات مصطفى كامل ومجموعة رسائله ومذكرات محمد على علوبة .

فقد نشر العديد من المذكرات السياسية ، ابتداء من مذكرات أحمد عرابي ، حتى ما ينشر ـ هذه الأيام ـ في الصحف والمجلات ـ وان كان ما نشر حتى الآن في معظمه لا تستطيع أن نطلق عليه « مذكرات » بالمعنى التاريخي ، فهي أقرب للذكريات منها للمذكرات ، فالكاتب يتذكر بعد فترة ما أحداث شارك فيها أو عاصرها وطبقا للظروف التي تنشر فيها هذه المذكرات ، ومن المذكرات المنشورة والتي تلقى أضواء وتكشف بعض الأسرار السياسية في تاريخنا المعاصر .

مذكراتى فى نصف قرن ـ لأحمد شفيق ، مذكراتى فى السياسة المصرية لمحمد حسين هيكل ، ايمانى ـ لأحمد حسين ، مذكرات الدعوة والداعية ـ لحسن البنا ـ قصة كفاح ـ لعبد الفتاح عنايت ، الكفاح السرى ضد الانجليز ـ لوسيم خالد ، ثم مذكرات اسماعيل صدقى ، عبد الرحمن الرافعى ، أحمد لطفى السيد ـ عبد العزيز فهمى ، محمد كامل سليم . وقد نشر معظم هذه المذكرات فى الصحف والمجلات ، ثم جمعت فى كتب،وربما لا تكون كاملة ، بحكم ظروف نشر المجلات والصحف اليومية ، وبحكم الظروف التى نشرت فيها . ولكنها ظهرت على أى حال، ومن الممكن استكمال ما ينقصها اذا وجد .

أما الذى يحتاج الاهتمام والبحث والتنقيب فهى المذكرات السياسية الموجودة فعلا ، ولكن لا يستطيع أن يصل اليها أحد ، وهنا يأتى دور وزارة الثقافة ، ودار الوثائق ، تمهيدا لدراستها وتحقيقها ونشرها ونشرها بشكل علمى . وتأتى على رأس هذه المذكرات ، مذكرات مصطفى النحاس ، ويقال ـ فى هذه الأيام ـ كما قيل منذ خمسين عاما من مذكرات سعد ، لا توجد مذكرات ، لم يكتب شيئا ، لقد مرض عندما بدأ ، ولكن ليس هذا كل شىء . فهناك قصص تروى على هذه المذكرات وكيف احتفظ بها ، وانها لدى أحمد أقطاب حزب الوفد ، بل أكثر من هذا أن أحد المشتغلين بدراسة التاريخ قد اطلع عليها .

ولكن قبل الاسترسال ، علينا أن نحسم الأمر ـ على ضوء المعلومات ـ هل فعلا توجد مذكرات سياسية لمصطفى النحاس أم لا ؟

فمن تقديرى الخاص انه توجد مذكرات النحاس ، فليس من المعقول أن يظل النحاس محتفظا بمذكرات سعد زغلول ، ويودعها بنك مصر ، للمحافظة عليها ، وذلك منذ عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٦٣ ، دون أن تثير فى نفسه كتابه مذكرات ، وتدفعه دفعا .

ويؤكد بعض الذين كانوا مقربين من النحاس أنه كان يكتب مذكراته وانه كان يمليها على بعض أشخاص ، كما كان يفعل سعد زغلول .

وأكد هذا الموقف ما جاء فى صحيفة الأخبار ــ بتاريخ أول سبتمبر عام ١٩٧٥ ــ فى صفحتها السادسة تحت عنوان « للحقيقة والتاريخ » بامضاء محمد كامل البنا ، والذى نفى فيها تقبيل النحاس ليد الملك فاروق ــ يناير ١٩٥٥ ــ لكن ما يهمنا تأكيده لوجود مذكرات للنحاس .

فقد قرر البنا : انه كان مرافقا للنحاس ــ فى تلك الفترة وما قبلها ــ (أى عام ١٩٥٠) .

ثم يقول : فى يوم ١٠ يناير سنة ١٩٥٠ دعى النحاس لمقابلة الملك وعرض أسماء الوزراء عليه ، وقد طلبنى لأكون على مقربة منه ، فلم يجدنى ، وفى الصباح لم أكد أقابله حتى بادرنى بشدة أين كنت بالأمس ؟ ولما أبديت له عذرى ، قال انك سببت لى أرقا ليلة أمس ، لأنى حرصت على تدوين ما دار بينى وبين الملك فى هذه المقابلة التاريخية ، وبعد أن ركبت معه السيارة قاصدين أداء فريضة الجمعة فى مسجد مولانا

الحسين أملى على بالحرف الواحد ما دار بينه وبين الملك من حديث فى هذه المقابلة .

ثم يقول البنا فى نهاية تعليقه : نقلت هذه الوقائع باختصار من مذكراتى التى دونتها فى حينها ، ومما أملاه على مصطفى النحاس يوم ١٩٥٠/٩/١١ خاصا بهذه الواقعة . وعلى ضوء هذا يبقى السؤال : أين مذكرات مصطفى النحاس ؟ هل لدى محمد كامل البنا وقد سمعت أنه يعمل الآن — فى ليبيا — أم هى لدى أحد قطاب الوفد القدامى ؟

هنا يقول جلال السيد :

كما توجد مذكرات فتح الله بركات ابراهيم الهلباوى ، حسنى الشنتناوى ، وسيم خالد ، فؤاد سراج الدين، وكلها لم تنشر . وبالطبع هذه امثلة مما تأكدنا انها موجودة بالفعل . ولكن من المحتمل أن شخصيات سياسية أخرى لديها مذكراتها أو مذكرات غيرها . وأوراق خاصة ورسائل ، قد تفيد فى القاء الضوء على تاريخنا .

والقضية تحتاج الى كثير من الاصرار على أهميتها ، وتقدير العمل ، والحوار الدائم مع أصحاب المذكرات أو من لديهم مذكرات أو من لديهم مذكرات آخرين ، بما يريح ويطمئن ، من أجل هدف عام ، ومصلحة عامة ، من أجل مصر وتاريخها . . فالأشخاص يذهبون ، ولكن مصر باقية ، وتاريخها خالد ومستمر عبر آلاف السنين ، وهذه اضافات ، قد تلقى

ضوءا على الأحداث، وتكتشف بعض الأسرار عما هو مجهول فى تاريخنا.

وعلينا ألا نتعامل مع المذكرات السياسية بحساسية ، نتصيد منها أجزاء ، أو فقرات ، لنعطى أحكاما ، فالزعيم ، أو السياسى ، بقصد يخطىء ويصيب ، وله عالمه الخاص ، واهتماماته الخاصة التى قد لا تعجب الجماهير التى ارتبطت به ، ولكن الحياة الانسانية أرحب من أحكام النقاد ، والتاريخ له حكمه وموازينه وبقدر ما أعطى السياسى لوطنه بقدر ما يعطيه التاريخ بصرف النظر عن أى سلوك ، أو نقيصة يراها البعض ، دون تجاهلها أيضا .

لذلك فالمذكرات السياسية ، ليست قضية شخصية ، أو قضية أسرة ، أو تركة ورثوها ضمن ما تركه والمحافظة عليها ، قضية قومية ، لأنها جزء من تاريخنا القومى .

وبالطبع نحن نعرف مدى حرص من لديه هذه المذكرات ، وربما يوجد فيها ما يخشى منه ، وربما يرى البعض أنه من الممكن أن يحقق بها عملا سياسيا ، وربما تتم اتفاقات لنشرها فى بعض الصحف ـ فيما بعد ـ فتحقق رواجا وعائدا ماديا ، وربما يخشى البعض ، أن يتصيد البعض بعض صفحاتها للتشهير بحزب الوفد ؟

أسئلة عديدة ، وتساؤلات أكثر ولكن ونحن نناقش قضية عامة تفيد تاريخنا القومى ، علينا أن نسقط جميع الاعتبارات ، مع وضع بعض الضوابط .

فمثلا عندما نطالب من لديه مذكرات سياسية أن يودعها فى دار الوثائق القومية، يجب أن نراعي أن تكافأ وتقيم المذكرات ماديا ، وأهم من ذلك احترام رغبة كاتب المذكرات أو من لديه المذكرات ، فى تحديد الزمن فى الاطلاع عليها ، أو نشرها ، اذا رأى ضرورة سياسية أو شخصية فى ذلك ، فالمهم المحافظة على المذكرات والأوراق الخاصـــــة فى دار الوثائق ، بدلا من أن تتبادلها الأيدى ويرى البعض اسقاط أشياء ، أو حذفها ، أو تضــــيع مع الزمن . وهذا ينسحب على مذكرات مكرم عبيـــــد ، والتى يتهامس حولها البعض مثل مذكرات النحاس .

— ٦ —

ثم ان الأحداث التى ساهمت فى تحويل مجرى التاريخ من المستحيل أن تفسر أو تبرر اذا ما رويت منفصلة عن أدق الأسرار الشخصية للساسة الذين أعطوا الضوء الأخضر لهذه الأحداث .. وعلى سبيل المثال فان من الاحتقار للتاريخ أن تروى قصة تورط ايدن فى سلسلة القرارات المتخبطة التى أدت الى حملة السويس ، بدون دراسة لنفسية ايدن فى تلك الفترة التاريخية كزوج لـ « كلاريســـا » الشـــابة المتوهجة التى كان عليه أن

يعوضها عن تراخيه كرجل بفحولته كسياسى . قصـة حملة السويس اذن ، بكل ماأدت اليه من ردود افعـال فى تاريخ العالم وسياسـته ، لا يمكن روايتها بعيدا عن مخدع ايدن • فالرجال وليس العقول الالكترونية يصنعون القرارات •

وبعد ، فلست اعرف اذا ما كان القارىء قد اقتنع بوجهة نظرى تلك أم لم يقتنع •• فاذا كان لم يقتنع بعد ، فاننى أستأذنه فى رواية قصة قد تضع حدا لكل نقاش •• وقد تقنع القارىء ، كما قد تقنع فتحى رضوان شخصيا ••

بعد أقل من ساعة واحدة من اقالة واعتقـال اللواء أركان حرب محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر ••• ذهب الرئيس جمال عبد الناصر شخصيا الى مبنى الاذاعة القديم بشارع الشريفين ، وكان بصحبته الصاغ صلاح سالم ، وطلبا أن يتسلما فورا كل الشرائط التى تتضمن خطب كل قادة ثورة ٢٣ يوليو ••• ليس محمد نجيب فقط •• وانما كل أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ثم كل الشرائط التى تتضمن خطب الوزراء فى الفترة ما بين ٢٦ يوليو ١٩٥٢ واكتوبر ١٩٥٤ •••

وفعلا تسلم الاثنان ، رحمهما الله ، كل الشرائط التى طلباها ••• وصحبهما الاذاعى العظيم حسنى الحديدى ، رحمه الله ، الى مجلس قيادة الثـورة ، حيث عكف تحت رقابة شـديدة على فرز تلك الشرائط •• وتجنيب ما يحتوى على خطب الرئيس الراحل وزملائه فى تمجيد اللواء

محمد نجيب ، والاعتراف .. لا بأبوته الروحية للثورة فحسب .. وانما بقيادته لها أيضا .. الى آخر نصوص الخطب الممتلئة بالمشاعر الجياشة التى كانت توشك أن ترتقى الى مرتبة الشعر المنظوم ، فى التغزل فى اللواء محمد نجيب .. !

بعبارة اخرى .. فانه كما محى من أرشيف الاذاعة كل اذاعات الملك السابق فاروق ، ومعظم خطب وتصريحات زعماء ما قبل ٢٣ يوليو وعلى رأسهم الزعيم مصطفى النحاس .. دارت دائرة المحو على كل ما قاله واذاعه محمد نجيب .. وعلى كل ما قيل واذيع فى محمد نجيب وعن محمد نجيب ..

قرأت هذه القصة .. على أنها هامش صغير فى ذيل فصل من أمتع ما قرأت ، من كتاب لم ينشر بعد ، عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، أطلعنى مؤلفه عليه ، بعد أن انتزع منى قسما بأغلظ الايمان وبشرفى الشخصى وبشرف المهنة ألا انقل عنه أو الخص منه أو اشير الى اسم مؤلفه قبل أن يخرج الكتاب المذكور الى النور .. وهذا المؤلف عالم مصرى شاب من ألمع علماء التحليل النفسى المتخصصين الذين كرسوا حياتهم لهذا العلم . ولن أدهش أو أفاجأ اذا علمت يوما ان معاهد التحليل النفسى وجامعاته فى باريس أو كندا أو الولايات المتحدة قد اجتذبته أو أغرته أو لاختطفته لتضمه الى قائمة تضم الآن سبعة من أنبغ علماء التحليل النفسى المصريين ، الذين يعتبر أحدهم ، وهو فى باريس ، واحدا

من قمتين اثنتين فى ذلك العلم فى أوربا كلها .. ويحظى آخر منهم بمكانة علمية فائقة فى كندا .. وتنظر جامعات الولايات المتحدة الى اثنين أو ثلاثة منهم على انهم من خيرة الأساتذة فى ذلك العالم فى طول أمريكا وعرضها .

والكتاب المذكور عبارة عن قراءة نفسية علمية تحليلية لخطب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وتصريحاته ، لمحاولة وضع تقرير طبى نفسى عن شخصية ذلك الرجل الذى مهما تفاوتت فيه الآراء وتناقضت وانقضت فلا سبيل الى انكار انه ترك بصماته على حياة عصر كامل ، وانه اذا كان أسلوب حكمه قد اقترن فى الداخل بشىء من العسف والقهر والارهاب .. فان أفريقيا وآسيا ومعظم المعذبين فى الأرض فى العالم يدينون لمصر ولصدى الثورة التى اقترنت باسمه بكثير من العرفان بل وبالميلاد نفسه فى بعض الأحيان .. ولهذا ليس من المستغرب أن نجد أن كثيرا من القوى الوطنية فى العالم العربى كانت تجد نفسها فى سلة واحدة مع كثير من القوى المضادة للتقدم ..والجميع متضامنون فى تأييد الرئيس الراحل على طريقة : « الله يسعده ويبعده » . أى الله يسعده بشرط أن يظل بعيدا عنا ..

وقد انتهى العالم المصرى ، مؤلف الكتاب المذكور ، الذى أصر على الا أشير اليه ، الى نتيجة علمية بشأن سؤال هام هو : هل كان الرئيس الراحل ، نفسيا ، مصابا بالبارنويا ـ وهى احدى مظاهر رئيسية أربعة من مظاهر انقسام الشخصية ـ أم انه ، رحمه الله ، كان يتمتع باستقرار نفسى وشخصية متوازنة ومتكاملة نفسيا ؟ ..

وطبيعى أن العالم الشاب المذكور لم يأذن لى بأن أنشر الرأى الذى انتهى اليه .

و « البارانويا » و « انقسام الشخصية » ليسا شتيمة أو سبابا كما قد يتبادر الى ذهن الدبة المتأهبة دائما لقتل صاحبها .. انهما ظاهرتان نفسيتان يعتبرهما العامة أمراضا .. تماما كما يعتبرون العقد النفسية أو الشخصية سبة وما هى بذلك . فمعظم البشر مصابون بعقدة أو بأكثر . بل ان من الثابت علميا أنه لا يكاد يوجد فى الدنيا انسان خال من العقد أو المركبات ، الا المتخلفين عقليا . واذا وجد انسان سوى مبرأ ، تماما من هذه الظواهر ـ وهذا أمر مشكوك فيه ـ فأغلب الظن انه يكون أكثر من غيره عرضة للانهيار النفسى لدى أول صدمة . ومن ناحية أخرى فان من الحقائق الراسخة علميا أن العباقرة والزعماء والفنانين لا بد أن يكونوا على قدر كبير من فقدان الاستقرار النفسى والاتزان العاطفى . بل ان التعريف النفسى العلمى للفنان الشامخ ينص على انه يتمتع بموهبة عظيمة زائد شخصية هستيرية أو ممزقة داخليا أو غير متوازنة .. (ومن هنا استنتج العامة سلفا ذلك القانون العلمى حين قالوا فى أمثالهم قبل اكتشاف تلك القاعدة : « أن الجنون فنون ») .

هنا يقامر القلم بالتكهن بأن ما ينطبق على تعريف الفنان ينطبق على تعريف الزعيم .. فكلاهما ثائر يقامر فى سبيل تغيير فى المجتمع أو الذوق العام يسبق تطور المجتمع أو الذوق العام .. أو يفرض نفسه على تطور المجتمع والذوق العام . ومن هنا فانه حين ينجح الثائر ـ سواء على مستوى الفن أو السياسة ـ فانه يصبح زعيما أو فنانا .. أما اذا فشل فان مصيره يكون السجن اذا كان سياسيا ، ومستشفى الأمراض العقلية أو الانهيار النفسى اذا كان فنانا .. فالفنان

او الزعيم ـ اذن ، هو مجنون نجح فى أن يجعل من جنونه قاعدة بين الناس !

هنا يستأذن القلم فى أن يقول انه سمح لنفسه بأن يروى هذه القصة لكى يعزز وجهة النظر التى تقول : أن تاريخ الأمة يجب الا يروى بمعزل عن التاريخ الشخصى والنفسى لصانعى ذلك التاريخ . أما أن يصطنع الراوى ستارا من التحرج أو التعفف الكى يحجب جزءا من الحقيقة ، فهذه ما ينذر بضياع الحقيقة كلها . ولا بد أن هناك مثلا ما فى اللغة ما يقول ما معناه : ان نصف الحقيقة أسوأ من الكذب الصراح ..

وهذا هو السبب فى أننا نعتقد أن لجنة تاريخ مصر ستظل فى رأينا ناقصة التكوين ما لم يضم الى عضويتها عضو أو أكثر من علماء النفس .. تكون مهمتهم بحث وتحليل نفسيات صانعى القرارات الهامة، ودوافعهم الغريزية والنفسية . ثم ان مهمة هذه اللجنة القرارات محاصرة بذلك القانون العجيب الذى يمنع الكتابة فى التاريخ أو حتى نشر الوثائق والمذكرات الرسمية .. وكان المفروض أن يباح بل يشجع كل من رأى حادثة أو صنعها أن يرويها حتى لو ضخم فيها دوره أو انحرف بالرواية عن مسارها المستقيم . فالمفروض أن تكون هذه اللجنة حكما وقاضيا بين شهادات الناس وليست قيدا عليهم . ثم ان التاريخ لا يقنن ولا يكتب به نص رسمى ثم يقال للأمة : هذا هو التاريخ الذى أقرته الدولة فلا تقرأوا سواه .

ثم يخطر بالبال أن الرئيس أنور السادات قد أدلى بدلوه فى نهر رواية المذكرات (وبالفعل نشرت الأهرام بعض فصول من تلك

المذكرات (ولو كنت المستشار الصحفى للرئيس السادات فى ذلك لاقترحت عليه الا يفعل) .. وهو بقدر ما يتيحه علمنا — أول رئيس دولة ينشر مذكراته فى فترة ولايته .. ونحن نستغل هنا اصرار السادات على ألا يضار انسان بسبب رأى يبديه فنقول — بدون أدنى احساس بالمجازفة — أن الرئيس بنشره مذكراته وهو فى قمة السلطة لا بد يعرف أن المذكرات قابلة للمناقشة والتنفيذ . وعلى سبيل المثال فان ما رواه الرئيس فى مذكراته عن اللواء محمد نجيب يختلف عما سبق أن رواه فى سلسلة مقالاته فى جريدة الجمهورية فى عام ١٩٥٤ . فلماذا لم يكرم أحد من الكتاب رجولة السادات واصراره على تحرير الكلمة من الرقابة والبتر .. لماذا لم يكرم أحد من أصحاب هذه الأقلام هذه المعانى فى السادات فينتقد هذا الاختلاف بين رؤيا الرئيس منذ ٢٢ سنة وبين رؤياه الآن .. ثم ان الرئيس روى أحداثا عن أشخاص أحياء ، من بينهم — مثلا — الفريق محمد صادق — فلماذا لم يحاول الفريق صادق أن يرد ؟انى أكتب هذه الكلمات وأنا واثق أن نشرها فى عهد السادات أعظم تكريم له . وأنا أعتبر ان القلم الذى يوجه النقد الآن للسادات فى مواجهته وهو حاكم ، أشرف ألف مرة وأخلص ألف مرة للسادات ، من القلم الذى سينبرى غداً ، بعد عمر طويل ، للغمز واللمز ، وربما الطعن ، فى السادات بعد أن يذهب .. كما فعلت بعض الأقلام التى تغذت على مائدة عبد الناصر ، ثم تعشت بجثته بعد أن مات ..

على أية حال .. اذا جاء اليوم الذى يزعم فيه كاتب أو سياسى انه خاف مما قد يحدث له اذا حاول أن يناقش مذكرات السادات — وكما قلنا فقد أصبحت المذكرات المذكورة قابلة للنقاش بل والتفنيد على

الرغم من مقام صاحبها الرفيع ـ فاغلب الظن أن السادات أو من يجد في نفسه الرغبة للدفاع عنه سيقول لصاحب مثل هذا الزعم : هل حاولت أن ترد ؟

والواقع أن الخوف من الرد والتفنيد والمراجعة والتكذيب وما يتبع من ذلك من رذاذ المعارك ورصاصها الطائش . كلها عوامل تجعل معظم السياسيين يؤثر أن يغلق فمه ايثارا للسلامة على أساس سد الباب التي تأتي منه الريح . . وقصة فؤاد سراج الدين باشا مع مجلة روز اليوسف مثل صارخ لتردد السياسي خوفا من تصارع الآراء في خريف العمر . فقد حدث أن أعدت المجلة المذكورة للنشر حلقات من ذكريات الباشا ، وبعد أن راجعها وأقرها ودارت عجلات المطبعة تطبع نسخ المجلة أبرق الباشا اليها طالبا ارجاء النشر . وكان من الممكن أن تضرب المجلة عرض الحائط بطلب السياسي القديم على أساس قيام القوة القاهرة التي تحول دون الامتثال لرغبة أبداها بالعدول عن تعاقد أدبي قبله . ولكن المجلة من باب الكبرياء الصحفي ، امتثلت لرغبة الباشا وان حار المسئولون عن تحريرها في معرفة سبب عدوله المفاجيء بعد موافقته الحماسية .. ولعلنا هنا نميط اللثام عن السبب الحقيقي ، وهو أن مجموعة من شباب الوفد القدامى ـ الذين لم يعودوا شبابا بطبيعة الحال ـ عاتبوا الباشا بمجرد نشر الاعلان عن نشر ذكرياته في مجلة « روز اليوسف » ، لأنه اختار هذه المجلة بالذات لينشر فيها وهي التي انفقت زهرة شبابها في اضرام نار عداء الرأي العام ضد الوفد . وكان من رأي فؤاد باشا أن بزوغ نجمه من جديد بين سطور وصفحات « روز اليوسف » فيه ترضية تاريخية لا مثيل لها من المجلة للحزب

العظيم العتيد .. على أن الذى حسم النقاش أن بعض أصفيائه وجهوا نظره الى أن نشر هذه الذكريات سيلهب من جديد ضراما كان قد خبا تحت الرماد ،وسيثير من جديد حساسيات كانت قد طواهـــا الزمن ، وقد يضـــطر بعض ذوى الآراء المعارضـــة الى الرد وفى هـــذا ما فيه من « شرشحة » لصفحات قديمـــة يستحسن أن تظل على قداســـتها أو عراقتها .. واقتنع الباشـــا وأرسل برقيته أياها .. ثم آثرنى بحلقـــة واحدة من ذكرياته عاد فتبرأ منها . سامحه الله وسامحنا !

على أن قصتنا مع فؤاد باشا سراج الدين ــ وأنتهز هذه الفرصة لأؤكد من جديد تقديرى لتاريخه ولســـجاياه ، وتعاطفى مع معاناته الشخصية فى أعقاب قيام ثورة ٢٣ يوليو .. أقول أن هذه القصـــة أرحم من قصـــتنا مع شخص آخر يقدم نفسه على انه وزير مع أنه ليس ليس وزيرا ولا حاجة . وانما هو رجل انتفع باسهال الألقاب الذى جعل من لقب وزير درجة مالية تمنح بســـخاء ..

هذا الوزير ، الذى ليس بوزير ولا حاجة ، قربته ظروف معينـــة من الرئيس الراحل عبد الناصر هى أن والد الرئيس الراحل كان موظف بريد متواضع بالقرب من عزبة والد صاحبنا الذى نتكلم عنه . فكان الوالد يتحف موظف البريد فى المواسم والأعيـــاد بشىء مما حباه الله من رزقه .. فلما تربع عبد الناصر على قمة الســـلطة اختار طلاله ــ من دون الناس جميعا ــ ابن الاقطاعى القديم الذى كان نصف ماله فى المنطقة أيام طفولة عبد الناصر . وفى رأينا أن ايثار عبد الناصر لهذا المخلوق ليس له الا تبرير واحـــد : هو الافتراس الطبقى .. فما من شك فى أن الرئيس الراحل كان يمارس متعة ظاهرة وباطنة فى أن يرى الى جانبه

فى منتصف المسافة بين الشماشرجى والسكرتير ، ابن الاقطاعى القديم الذى كان ظل الله على الأرض .

ولكن ـ وبصرف النظر عن القيمة الفعلية لشخصية هذا الوزير الذى هو لا وزير ولا حاجة ـ فانه ما من شك فى أن صلته بالشخصية بالرئيس الراحل وضعت يده على كثير من الأسرار والأخبار ـ ولهذا لم أبال بسخرية الساخرين وتفرغت كلية لصياغة مذكراته وكانت مهمة شاقة حقا !

فالرجل أصلا لا يكاد يفيق بفعل مالا أدريه ـ ثم ان الطريق اليه كان عبارة عن سفر يومى مقدارها مائتان وخمسون كيلو مترا ذهابا وايابا على أرض نصفها ممهد ونصفها فى مثل وعورة نيته .. وكان استخراج الحقائق من مثل هذه الذاكرة المكدودة واللسان المشوش والعقلية المهوشة أمرا يكاد يكون مغامرة . ولكننى اجتزتها والحمد لله .. واعتبرت أن كل ما مر بنا فى هذا السبيل نوادر أو فكاهة . من ذلك أن الظروف اضطرتنا أن نبيت عنده ـ المصور الفنان حسين الرملى وأنا ـ فكانت ليلة من أتعس ما مر بى شخصيا بسبب البعوض الذى هجم علينا بجحافله هجوما مفزعا طاش منى اللب بفعله وقررت عند الفجر أن أبارح المنطقة على الرغم من الذى الجأنا أصلا الى المبيت عنده هو أن عطبا مفاجئا ألم بدينامو سيارتى فأصبح ركوب الليل الى القاهرة مغامرة غير مأمونة .. وليتنا أقدمنا عليها فذلك كان أيسر من العذاب الذى قاسيناه .

والقصة لم تنته بعد . فعندما تعمدنا أن ندق بابه ونطير النوم من عينيه بحجة الاستئذان في الرحيل .. اكتشفنا انه ملأ غرفته بمبيد للبعوض ذي رائحة عطرية ، ونام ملء جفنيه وتركنا نقاسي الأمرين ..

ثلاثة وستون يوما في ظل هذا العذاب امتدت رحلتنا ـ جهاز التسجيل والقلم والأوراق وأنا ـ مع هـذا الوزير الذي لا هو وزير ولا حاجة ، ولكنه يملك ناصية كنز حقيقي من الأخبار والأسرار .. وما أن انتهت مهمتي حتى استكتبته إقرارا بأنه راجع ما صغته على لسانه كلمة كلمة ، ثم ذهبت أعد كلامه للنشر في مجلة لها تاريخ .. مجلةعزيزة على قلبي ..

فماذا حدث ؟

وقع ما كان لا بد أن يقع . ومن جديد طعن قابيل شقيقه . وتمرد فرانكنشتاين على صانعه . وكافأ الطاغوت المهندس الذي بنى له القصر بأن ألقى به من شاهق . وتفرعن من ظللت أعلمه الرماية كل يوم .. فلما اشتد ساعده رماني .

ذلك انه يحكى انه كانت هناك مجلة تبحث عن قراء .. وكان ثمة صحفي يبحث عن نافذة يطل منها على الرأي العام . والتقى الاثنان : الأعمى والمقعد . فقاد أحدهما أقدام الآخر الى الطريق الصحيح .. وحمل الآخر الأول عبر ذلك الطريق . جدد الصحفي شباب المجلة وصعد بها من سفح الـ ٢٨٫٤٢٥ نسخة الى قمة المائة ألف كل أسبوع ..

وأكدت المجلة فحولة فكر الصحفى وقدرته على قيادة تيار يتبعه فيه الآخرون . وفى أول الأمر .. كان الاثنان – الصحفى والمجلة – كانا من الحكمة بحيث لم يبدءا لحظة واحدة ليناقشا سؤالا سخيفا هو : من فيهما صاحب الفضل على الآخر ؟ .. ذلك أنه اذا كان الصحفى قد أدخل المجلة فى عشرات الآلاف من البيوت التى كانت تتجهم لها ، فانه فى نفس الوقت دخل بها ومعها . واذا كان قد زرع لها بيده وحده جناحين حلقت بهما فى ذروة الصحافة الأسبوعية فى الشرق الأوسط كله ، فانه فى نفس الوقت تعلق بالجناحين وأفلت بأعجوبة من حصار فرضه عليه الجهل والغوغائية وتحويل القلم من رسالة الى وظيفة !

وهكذا نشأت بين الاثنين – الصحفى والمجلة – علاقة حب صوفى حاول كل منهما من خلالها أن يعطى ما يستطيع للآخر . ولأسباب كثيرة فان ما استطاعت المجلة أن تعطيه للصحفى كان أقل بكثير مما تفانى الصحفى فى منحه للمجلة ..

ولحسن الحظ ، أو لسوء الحظ ، فان الصحفى كان يعرف منذ بداية البداية أن قوانين الطبيعة الانسانية وقوانين لعبة السياسة ستتضافر على انهاء شهر العسل الذى عاشه الصحفى مع المهنة ومع المجلة معا ..

وحتى لا يبدو الأمر لغزا أو فزورة ، فمن الواضح أن الصحفى هو كاتب هذه السطور .. أما المجلة فهى تلك المجلة التى عاد اليها ، بفضل الصحفى وحده ، مجدها الذى كان قد غادرها يوم تركها احسان عبد القدوس ..

ولأن المشكلة بين الصحفى من جهة ، وبين المجلة والوزير من جهة ، معروضة الآن أمام القضاء ، فان القلم يتأدب عن الخوض فى تفاصيلها . وان كان يكتفى بأن يشير الى أن هذه القضية ستضع كثيرا من النقط على الحروف فى شأن قواعد المذكرات .. فهل يجوز للسياسى أن يتعاقد على نشر حديث له ثم يفسخ تعاقده ؟ وهل يجوز لرئيس تحرير أن يطوع مادة صحفية لعقيدته السياسية الخاصة ؟وهل يجوز لرئيس تحرير أن يستغل خلافا بين زميل له وبين مصدر سياسى ليطلش مجهود الزميل ويوسع الهوة بينه وبين المصدر ، وهل يجوز لكاتب أن ينسب لنفسه مجهود زميل له حالت الظروف بينه وبين ظهور اسمه على ما يكتب ؟ وهل يجوز لصحفى أن يقذف فى حق زميله فى مجلة واسعة الانتشار كان هذا الزميل بالذات — ومن دون عباد الله جميعا — سببه انتشارها وانتقالها من خانة الـ ٢٨ر٤٢٥ نسخة الى خانة المائة الف ؟

هذه كلها أسئلة سيتولى الاجابة عليها القضاء وميثاق الشرف الصحفى وضمير حملة الأقلام المصرية .

ومن حسن الحظ ان قصة القلم مع فتحى رضوان مرت بلا مشاكل ، وكان من الضرورى أن تمر بلا مشاكل ، لأسباب تتصل بطبيعة فتحى رضوان المستقيمة ، وخلقه الواضح ، واحترامه لكل صاحب قلم ، لا عجب فهو نفسه صاحب قلم من أكبر الأقلام . وأغزرها انتاجا وأشدها فاعلية وأعمقها تعبيرا عن الشخوص والأحداث .

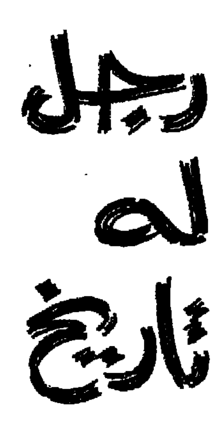
وبموافقته ننشر هنا جانبا من ذكرياته عن أسرار « حكومة يوليو » وفيها يتحدث عن أسرار كواليس الثورة ثائرة ثم حاكمة . ويكشف الستار عن حقائق لم يسبق نشرها ، ويحلل كثيرا من الأحداث ، مكتفيا بالجانب الذى رآه بعينه أو ساهم بصناعته ، منها .. وقد سمحنا لقلمنا ــ بعلمه وموافقته حينا ... وبعلمه وتحفظه حينا آخر ــ أن نضيف فى بعض الأحيان على مسئوليتنا ما يكفى لالقاء الضوء على الجانب المبتور من الرواية .. وهذه الاضافات لا تلزم الأستاذ فتحى رضوان بطبيعة الحال ، وان كانت تشهد على سعة صدره ، ورقة طبعه ، وتزاحم الفنان والانسان فى صدره .. ولا أجد لتقديم ذكريات فتحى رضوان خيرا من تقديم صلاح حافظ لهذه الذكريات .. اذ كتب يقول :

لا يتمتع الا عدد قليل جدا بمثل الكنز الذى يتمتع به فتحى رضوان من أسرار السياسة المصرية المعاصرة : وبالذات فى السنوات الأولى من حكم ثورة يوليو !

فهذا الرجل الذى كان زعيما « للحزب الوطنى » عندما نشبت الثورة ، كان أول من أنشأ لها وزارة للارشاد « الاعلام » . وتولاها بنفسه ست سنوات . وعاش صراع الكواليس طوال هذه السنوات يراقب ، ويسجل ويتأمل ، ويقول رأيه ، ويسمع آراء الآخرين .. الى أن شبع من لعبة الحكم ، وتذرع بالمرض لاقناع جمال عبد الناصر باعفائه .

وبمنطق المحامى ، وخبرة المناضل ، وفلسفة الكاتب ، سجل فتحى رضوان كثيرا مما مر به فى مذكرات لم يطلع عليها أحد بعد . وما يزال يرفض أن يسجل الباقى ، لأن فيه أسرارا تمس آخرين .. وتسىء إليهم !

ضياء الدين بيبرس
١٩٧٦



● مقدمة بقلم : حافظ محمود ●

ذهبت لالقى محاضرة فى مدرسة بنى سويف الثانوية ، وما أن فرغت من القائها حتى سمعت اسم « الطالب » فتحى رضوان يتردد فى تعليقات ناظر المدرسة والأساتذة ومندوب الطلبة .. كانوا كلهم يقولون فى تعليقاتهم على محاضرتى :

« لقد ذكرتنا بفتحى رضوان ابن مدرسة بنى سويف الثانوية الذى التحق بكلية الحقوق !

وذهبت لالتقى بزعيم سوريا قبل الحرب العالمية الثانية ، وهو الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، فما أن قدمنى اليه مرافقى حتى قال لى :

« انني أعرفك من قبل » فلما سألته من أين له هـذه المعرفة وانا لم ألتق به من قبل ، قال : لقد التقيت بصديقك فتحي رضوان الطالب بكليـة الحقوق وحدثني عنك في أكثر من مناسبة .

وعقب التخرج انشأنا بالاشتراك مع الأخ الأستاذ أحمد حسين جريدة « الصرخة » .. كنت أنا رئيس التحرير وكان أخي أحمـد في الوضع الذي يسميه الصحفيون مدير سياسة الجريدة ، ومع هذا فقد كان أكثرنا اقبالا على أعمال التحرير في هذه الجريدة هو فتحي رضوان . لقد كان أحمد حسين حين يكتب يثير من حوله الضجيج ، ومع هـذا فقد كان أغلب حديث الساسة عما نكتبه نحن الثلاثة حديثهم عن مقالات فتحي رضوان ..

لقد خيل الى ذات مرة أن أخي فتحي قد ولد ناضجا ، والا فماذا تقول في طالب بالمدرسة الثانوية يلقى المحاضرات التي لا يلقى الأساتذة مثلها .. وماذا تقول في الطالب بكلية الحقـوق الذي تعرفه مجالس الزعماء العرب .. وماذا تقول في خريج جديد يلفت أنظار كبـار الرجال بما يكتب ؟

ولم يكن أخي فتحي يلفت الأنظار اليه بما يكتبـه فقط ، بل بما يعمله أيضا .. انه وهو طالب في كلية الحقوق قد أنشأ « رابطة الطلبة الشرقيين » وكانت كلمة « الشرقيين » حينما كنا فتيانا تعني «العرب» . ولكي يدعم فتحي مشروعه طاف بالبلاد العربية الشـقيقة داعيا لفكرته حاشدا لها الطلبة من أبناء هذه البـلاد ، وكان في هـذه الجولة يلتقي

بزعماء التحرير فى كل بلد عربى يزوره حتى توطدت الصلات بينه وبين عدد منهم .

كان فى هذه الجولة يتصرف كمــا لو كان مرتكزا على قوى مادية وأدبية كبيرة ، مع اننى أعلم انه لم يكن مرتكزا الا على جهده وعلى ماله، مال الطالب متوسط الحال يحرم نفسه مباهج الحياة لينفق ما يدخره على مشروعه !

ولقد سجنا معا ! هو وأنا والأخ أحمد حســين فكان أحمد يبهر سجانيه بشجاعته ، أما فتحى فكان يبهرهم بكبريائه ..

أذكر فى أول مرة اعتقلنا فيها معا أن نقلنا الى قسم شرطة الموسكى فى انتظار النائب الذى سيتولى التحقيق معنا .. كان شباب الضباط الذين أوفدوا للقبض علينا يحيطوننا بكل تكريم ، فلما وصلنا الى مقر « القسم » ليلا ، فتحوا لنا غرفة « المأمور » كى نرتاح على مقاعدهــا الوثيرة الى أن يأتى المحققون الذين أوقظوا من نومهم ليباشروا التحقيق معنا .. وأقبل السيد المأمور فوجد فى غرفته ثلاثة شبان صغار يتبادلون العبارات الضــاحكة ، فغاظه اننا لم نعدل عن هــذه « الثرثرة » كما أسماها بعد قدومه ، فطلب الينا بعبارة ثقيلة أن نحافظ على « النظام » فى غرفة المأمور ، أى فى غرفته .

أما أنا وأخى أحمد فلم نلق بالا الى ما قــال . أما فتحى فقــد حرص على أن ينبه المأمور بأن هذه الغرفة ليست ملكا له...وقامت بينهما

مشادة انتهت بصدور تعليمات « البيه المأمور » بالقائنا فى محبس القسم مع المحجوزين على ذمة التحقيقــــات من النشــــالين و « الفتــــوات » السكارى ..

فلما جاء رئيس النيابة الذى تولى التحقيق معنا أصر فتحى على عدم السيرفى الاجابة على أسئلة المحقق الا بعد أن يثبت واقعة استغلال المأمور نفوذه ضدنا ، وقبل المحقق منه هذا الطلب ، وحسبنا أن فى هذا الكفاية ... لكننا ما كدنا نخرج من السجن حتى كان فتحى رضوان فى اليوم التالى مباشرة يتخذ الاجراءات القضائية ضد المأمور ... وكانت قضية تندر بها الناس حينا ، لكن فتحى رضوان كسب هذه الجولة حينما عن حكومة الثورة انما يتحدث حديث خبير .

يخيل الى اننى بهذه الرواية قد قدمت بعض الجوانب فى تكوين شخصية اخى فتحى .. وقد تكون هناك جوانب أخرى لا تقره عليها ، أو هو لا يقرك على بعض الجوانب فى بنائك الفكرى ... ومع هذا تجده يضع خطا فاصلا بين هذا وبين الجانب الانسانى الذى يربطه بأصدقائه .

اذكر انه حين أصــــدر كتابه « عصر ورجال » وهاجم فيه كل المسئولين عن الماضى على مدى النصف الأول من القــرن العشرين اننى انتقدت هذا الاتجاه انفــكرى منه انتقادا شــديدا فما تأثر وما تبدل وده معى .

ان فتحى رضوان لا يستثنى من ساسة الجيلين الماضيين الا مصطفى كامل ومحمد فريد ومن تبعهما باخلاص .. انه يرى أن مصر لم تشهد

زعيما سياسيا كهذين الزعيمين ، وليس شك ان هذا رأى .. لكن فتحى يتخطى دائرة الرأى الى دائرة الحب ، ولو أن كل رابطة روحية بين زعيم وبين حوارييه كهذه الرابطة لتغير وجه الدنيا بأسرها ....

ان مصطفى كامل قد توفى فى سنة ١٩٠٨ قبل مولد فتحى رضوان بثلاث سنوات . وان فريدا قد توفى وهو فى الخارج حينما كان فتحى تلميذا ناشئا فى المدرسة الابتدائية .. ومع هذا فهو يتحدث عنهما كاتبا وخطيبا ومؤلفا ومحاضرا كما لو كانا أصدق أصدقائه ! ..

فتحى رضوان وحده . ودون اية جماعة خلفه ، يحيى ذكرى مصطفى كامل فى كل عام .. وحيما جاءت الذكرى الخمسون لوفاة محمد فريد أقيم بهذه المناسبة احتفال كبير بدار الأوبرا ، وظن الذين شهدوا هذا الاحتفال أو نشروا عنه فى الصحف أن هناك تشكيلا وراء هذا الاحتفال ، ولم يكن هذا التشكيل الا فتحى رضوان وحده !

هذه الروح الجياشة هى التى أهلت « الشاب » فتحى رضوان لأن يتزعم الحزب الوطنى ، حزب مصطفى وفريد ، قبل قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ بآحاد السنين رغم وجود عدد من « الأساطين » من خلفاء مصطفى وفريد ..

وليس من شك ان هذه الروح الجياشة هى التى لفتت الى فتحى أنظار ثورة يوليو فاختارته وزيرا فى أول وزارة للثورة ومن هنا فهو حين يتحدث عن حكومة الثورة انما يتحدث حديث خبير .

أنا قد أكون معه وقد لا أكون فى الكثير مما سجلته هذه المذكرات المنشورة فى هذا الكتاب لكننى على أى الحالين أعتقد مخلصا أنه ما من وزير من وزراء الثورة « المدنيين » قد فجر المعانى التى فجرها فى هـذه المذكرات على مسئوليته .

نحن نريد الكثير من مثل هـذه المذكرات .. نريد أن يجد الذين يدونون التاريخ امامهم تسجيلا منشورا يستطيعون الرجوع اليه لأن الذين يسجلونه ناس قد اتصلت بهم الأسباب مع ما سجلونه بأقلامهم .

بعض الأصدقاء ، ومنهم فتحى رضوان ، يرون اننى قد بدأت شيئا من هذا التسجيل بما نشرته من الفصول فى الصحف والكتب والاذاعات عن الجيل الماضى الذى ادركت بعض جوانبه على أن الحقيقة ننى لم أكتب « ذكريات » فقط ، والذكريات ليست الا مجرد مدخل الى « المذكرات ». مراكز المسئولية ، اللهم الا المسئولية الصحفية أحيانا .. فانا كنت أكتب « ذكريات » فقط ، والذكريات ليست الا مجرد مدخل الى «المذكرات» . ومن هنا تبدو فصول هذا الكتاب فى مرتبة أعلى من الذكريات .

ليس معنى هذا ان مذكرات الساسة قضايا مسلم بها .. لكنها بالقليل تحمل من الوقائع ما يثير الطريق أمام المؤرخين ، وعلماء التاريخ يعرفون كيف يفرقون فى المذكرات بين الجوانب الذاتية التى يتعارض فيها الناس وبين الجوانب الموضوعية التى لا سند للمؤرخ فيها الا أصحاب المذكرات .

فسواء اتفقت فى « الرأى » مع صاحب المذكرات او اختلفت معه الا انك أول الأمر وآخره واجدا فيه شاهدا من شهود النفى أو الاثبات لوقائع التاريخ وعلى محكمة التاريخ أن تأخذ من شهودها ما ينفع القضية التى تدافع عنها جميعا .. قضية ان هذا الوطن لم تخل فيه مرحلة من عقول تفكر وتدبر وتضع أمام المواطنين صورا حية تدل على أن هذا الوطن لن تتحشرج نبراته التاريخية أبدا .



كانت علاقة فتحى رضوان بالصحفيين ولا زالت باستمرار وثيقة .. فهو فى مقتبل حياته كان خبرا من أخبارهم ومادة لأقلامهم مطاردا ومكافحا وسجينا وسياسيا ... ثم أصبح زميلا لهم لما مارس الصحافة كمناضل وزعيم للحزب الوطنى الجديد . ثم أصبح مصدرا من مصادر الأخبار مع ميلاد ثورة ٢٣ يوليو .. ولما خرج من صورة السلطة استمرت علاقة الصحفيين به كاتبا وروائيا ومؤلفا وباحثا ومساهما بالفكر والرأى فى معظم الشئون العامة بقدر ما أتيح له من حرية ... وهذه الصورة تمثله مع نخبة من القيادات الصحفية فى مستهل أيام الثورة . والواقف أمامه فى أقصى اليمين) هو الصحفى الشاعر كامل الشناوى والى يمينه الكاتب الكبير احمد بهاء الدين . وترى على يسار كامل الشناوى فقيد الصحافة أحمد قاسم جودة . ثم (موليا ظهره للعدسة) الصحفى النقيب المشرع حافظ محمود .

صاحب الفضيلة التاريخ

● مقدمة بقلم : فتحي رضوان ●

حين كنت فى مطالع حياتى كان اسم التاريخ تتداعى له فى رأسى صورة شيخ طويل القامة ،عظيم الهامة ،على رأسه عمامة ،وفى عينيه وحول شفتيه ابتسامة ، وكانت ابتسامته هى أغمض وأجمل ما فيه فهى تتألق فى ناظريه لا تدرى أهى علامة ذكاء أو عنوان دهاء ولا تعلم ما اذا كان يريد أن يقولِ بها : أنا أعرف انكم تكذبون ، أم يود أن يبعث بها فى قلوب الذين يقتربون منه ويتحدثون اليه الطمأنينة وراحة البال ليفضوا اليه بكل ما لديهم وينفضوا بين يديه كل ما وصل الى أيديهم أو ترامى الى أذنيهم أو مر على عينيهم بخيره وشره ، حقيره وجليله ، وكثيره وقليله •

ولكن أيا كانت حقيقة هذه الابتسامة وسرها المكنون فقد كان (التاريخ) عندى كائنا حيا يعقل ويفكر ويسمع ويسطر ويميز ويختار

ويهتدى ويحار ويدقق . وكلما تقدم بى السن ، ورأيت الأحداث تصنع، والرجال تظهر والقرارات تصدر ، والاهواء تسود ، والمخاوف تتحكم ، أشفقت على هذا الشيخ الهرم الهادىء الرصين الذى لا تفارقه ابتسامته والذى لا ينفذ صبره فلا يفض مجلسه ولا يبارح ندوته مهما توالت الأيام والليالى أو اشتدت المحن والخطوب .. فكأن بينه وبين عالم الناس حاجزا رقيقا يصد عنه ما يجرى وراءه وان كان لا يمنع قادما اليه أو لائذا به .

وطالما قلت لنفسى : أيكون فى وسع هذا الشيخ الجليل أن يوفق بين المتناقضات ، ولا يضيق صدره بالمهاترات ، ولا يصيبه أرق وضيق صدر من الذين يقولون الشىء وضده، والذين ينكرون الواقعة ثم يثبتونها ، والذين يبدون ابرارا فى حين واشرارا فى حين ، فيصعب على الناظر اليهم والمعارف لهم أن يقول الى أية طائفة ينتسبون وعلى أى مذهب يروحون ويغدون .

وبقيت هكذا ، كلما أتيحت لى فرصة أفكر فيها فى التاريخ كشخص مجرد ، حتى سئمت التفكير فيه وقررت أن أكف عن هذه المحاولة لأنها لم تعد مجدية ولا منتجة .. حتى وقعت فى يدى دراسات يكتبها مؤرخون عن التاريخ من حيث هوعلم فسرنى وسرى عنى أن ما كنت أراه عندى احساسا غامضا أو ما كان يساورنى خاطرا يقترب ويبعد فلا أكاد أمسك به ... كان عند غيرى حقيقة علمية مؤكدة ـ بعد طول الخبرة والدراسة ـ ولست أريد أن أثقل عليك بأسماء الدراسات والدارسين ... حسبى أن أذكرك مرجعا صغيرا لمؤرخ كبير هو أدوارد كلاك المعنون : ما هو التاريخ ؟

ولست أنوى أن أنقل لك منه مقتبســـات فالمجال لا يســمح بذلك

ويكفى أن نهى اليك مجمل فكرة الكتاب وهى لا تعدو ألفاظا تعدعلى الأصابع تقول : ليس هناك تاريخ ولكن هناك مؤرخون وليس هناك واقعة تاريخية وانما هناك واقعة راقت لمؤرخ فضمنها ما كتب ... ولو لم يفعل لبقيت خارج نطاق التاريخ وقد تقع الواقعة الضخمة ولكن تبقى بعيدا عن اهتمام المؤرخين أو عن مقدورهم على تناولها بدافع الخوف أو الهوى أو المصلحة فتنسى وتحل محلها واقعة أخرى تحجبها وتصبح هى"الحقيقة الرسمية .

ما معنى هذا ..

أمعناه ان التاريخ ليس علما وانما هو مجموعة من الأكاذيب الرسمية والعرفية والأوهام الصادرة عن اناس يصدقون ما يتصورون وطرائف وسخافات . والواقع ان فى الوسع أن نقول (لا) ردا على هذا التساؤل وأن نقول فى الوقت نفسه (نعم) . ولا غرابة فى (لا) التى تجـــاور (نعم) ولا يقوم بينهما ما يقوم عادة بين الاضداد من شجار وصدام ... أو لايكون بينهما غالب أو مغلوب الا أن يتدخل بينهما بعض أهل الخير فيصلح بينهما ويتعايشان فى صـــفاء حقيقى مرده ايمان كل منهما بأنه لا سبيل الى الغلبة والفـوز على جاره كما حـدث فى التـاريخ مرارا بين قوتين ضخمتين تحاول كل منهما كسر أنف الأخرى وجرها وراءها حتى يستحيل ذلك فتقبل أن تدع جارها يعيش وتعيش هى مثله ..

ولكن (لا) و (نعم) فى التاريخ مثل (لا) و (نعم) فى كل شىء انسانى ... ذلك لأن الانسان منذ خلقه الله وهو يتضمن فى ذات نفسه

الملايين من (لا) والملايين من (نعم) ففيه الكرات الحمراء والكرات البيضاء فجسمه ميدان لمعركة لا تنتهى وهو لا يدرى ان ملايين من خلايا هذا الجسم تبلى كل يوم وتستهلك فتحل محلها ملايين أخرى وحينما خلقه الله قال للملائكة : « انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » فاجتمع فيه الطين ، ارخص المعادن ، وروح الله أسمى ما يبلغ اليه ومصدر كل سمو عند المخلوقات التى تملأ هذا الكون الفسيح الذى يتجاوز أرضنا وشمسنا وما نعرف من الأفلاك والنجوم والكوكب .

ومن الطين وروح الله ، يتشكل كل عمل انسانى حتى ما نسميه « علما » ، فيما نعلمه اليوم ونحسبه الحقيقة الكاملة يتضح لنا على مر السنين انه خرافة أو أن بعضه خرافة .. فعندما كان يؤمن بعض الناس بأن الأرض المسطحة كان هناك من ينكر هذا جاهلا يرجم .. ومن كان يظن أن الشمس أصل والارض تابع لها يكفر بالله ويطرد من رحمة الكنيسة فالارض مركز الكون وروما مركز الأرض ومدينة الفاتيكان مركز روما وهكذا ..

كان الجذام أخطر الأمراض وأسرعها انتقالا بالعدوى ، ثم ثبت أنه واحد من الأمراض القليلة التى لا تنتقل بالعدوى فثبت أن جميع الاحتياطات التى كانت تعمل لكيلا يخالط الأطباء والممرضين لمرض الجذام فى مستعمراتهم عبث لا طائل تحته ، ومال ضائع بغير مقتضى .

والتاريخ علم انسانى أو محاولة انسانية لمعرفة ماضى الانسان فلا

ننتظر من هذه المحاولة الا الصدق والكذب والحقيقة والخرافة والتأكد والتثبت والتحقيق والتمحيض والاهواء والاطماع والشهوات .

فالاشفاق على هذا الشيخ الهرم ذى الوجه السمح ، الذى تتألق فى صفحته عينـــان باسمتان ناطقتان باللطف والعطف والرفق وسـعة الصدر لا محل له ، لأنه يعرف أنه يتصل بالناس يســمع عنهم فكأنهم أولاده فلا يغضـــب منهم ، ولا يحـاول أن يقـوم معوجهـم ، لأنهم لو استقاموا وقالوا الحق ولا شيء الا الحق لمات التاريخ ... فالتاريخ أوجده كذب الناس أكثر مما أوجده صدقهم .

على أن التاريخ قد وجد تسلية كبيرة وتعزية فقد كان لا يســمع الا عن الساسة والقادة والملوك والأمراء والحروب والمعاهدات . ولا شك انه حديث مسئم ككل شيء رسمى يدعى الوقار ويتظاهر بالجد والرصانة... فقد بدأ كائن جديد يظهر وحاول أن يحتل على خشبة مسرح التــاريخ مكانا . وقد كان هذا الحيز الذى ظفر به أول الأمر ضيقا ولكنه زاد مع الأيام ، وكبر حتى كاد يبتلع الخشبة كلها ويستأثر بها ويرد عنها الممثلين القدامى ذوى التيجان المذهبة التى تلمع فيها الجواهر الغالية والماسات النادرة ومن لف لفهم من الأمراء والوزراء والكهان والأحبار..ذلك المخلوق الجديد هو الشعب ، الذى تمثل فى جموع هائلة تتدفق تدفق الجراد على القصور والقلاع فتقتحم أبوابها ، وتعلوا أسوارها ، وتدخل فى بهائها وردهاتها بنعال ممزقة تطل منها الأصابع والأقــدام وبسراويل مهلهلة تكشف عن الأفخاذ والسيقان ، وبشعور شعثاء غبراء لم تعرف للماء طعما ولا للمشط اسما .. هذا الشعب أدخل الى سكون التاريخ مذاقا جديدا

وطعما سائغا .. فمن ماسح أحـذية الى رئيس جمهورية ومن شريد طريد لا يجد قوت يومه الى قائد جيوش جرارة لا تتفق عبقريته الا عن الطريف والغريب من خطط الحرب واساليب المعارك ، ومن خلف هؤلاء مئـات من الصغار وأشـباه الـكبار الذين كان التاريخ يمر بهم مغمض العينين لا يلتفت ولا تطرف عيناه . هؤلاء لديهم أسرار عجيبة وعجائب غريبـة عن العظماء صانعى القرار والعلاقات التى تربطهم بعضهم ببعض ووسائل وصولهم وأساليب ظهورهم ومزاجهم وطباعهم .

وكان شيخنا الهرم الوقور ، بلحيته الطويلة المسترسلة وعينيه الضاحكتين اللتين لا يضعف لهما بريق ، يحسب ان الأمر سيقف عند حد الزعامات الحديثة الخارجة من صفوف النجاريين والحدادين والغسالات والمرضعات .. فان الأمر يهون اذ لايصل واحد من هؤلاء الى مرتبة الزعامة والرياسة حتى يصبح فى مثل أبهة وترف الملوك القدامى الذين أطاحت رؤسهم المقصلة أو التفت حولها حبال المشنقة أو الذين نجوا بجلودهم من منطقة الخطر وربما حملوا مع جلودهم الملايين من الذهب النضار .. ولكن لم تلبث خشبة مسرح التاريخ العام أن أصبحت فى متناول فئات أخرى لم يكن يخطر ببال هذا الشيخ العظيم أنه سيفكر فيها أو ستفكر فيه فاذا هى شغله الشاغل حتى خاف على وقاره أن يتزلزل : ورفيع مقامه أن يهتز ، فقد لحق بالزعماء مئات بل ألوف من الشعراء والكتاب وأهل الرأى وقد كانت حججهم أنهم صانعوا التاريخ الحقيقيـون وأن الملك والرئيس والزعيم والوزير ليسوا سوى (الدمى) فى مسرح تغنى وترقص وتتحرك وتهتز وتضحك الناس وتسليهم .. وليست سوى أداة من قماش وخشب فى يد لاعب ماهر يطويها ويبسطها ، ويرفعها ويخفضها ، ويضع فيها صوته

ويجعل على لسانها كلامه .. وقبل شيخنا لسعة صدره وطول حلمه هذه الحجة .. ولم يرفضها ولكن لم يلبث أن جاء وراء هذا الفوج الجديد الذى دخل الى عالم التاريخ فوج آخر لا يتزمت ولا يلتزم قواعد الحشمة ذلك هو فوج الفنانين والفنانات والمهرجين والراقصات ومهربى الخمور والمخدرات ومرتكبى الجرائم والجنايات ، وقفوا جميعا أمام منصة الشيخ العاليةوصاحوا بما يشبه الوقاحة والألفاظ النابية والتلويحات الشديدة والعبارات الجافية : نحن التاريخ الحقيقى أيها الشيخ .. واحذر أن تخرجنا عن طورنا فتصيبك منا ألفاظ جارحة لا يمكن أن تثبت لها أو

تصمد أمامها على طول ما جرحك الناس وأساءوا الشهادة فى حقك .. نحن التاريخ الحقيقى اذ أن الحياة التى يصنعها الساسة والقادة هى مجرد الواجهة والحياة التى يصنعها الشعراء والمفكرون هى الخميرة اما الحياة الكاملة بكل عناصرها التى تنعكس عليها حقائق نفوس الناس وما يساورها من أحلام وأوهام وما يخطر ببالها من تصورات وتطلعات فهذه هى الحياة التى يصورها ويعبر عنها ويوحى بها ويخرجها الفنانون والخارجون على القانون فبغير نشاط وانتاج هؤلاء يكون الانسان الحقيقى بلحمه ودمه الا خيالا أو صورة .. وفى زحمة هذا التطور الطارىء والتصور الخبيث ظهر عنصر المذكرات الشخصية لا للزعماء الرؤساء ولا للمفكرين والفنانين بل لكل من ساهم فى شىء احتفل به الناس وأثار انتباههم فمن مذكرات شارلى شابلن الممثل والمخرج الى مذكرات « ايزودورا دنكان » الراقصة البارعة ومن مذكرات رئيس عصابة المافيا الى مذكرات جاسوس يعمل لحساب دولتين وهكذا وهكذا .

وقد كان عهد المذكرات على حداثته ضئيلا فالتاريخ على طوله لم يظفر إلا بعدد قليل لكثرة الحرب وتواليها ودخولها بطائراتها ودباباتها الى القرى والبيوت بعد أن كان للحرب ميدان تجرى فيه فى الصحارى وعلى الشواطىء بعيدا عن المدن العامرة أو المنازل الآهلة ثم توالى الاضطرابات وتتابع الأزمات : أزمات السياسة والمال والحكم والمعارك الاجتماعية.. تشعر الانسان بأن ثقته فى نفسه تتداعى وتنهار وأنه أحوج ما يكون الى تثبيتها وتأكيدها فكثرت تراجم العظماء أشباههم من رجال الماضى والحاضر .. وتلهفت الناس على النظر فى أعماق أعماقها..وسرهم أن يكون لهؤلاء العظماء نقط ضعفهم ومواطن تفضحهم وتهبط بهم الى مستوى الانسان العادى بل الضعيف .

وبقدر ما وجد الانسان القارىء متعة فى قراءة تراجم العظماء وجد هؤلاء راحة فى الافضاء بذات نفوسهم والتحدث عما وجدوه فى حياتهم من أسباب الراحة وأسباب الشقاء فتلقفها الناس تلقفا وأقبلوا عليها بنهم شديد .

ولما كان دستور الحياة فى مصر هو دستور الوقار والرصانة واسدال الستائر على حياة الانسان الداخلية فقد ندر أدب الاعتراف نثرا وشعرا وسادت القوالب الموروثة والصيغ المحفوظة واذا كان الشعراء والكتاب قد خلعوا عن الأدب التزامه فقد كان الساسة والزعماء أولى أن يزيدوا احكام الأبواب والنوافذ على دنياهم الخاصة حتى لا يتسرب اليها فضولى ولا يدخل اليها متلصص أو متجسس..ولكن تاريخنا المعاصر ظفر بيوميات رجلين من أكبر رجال مصر حظا من الهزة والمكانة والاثر

فى حياتنا أولهما محمد فريد الزعيم القائد للحزب والذى خرج بالحركة الوطنية من دور العبث فى عهد مصطفى كامل الى دور ارساء القواعد ووضع الخطط والنزول المباشر الى المعارك مع عدوى مصر التقليدين : السراى أى الوالى أو الخديو أو السلطان أو الملك والعدو الأجنبى : أى الانجليز . وسعد زغلول المحامى فالقاضى فالوزير فعضو الجمعية التشريعية فرئيس الوفد فزعيم الأغلبية .

وقد اطلعنا كل من فريد وسعد على دنياهما وهما يخلوان الى نفسيهما يتأملان الاحداث ويعلقان على الأشخاص ويريان الناس كيف تتكون أفكارهم وتتخلق تصوراتهم . ولقد بلغ كلاهما الى أقصى الحد فى الصراحة .. ولقد بقيت هذه المذكرات فترة نسمع عنها ولا نعرف أهى حقيقة أو وهم ثم سمعنا انها محل نزاع بين الورثة وخلفائه فى الحزب ثم استقر آخر الأمر بين يدى الحكومة حينما أنشأت حكومة ثورة ١٩٥٢ مركز الوثائق التاريخية وضمت اليه جميع المذكرات والرسائل التى خلفها رجالنا فى الحقبة الأخيرة من حياتنا العامة .

واذا كان انصار سعد زغلول الكثيرون يجدون فى شخصه وكفاحه الكثير مما يدعوهم الى الاعجاب به والاشادة بموافقة ومزاياه فان الذين يعارضونه ولا يزالون يأخذون على ماضيه قبل ثورة ١٩١٩ تعاونه مع الاحتلال البريطانى واخفاق ظنه فى معتمد هذا الاحتلال اللورد كرومر فى دعوته الى تعليم أولاد المصريين فى مدارس المصريين جميع المواد باللغة الانجليز ، ودفاعه عن مد امتياز قناة السويس وموافقته على اصدار قانون المطبوعات المقيد للحرية الصحفية . الى آخر هذه المآخذ التى يجد أنصاره لكل منها دفاعا فان هؤلاء المعارضين لا يملكون أنفسهم من الاعجاب

بشجاعته وأمانته ، اذ أبقى مذكراته على حالها حتى بعد أن أصبح زعيم بلاده وبلغ حب الناس له وثقتهم فيه ومغالاتهم فى اكباره وتقديسه أعظم الدرجات فقد كان فى بعض جوانب من هذه المذكرات ما يغض عن قدره عن هؤلاء الانصار المتفانين ومن باب أولى عند خصومه المتربصين . وقد لا يكون متاحا ـ حتى الآن ـ لكل الناس أن يعرفوا شيئا مما احتوته هذه المذكرات فانى أضع تحت الأنظار فقرتين أو ثلاثة منها ليعرفوا كم كسب التاريخ السياسى والتاريخ الذاتى معا ، بمذكرات هؤلاء الزعماء والذين كشفوا بشجاعتهم ودقة أسلوبهم وبراعة تعبيرهم عن الانسان المجرد بعيدا عن التزييف والتلوين .

قال سعد ـ رحمه الله ـ فى الكراسة رقم ٢٦ من مذكراته فى صفحة ١٣٩٠ :

« كنت قبل ١٢ سنة أكره القمار وأحتقر المقامرين وأرى أن اللهو سفه الأحلام واللاعبين من المجانين ثم رأيت نفسى تعبت وتهورت فى اللعب وأتى على زمان لم اشتغل الا به ولم أفتكر الا فيه ولم أعمل الا له ولم أعاشر الا أهله حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالا وثروة » .

وقال فى موضع آخر وهو يتحدث عن برنامجه أثناء اصطيافه فى أوروبا .

« أفطر مع الست (زوجته صفية هانم) والباشا (حماه مصطفى باشا فهمى) وحسن (ابن عديل سعد) فى الساعة التاسعة وبعد أن نتمشى مع الباشا قليلا نعود الى البيت لنلعب البوكر مع الست وحسن الى الساعة الواحدة . . وقد انفعل كثيرا أثناء اللعب عند الخسارة وصادف أن الزهر كان يعاكس وكان زهر حسن ، سعيدا ولكن مع ذلك كسبت ولم أخسر . . غير أن خسارتى كانت من طريقين طريقى وطريق الست » .

ولكن البطل كان يقـاوم هواه فقـال فى مذكراته فى ص ١٥٧٨ نادما مقرعا لنفسه :

« انى أوصى كل من يعيش بعدى ممن لهم شأن فى شأنى انى اذا مت من غير أن أترك اللعب الا يحتفلوا بجنازتى ولا يحزنوا على ولا يجعلوا لقبولى تعزية ولا يدفنونى بين أهلى وأقاربى واصهارى بل بعيدا عنهم وان ينشروا على الناس ما كتبته فى اللعب حتى يروا حالة من تمـكنت من نفسه الرذيلة » .

ولما عزل اللورد كورمر الطاغية الذى كانت بريطانيا باحتلالهـا قد سـلطته على مصر فرح كل المصريين واعتبروا عزله عيـدا لهم ونصرا للحركة الوطنية ولكن سعد زغلول كتب فى مذكراته يصف شعوره عندما علم بنبأ سقوط كرومر :

«كنت كمن وخز بآله حادة فلم يشعر بآلمها لشدة هولها» ثم قال انه ذاهب لمقابلة كرومر فلما سأله هذا الأخير عن الحالة قال له انها سيئة بسبب عزل كرومر قال له كرومر : لا تخف مطلقا فان خلفى سـيقدرك بكل مافى وسعه فيرد عليه سعد : وعنـدما أبدى اللورد كرومر عبـارات التشجيع والتفخيم قلت انه انى لا أفكر فى شخصى ولكن فى بلدى وأمتى التى سوف تخسر بعدك خسارة لا تعوض » .

وفى موضع آخر يقول : فى ١٩ من سبتمبر سنة ١٩١٢ :

« نظرا لقلة الايراد وكثرة المصاريف ثم انى أرى أن الناس قد انفضوا

من حولى .. لهذ الأسباب كنت أفتكر كثيرا فى أن أسعى للخروج من هذه الحالة اما باستعطاف كتشنر أو بارتضاء الخديوى » .

ولا يحسبن أحد أننا نحصى هذه النقائص على سعدفانها وساوس النفس الانسانية . ولسنا نورد هذه الفقرات لنناقش سعدا ولا لنتهمه ولا لندافع عنه ، وانما لنطل الى الجوانب الخلفية من التاريخ فان هذه الأطلالة ليست فضولا ، ولا رغبة فى تقصى هنات أو سقطات العظماء انما هى جزء ممتع من دراسة التاريخ ومن دراسة النفس البشرية ، وما أمتع أن يكون التاريخ نابضا بالحياة الحقيقية لا الحياة المفتعلة التى تدعى كذبا وزورا ان كل العظماء أنقياء فى كل الوقت وانهم معصومون .. ولو كانوا لما كان تاريخ الانسان قد كتب التاريخ لكثرة أخطاء السابقين فأراد أن يتعظ ويتعلم وينتفع بأخطائهم .

فهل سيتعلم الانسان حقا ويتعظ وينتفع .. أرجو .

فتحى رضوان

أسرار حكومة يوليو

بقلم ضياء الدين بيبرس



من محمد نجيب ـ رئيسا ـ الى أخيه فتحى رضوان .. « رمز الوفاء » .!

وإذا برئيس الجمهورية يقف أمام الميكروفون ويخاطب وزيره على الهواء قائلاً: إيه ده ياسي فتحي؟

غلطة فادحة!

إيه ده ياسى فتحى ..

الزمان عام ١٩٥٣ .. والمكان سرادق فى ميـــدان التحرير ، أكبر ميادين القاهرة وأشـدها أناقة فى ذلك الحين .. وقد تجمع فى السرادق صفوة من رجال الثورة والسلطة جاءوا يضعون حجر الأساس لدار الاذاعة والتليفزيون ... أول مشروع من مشروعات ثورة ٢٣ يولية .

وعريس الحفل كان فتحي رضوان ، المحامى الشاب الذى كرست قيادة ثورة ٢٣ يوليو « غداة اعلانها » طائرة عسكرية خاصة ، لنقله من المطار الذى يقع على مشارف زنزانته فى معتقل هاكستيب الى رئاسة مجلس الوزراء بالاسكندرية .. فاذا به بمجرد الافراج عنه يرفض أن يركب الطائرة العسكرية وكانما ليختبر نوايا الثورة الجديدة ، مؤثرا أن يركب طائرة مدنية عادية بعد أن يستريح فى بيته أولا عدة ساعات .. كما لو كان يريد أن يتأكد من انه لم ينتقل من معتقل على الأرض الى معتقل فى السماء ، أو كما لو كان يريد أن يزرع فى وجدانه « فترة انتقال » خاطفة ، يعد نفسه خلالها ذهنيا ونفسيا للعبور من السجن الى قلب الاحداث .

وها هو ذا فتحي رضوان بعد أكثر من عام ، بصفته الوزير المشرف على تخطيط وتوجيه فكر الثورة ودعايتها فى أول وزارة عسكرية مصرية برئاسة اللواء محمد نجيب ، يعرض على رئيسه مشروع بناء دار شامخة للاذاعة والتليفزيون .. مكونة من أربعة عشر طابقا « وكان رقما شاهقا فى تلك الأيام » وتحتضن آخر صيحة وقتها فى فنون وعلوم الاتصال .

وأترك فتحي رضوان يروى القصة بألفاظه ..

« كان المشروع كما عرضه على المهندس صلاح عامر جاهزا وكاملا ومدروسا .. وتحمست له ... واتضح ان العقبة المزروعة فى طريقه ان هناك خلافا بين وزارتى الأشغال والبلديات على ملكية الأرض .. وكان خلافا غريبا .. فالمبنى آخر الأمر سيقام على أرض مصرية .. وهو أولا

واخيرا مبنى مصرى .. وذهبت الى الوزيرين وأنهيت الخلاف بينهما وحصلت على موافقتهما الكتابية .

« وأسرعت بتحديد موعد لوضع الحجر الأساسى لهذا المبنى .. وعرضت الأمر على الرئيس اللواء محمد نجيب بتفاصيله الدقيقة ، ابتداء من تكاليف المبنى نفسه . وانتهاء بتكاليف الحفل المقترح لوضع حجر الأساس .. وعرضت عليه اليوم والساعة المحددين للاحتفال ، فوافق عليهما على الفور .

« ثم شرحت له كيف اننى أدخلت تعديلا مناسبا لمقتضى الحال على تقليد كانت قد جرت عليه العادة فى مثل هذا النوع من الحفلات وهو أن يوضع فى الصندوق الذى يحتوى على حجر الأساس عملة ذهبية وفضية مما تتعامل به الدولة فى تاريخ وضع الحجر .. واذ لاحظت أن قيمة هذه العملات الذهبية والفضية كانت تصل الى حوالى ألفى جنيه مصرى ، فقد جال بخاطرى ان ذلك اسراف يكاد يرتقى الى مرتبة السفه . فاذا كان المقصود اعطاء فكرة عن الحضارة والتصميم والفن فان ذلك كله يمكن أن تغنى فيه العملات الفضية الصغيرة والبرونزية ، يضاف اليها عدد من الصحف الصادرة فى ذلك اليوم .. وبذلك تنخفض التكاليف من آلفى جنيه الى بضع عشرات من الجنيهات فحسب .

« وابدى اللواء نجيب تحمسه للفكرة بلا تحفظ .. ثم أبدى رغبة بتعديل الصيغة التى تكتب على حجر الأساس ، وذلك باضافة الشعار الذى كان قد أطلقه فى تلك الأيام وهو شعار « الاتحاد والنظام والعمل » . فنفذت ما طلب .. وكان من بين تكاليف الحفل مبلغ خمسة وأربعين جنيه

قيمة ايجار السرداق الذى سيقام فيه الاحتفال ، فاذا بالمتعهدين يتنافسون فى شرف التنازل عن قيمة الايجار على سبيل اظهار الولاء للعهد الجديد من جهة .. والتقرب الى الاذاعة التى تمارس نشاطا فى الحفلات يحتاج الى العديد من السرادقات من جهة أخرى .. وقبلنا التنازل ، والنتيجة ان كشف حساب حفلة الافتتاح كان لا شىء » .

« ومن تحصيل الحاصل ان اللواء نجيب قلدنى من عقود المديح على كل ذلك ما أخجل تواضعى .

« وجاء اليوم المشهود والساعة المحددة لتشريف سيادة الرئيس .. ووقف رجال الدولة ساعة كاملة قبل أن يصل سيادته الى مكان الاجتماع ، وطبقا للبرنامج المحدد الذى سبق أن وافق عليه الرئيس بنفسه ، فقد كان المفروض بعد أن انتهى من القاء كلمتى أن أدعوه الى أن يتفضل بوضع حجر الأساس أى أنه كان من المقرر وبموافقة اللواء نجيب طبعا — أن يحضر الحفلة مستمعا لا متكلما ، لأول مرة منذ آن ولى الرئاسة ذلك أنه تعود أن يكون له مكان محجوز للكلام فى كل حفل أو لقاء قبل ذلك اليوم .

ولكن الذى حدث هو اننى بمجرد ان دعوته للتوجه الى مكان حجر الأساس .. توجه الى مكان الميكروفون .

ولعلى نسيت « أو تعمدت أن أنسى حتى الآن » ان أقول ان اسماع ميكروفونات الاذاعة كانت مرهفة فى هذه اللحظات ، تنقل على الهواء الى مصر كلها والعالم العربى كل نامة وكل همسة وكل كلمة .. واذا باللواء

نجيب يبدأ كلامه موجها الخطاب الى ـ أنا الوزير المسئول فى وزارته على مسمع من الدنيا كلها .

ـ أيه ده ياسى فتحي !

سامحنى . لم أنم طول الليل :

نقطع سياق الحديث لفتحي رضوان هنا لنقول أنه يروى هذه الحكاية كما لو كان متفرجا عليها لا كما لو كان ضحيتها .. فهو لا يقحم مشاعره فى الموضوع ، ولا يسرف فى الوصف ولا يحلق فى أجواء الخيال لا يقول مثلا انه لم يصدق اذنيه لأول وهلة ، ولا أنه دهش من هذا التجديد المبتكر الذى يدخله رئيس دولة على منهج مخاطبة وزرائه المسئولين على مسمع من الملايين خارج السرادق فى أنحاء مصر وجيرانها وعلى مرأى من مئات الشخصيات المسئولة والقادة داخل السرادق ، ومن بينهم كل الوزراء الذين سبق لهم الاشراف على الاذاعة فى مختلف العهود .

ويستطرد فتحي رضوان يروى ما حدث بعد ذلك :

« .. ومضى اللواء نجيب يقول أنه لم يسمع شيئا من كلمتى التى قلتها ، فقد كان يفكر ـ على حد تعبيرة فى الوقت الذى ضاع على الدولة فى هذا الحفل الذى لاداعى له ، وفى الأموال التى أهدرت على هذه المظاهرة الجوفاء بينما يعانى الشعب الفقير من البؤس والمسغبة كما كان يفكر طول الوقت فى الارتفاع الشاهق للمبنى المقترح ، فى حين ان المسائل بالمعانى وليست بالمبانى . وكلام كثير يحوم حول هذا المعنى .

« وقررت ـ يقول فتحي رضوان ـ أن أرد فى الحال ، وبوضوح ، واذا كانت العادة لم تجر بأن يتساجل الوزراء على رؤسائهم أمام الميكروفون

فى حفل عام ٠٠ **فان العادة** لم تجر أيضـــا بأن يخاطب رؤساء الجمهورية وزراءهم بهذه الطريقة فى مثل هذا المقام ٠

ولهذا توجهت الى الميكروفون بمجرد ان انتهى الرئيس من كلمته بدأت تعليقى بأن شكرت سيادته على نصائحه الغالية ، وقلت ان وزارة الارشاد يسرها أن تتلقى أول درس فى الارشاد على يد رئيس الجمهورية والمثل العربى يقول ما أرشد من لم يسترشد ٠ ثم اضفت ولعل سيادة الرئيس يذكر اننا عرضنا عليه أدق تفاصيل الاحتفال بما فى ذلك تحديد الموعد باليوم والساعة ٠٠٠ ولعل سيادته يذكر انه تفضل بالمشاركة فى التفاصيل الى حد انه عدل من الشعار المكتوب على حجر الأساس ، وانه عرف كل صغيرة وكبيرة عن طبيعة المبنى الذى سيقام ، وأنه أعرب عن سروره البالغ بانخفاض تكاليف هذا الحفل الى الصفر ٠

« ولما انتهى الاحتفال ودعته بطريقة لائقة ، فاذا به يلتفت الى على مسمع من عدد لا يتجاوز عدد أصابع اليد ويقول فى تأثر بالغ انه متأسف لما حدث ، ويعتذر بأنه كان متعبا وغير مسيطر على أفكاره ومشـــاعره وتقديره للأمور ، لأنه لم ينم فى الليلة السابقة الا بضع دقائق ٠٠ فكررت له شكرى بأدب وهدوء وأحسنت توديعه .

ولكنه لما ذهب الى مكتبه ، وجد ان استقالتى قد سبقته ٠

شهادة لنجيب :

ولأن فتحى رضـــوان كان يعلم مثـــــل الجميع أن محرك الأحداث

الفعلى كان جمال عبد الناصر فقد رأى أن من واجبه أن يترك صورة من الاستقالة لجمال عبد الناصر فى بيته . فنأخذ هنا ختام الرواية عن الرئيس السادات ، فى سلسلة مقالاته التاريخية الشائقة فى جريدة الجمهورية عن محمد نجيب فى أواخر عام ١٩٥٤ .. فقد روى فى هذه السلسة كيف ان تصرف محمد نجيب كان موضع نقاش يقف على عتبة اللوم فى مجلس قيادة الثورة ، وكيف ان المجلس كلف اللواء محمد نجيب بأن يمر على منزل فتحى رضوان ترضية له .

وفعلا ذهب محمد نجيب الى بيت فتحى رضوان ــ البيت الذى عاش فيه الوزير الشاب محاميا وصحفيا ثائرا قبل عام ١٩٥٢ ولم يغيره حتى الآن (١٩٧٦) ــ فلم يجده ، لأن فتحى رضوان كان وقتهــا يلبى دعوة عشاء على مائدة سفير مفكر ، هو السردار بانيكار ســفير الهند فى القاهرة ، مؤلف أحسن مرجع عن مشاكل الدول الآســيوية والافريقية الحديثة الاستقلال .

وترك اللواء نجيب بطاقته مع كلمة رقيقة . وعاد فتحى رضــوان الى بيته ليقرر ــ على أغلب الظن ، وان لم يفصح فى ذلك صراحة ــ ان رئيس الجمهورية تصرف معه على حسب منطوق المثــــل المصرى الذى يقول (يضربنى فى زفة .. ويصالحنى فى عطفة) .

وكل من يعرف أسلوب فتحى رضوان فى التعامل لا يدهشه انه رأى أن بطاقة الترضية لاتكفى لسحب الاستقالة .

ولكن عبد الناصر (والراوى من الآن هو فتحى رضوان من جديد)

اتصل به تليفونيا فى المساء المتأخر بعد عودته من عشاء السرداربانيكار ، ورجاه فى الحاح أن يضع المسألة كلها فى ثلاجة ، ويعتبرها كأن لم تكن .. وكأنما كان عبد الناصر ، بدهاء لاعب الشطرنج القدير يريد أن يرخى الحبل لـ (الرئيس نجيب) ، حتى يصل الى الطول الذى يكفى لشنق نفسه بنفسه .

والواقع ـ كما يقول فتحى رضوان ـ ان جمال عبد الناصر صارحه شخصيا انه كان المعارض الأساسى والأكبر فى اخراج محمد نجيب من صورة الحياة والثورة والسلطة فى مصر فى فبراير ١٩٥٤ .. ولكن مجلس الثورة قرر وقتها بأغلبية الأصوات ، وبحماس ضباط شبان تحوم أعمارهم حول سن الثلاثين الا يأخذ برأى عبد الناصر ، وقرر اقالة نجيب فى منتصف ليلة ٢٤ ـ ٢٥ فبراير ١٩٥٤ .. تلك الاقالة التى اضطر نفس المجلس الى ابتلاعها بعد أربعة أيام تحت الضغط الغلاب واستسلاما لتجمع كل القوى المتربصة بالثورة الوليدة ، التى صنعت محمد نجيب رغم ارادته قائدا وزعيما للاتجاه الذى يرمى الى تصفية الثورة .

وفيما بعد ـ والراوى لا يزال فتحى رضوان نقلا عن عبد الناصر ـ كان عبد الناصر أكبر المتحمسين لاقالة محمد نجيب فى أكتوبر ١٩٥٤ . وتعليل ذلك على لسان عبد الناصر هو أنه : فى فبراير كان نجيب أقوى منا ، فكان فى اقالته ضرر للثورة . أما الآن فقد أصبحنا أقوى منه ، فكان فى تأخير اقالته نفس الضرر .

وأخيرا فان فتحى رضوان كاد يطلب رفع هذه القصة كلها من منتخباتنا من ذكرياته المثيرة .. لكنه عاد فأجاز نشرها ، بشرط أن نذكر

على لسانه ما يعتقده بيقين جازم من أن تواريخ الرجال لا تقاس بحادثة فردية هنا أو هناك .. وانه لا ينسى أن محمد نجيب يتمتع بثلاث صفات :

الأولى .. الشجاعة التامة .. اذ لو لم يكن شجاعا لما قبل أن يتولى رياسة هذه الثورة وهو يعلم انها مقامرة وان مصيرها مجهول وفى يد القدر ، فى منطقة ملغومة لا تنفع فيها مواثيق .

ـ الثانية .. نزاهته المطلقة .. وفى ذلك تحضرنى ـ والمتكلم فتحى رضوان ـ ملاحظة أبداها عبد الناصر شخصيا عن بيت محمد نجيب الشديد التواضع والذى بقى فيه حتى بعد انتخابه رئيسا للجمهورية ، فقد قال يوما عندما وردت اشارة أمامه الى بيت نجيب بقوله احنا بنبالغ بدون لازمة .

ـ الثالثة .. جاذبيته . وخصوصا بالنسبة للجماهير التى كانت تستشعر فيه أبوة صادقة وتعدو فى ركابه .

الراديو والمعجزة :

عذرا .....

فقد بدأنا اطلالتنا على هذه (البانوراما) الهائلة من أغرب الاسرار المصرية المعاصرة من صفحة ما فى وسطها .. ليست من أولها وليست فى آخرها .. وليس لاختيارها فلسفة خاصة أو هدف بعينه .. ولم نبدأ كعادتنا بتقديم صاحب الذكريات ، ربما توجسا من سذاجة تقديم فتحى رضوان فى سطور .

فهو رجل تتجاوز خطورته فى صياغة وصناعة فكر واحداث ثورة ٢٣ يوليو كل ما نشر عنه وما عرف على كثرته حتى الآن . وهو رجل يقف على رأس دورية الاستطلاع الفدائية المحدودة التى صاغت من وجـــدان شعب مصر فى السنين التى سبقت عام ١٩٥٢ ، رؤوس جسور مهـــدت لعبور الثورة الى تاريخ مصر دون أن تسيل ، تقريبا ، نقط دم واحدة . وهو الوزير الوحيد فى تاريخ مصر القديم والحديث الذى ما زال حتى هذه اللحظة فى نفس المنزل الذى كان يعيش فيه قبل أن ينتقل من حياة السـجون الى حياة الحكام ، وهو من أعف من اشتغل بالسياسة والثورة فى مصر.. خلقا ولسانا ويدا ، الى حد انه لم تنسج حوله اشاعة ، ولا ردد عنه حديث افك ، والمعروف تاريخيا وعلميا انه لم يحـــدث أن روجت ضد انسان فى مصر اشاعة الا كان لها أصل ، على حد تعبير المثل

ومعنى نصاعة تاريخ انسان فى مصر حتى من مجرد الاشاعات انه عمل بالمثل المصرى الذى يقول . . (امش كويس يحتار عدوك فيك)وأخيرا فان فتحى رضوان من النماذج القليلة من الشخصيات العامة فى مصر ، التى كان ضوء تاريخها القومى والسياسى والفكرى أسطع من ضوء المنصب الذى تقلدته . ومن هنا فان خروجه من الوزارة ومن السلطة بعـد ستة أعوام من الكفاح الشاق فى وسط حقول الألغام المبثوثة فى طريق الثورة لم يكن نهاية لحياته العامة . . وانما مجرد منعطف فى حياة خصبة قادرة على العطاء فى الفكر والفن والثقافة والادارة والمحاماه .

والآن تعال نبدأ من البداية . . وندخل السجن مع فتحى رضوان.

حين قامت الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كنت فى معتقل الهايستب على بعد نحو خمسة عشر كيلو مترا من مصر الجديدة ومن التعسف أن

أصف مكانى فى ذلك المعتقل بأنه حجرة أو زنزانة .. والأصح أن يقال انه (خانة) فى مخزن مهمات للجيش الامريكانى ، وقد حولت الحكومة المصرية هذا المخزن فى أعقاب حريق القاهرة الى معتقل . ولذلك لم تكن فيه من مظاهر الأماكن المعدة للسكنى الا أقل القليل .. كانت أبوابه من الصاج المضلع ، ونوافذه محرومة من ترف الضلفات الزجاجية وكفاها شبكات من السلك الغليظ وطرقاته مغطاة بالأسفلت الأسود .

وكان من حظى أن أتيح لى تهريب جهاز راديو (بيلوت) قديم .. ولا أزال حتى الآن محتفظا به للذكرى ، والتاريخ فى بيتى الخاص فى لأنه تجاوز سن العمل وأحيل الى المعاش ... ولم يكن تهريب الراديو وقتها بالأمر الشاق ، فقد كان ضباط المعتقل (بدوافع انسانية .. وبدوافع أخرى !) يسهلون للمعتقلين مخالفة كل القيود المفروضة عليهم بأمر الحاكم العسكرى .

لم أكن معتقلا على ذمة قضية حريق القاهرة فلم أسأل فى هذه القضية مجرد سؤال واحد ولم تتجه الى شبهة ولو ضعيفة عن علاقتى بهذا الحريق . وكنت قد حصلت على حكمين من مجلس الدولة بوجوب الافراج عنى فورا لبطلان أمر اعتقالى وانتفاء أسبابه قانونا.ولكن الحكمين لم يكونا فى نظر الحاكم العسكرى يساويان الورق الذى كتبا عليه ، والحبر الذى حررا به فما كاد يصدر الحكم حتى يعدل القانون تعديلا خاصا لى حتى يتيسر اعادة اعتقالى بعد التعديل .

ولكى أكون واضحا فاننى أعرب عن اعتقادى ان السلطة حين فرغت من قضية ٢٦ يناير والانتفاع بها سياسيا ، لم يكن استمرار اعتقال من بقى فى المعتقل الا لمجرد منعه من المشاركة فى الحياة العامة ، فلايهم الحاكم

العسكرى أو الحكومة فى قليل أو كثير ان أستقبل أهلى أو ذوى قربى بتصريح أو بغير تصريح ، فى الميعاد أو بعد الميعاد وأن أتلقى ما أشـــاء من الكتب والصحف . بل ان الأكثرية من المعتقـــلين ـــ وأنا منهم ـــ كانوا يستضيفون أولادهم الصغار ، فيصبحون أعضـــاء فى المعتقـــل بالأيام والليالى ، بل بالأسابيع والشهور .

وأنا شخصيا كنت استضيف بين الحين والآخر لبضعة أيام ابنى عصام وعمرو ، وابنتى عزة .. وكانوا يشتركون فى مباريات الكرة التى كانت تجرى على (ملعب) المعتقل وهو الفضاء الذى يقع خلف المخازن التى كنا نقيم فيها . وأيامها كان النجل العزيز عصام لا يتجاوز من العمر سبع سنوات .. وكان المعتقلون يتبارون فى اكرامه . فيسمحون له باصابة أهدافهم . فان استعصى ذلك عليه ساعدوه فى توجيهها وسجلوها باسمه بين الهتاف والتصفيق .

وللقارىء أن يتصور مدى « الحرية » التى كان يتمتع بها المعتقلون داخل المعتقل .

وطبعا ليس معنى ذلك ان الاتصال بالخارج كان مباحا على الاطلاق، بل ان العين الســاهرة كانت تتحرى عزل الحرية المسموح لنا بهــا عن حريات العالم الخارجى ، وعلى سبيل المثال فقد حدث وأنا سجين أن توفى شقيق زوجتى .. وصممت ألا أطلب من السلطة أى شىء ممــا ضؤل أمره وتفه شأنه . فقد استبعدت فكرة أن يؤذن لى بالذهاب الى المنزل لمواساة زوجتى والوقوف بجانبها فى تسوية الأمور الدنيوية المترتبة على وفاة شقيقها .. وأحسب أن زوجتى كانت بأشد الحاجة الى هذه

الوقفة ، فقد كانت دموعها لم تجف بعد وفاة شقيقها ، وكان شقيقها الآخر كمال الدين صلاح ـ سفير مصر فى الصومال فيما بعد ، الذى قتله هيلاسلاسى عقابا على مجهوده من أجل تحرير الصومال ـ كان وقتها فى السويد .

ولم يكن أمامى الا أن أفكر فى الاتصال بها تليفونيا لاقدم لها العزاء .. وكان هذا أمرا صعبا ولكنه لم يكن مستحيلا ، وعلى رأى المثل المصرى .. كل فونة ولها كيال .. باختصار ـ أرجو ألا يكون مخلا ـ تم الاتصال التليفونى ! ولكن الأمر لم يمر بسلام .. فقد كان تليفونى مراقبا، م اكن غافلا عن ذلك ولكنى قدرت انه حتى فى الأذان المتلصصة لا بد أن يتوافر قدر من الانسانية .. ثم اتضح ان تقديرى لم يكن موفقا فى اسرافة بحسن الظن بانسانية السلطة .. اذ بدأ التحقيق فى صباح اليوم التالى مع الضابط الذى تم الاتصال فى نوبته .. وأسفر التحقيق بنفى الضابط خارج القاهرة .

وحزنت لذلك حزنا شديدا ، على أنى أعترف هنا بأن أول عمل رسمى لى بعد توليتى الوزارة كان اعادته فورا الى القاهرة فى المكان الذى كان فيه . ثم فى مكان آخر أحسن ، حين لاحت الفرصة بطريقة مشروعة .

رجل يلبس الجلباب :

هنا يضبط فتحى رضوان خواطره وكأنما تبتسم لحديث الذكريات فى المعتقل . فيعود بنا على الفور الى جهاز الراديو « البايلوت »

العجوز ، الذى ختم حياته بأحسن ما يمكن أن يختم جهاز راديو حياته .. اذا انه أسمعه فى ساعة مبكرة من صباح يوم ٢٣ يوليو البيان الأول ـ لحركة الجيش ، الذى أعلن عن « حركة تطهير سلمية » فى صفوف الجيش . ويعترف فتحى رضوان انه تشكك أولا من مصدر الخبر ، وذهبت به الظنون الى حد انه ظن ان موجة محطة اذاعة غريبة ركبت موجة محطة الاذاعة المصرية .

ثم عاد فظن ان الاذاعة المصرية تجدد برامجها التمثيلية على نحو المادة المشهورة التى أفزع بها الفنان العبقرى المجنون أورسون ويلز امريكا وكندا ذات ليلة فى أواخر الأربعينات حين قطع الاذاعة بلا انذار أو أعلان مسبق ، واقتحم أسماع ملايين المستمعين بخبر غزو وهمى من سكان كوكب آخر عن طريق قوات مجهزة أحدث تجهيز نزلت ساحل امريكا الشرقى ! .

ولكن الصوت المطمئن الواثق المنبعث من موجة راديو القاهرة يصرف على الفور هذه الخواطر من ذهن فتحى رضوان .. اذ يدرك أن الدهشة أو الذهول لدى الاستماع لمثل هذا البيان ليس لهما الا معنى واحد ، هو اليأس ، وهى كلمة لا ينبغى أن يكون لها مكان فى قاموس شاب مثله أنفق عمره بين الأسلاك الشائكة ليبذر الأمل فى حياة امتلأت ظلاما ، وأرض امتلأ جورا ..

« وفى لحظات ـ يقول فتحى رضوان ـ تحولت الى أهم رجل فى المعتقل ، بصفتى صاحب الراديو الوحيد فيه » .

ثم يتذكر فى تلك اللحظات آخر مناسبة ظهر فيها خطيبا عاما قبل سجنه . وكانت حفلة لاحياء ذكرى الزعيم مصطفى كامل ..

« يومها قرأت نص الخطاب الذى وجهه مصطفى كامل فى عام ١٩٠٥ الى الخديو عباس ، وفيه يقول له أن المعية (أى الحاشـــية) تضرك أكثر مما يضرك أعداؤك . فاذا بالمكان يدوى بالتصفيق ويهتف أحـــد الشبان .. تحيا الثورة .

« والشىء الطريف اننى وأنا خارج من هذا الاجتماع رأيت شخصا يقف على الباب يلبس جلبابا ويوجه الى الحديث قائلا ..

ـ يا أســتاذ .. هــذا صــوت الله .. الثورة جاية .. ومبروك مقدما ! .

« اذن فقد صح ما توقعه الرجل ذو الجلباب ، وجاءت الثورة .. ولكن المشكلة أو المعجزة فى أنها جاءت فجأة ، وفى اللحظة التى كان يبدو فيها أنها لن تجىء أبدا .

«ومر يوم ٢٣ يوليو على المعتقلين وهم فى حالة ذهول يعمقه التناقض المفزع بين بيانات الراديو وصوت صحف صباح ذلك اليوم ، التى كان قد فاتها بطبيعة الحال تسجيل احداث الفجر .

وبهذه المناسبة فقد كانت خريطتنا الحزبية فى المعتقل هكذا ..

معتقل واحد من الحزب الوطنى هو أنا .

ثم مجموعة من الشيوعيين وكان مخصصا لهم عنبر مستقل .

ثم مجموعة من أنصـــار الحزب الاشـــتراكى . وقد امتزجت بهم مجموعة من الذين حسبوا على الحزب الاشتراكى ظلما .. والأصل انهم اشتركوا فى جرائم ســـلب ونهب عادية فى منطقة القنـــاة ، فاحتسبتهم الحكومة من الفدائيين ، وأضفت بذلك عليهم شرفا لم يخطر على بالهم .

« واشرقت شمس يوم ٢٤ يوليو فاذا الذى كان بيانات تذاع على أمواج الأثير يصبح الحقيقة مطبوعة على صفحات الصحف . وفى محاولة للتعرف على اتجاه الريح ، وعمل حساب ما قد يسفر عنه الغد ، اغمض ضباط المعتقل فى ذلك اليوم أعينهم عن كثير من الممنوعات ، فسمحوا بتدفق ضيوف المعتقلين بلا حساب أو تحفظ . بل انهم أقبلوا عليهم فى شغف يحاولون اعتصار كل ما يزخر به الشارع المصرى من اشـــاعات وتفسيرات وأخبار .

على أن الراديو كان أسبق وأحسم من كل الاشاعات . اذ توالت بياناته بما لا يقبل التشكيك فى أن الأمر جد وما هو بالهزل . ومن الغريب اننى لم أدرك فى ذلك الوقت أن الصوت الذى ألقى البيان الثورى الأول كان صوت السيد أنور السادات ، رغم انه كان الضابط الوحيـــد من الاحرار صناع الثورة ومفجريها الذى كنت أعرفه معرفة شخصية قبل أن يصبح الحلم حقيقة !

وفجأة انبعث فى المعتقل صيحة تقول .. كلام فارغ .. اذا كانت هذه الحركة ثورة حقيقية لكنا الآن خارج المعتقل !

وتلقف المعتقلون هذه الصيحة ليوقفوا أنفسهم تحت مظلة القلق .

وتشجع ضباط المعتقل فعاودوا خنق موقفهم المتردد فى قبضة الضبط والربط . وقليلون هم الذين عرفوا وقدروا ان ما يجرى خارج جدران المعتقل كان أخطر من مجرد التفرغ للافراج عن المعتقلين فورا .

وجاءت أنباء الليل تحمل تراجعا سافرا للملك ، يتمثل فى التنازلات التى وشت بارتجاف موقفه . وكانت النتيجة أن نام مجتمع المعتقل على أمل أكيد ووطيد بأن فتح أبواب الحرية وشيك فى الصباح .

ولكن لما جاء صباح ٢٥ يوليو وكل شيء على حاله ، والنظرات فى عيون ضباط المعتقل تتراوح بين ابتسام يسير تبعده العبوس .. واكفهرار يخلى سبيله على استحياء للأمل ... تحول تيار التفاؤل الجارف فى المعتقل الى بحيرة ساكنة تحت شمس يوم قائظ ، وقد كان يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ ، المذكور يوما قائظا بالمدلول الحرفى للكلمة ، وليس بالمدلول المعنوى وحده .

« وفجأة .. فى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم — يوم الجمعة ٢٥ يوليو — يضطرب سطح البحيرة الساكنة . اذ يتلقى قائد معسكر الاعتقال اشارة تليفونية عاجلة من رياسة مجلس الوزراء بالاسكندرية ، مضمونها انه قد تحددت الساعة السادسة من مساء نفس اليوم لكى يتم اللقاء بين الأستاذ فتحى رضوان وبين صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء الذى اختاره الجيش !

وتضمنت الاشارة أن على جميع الجهات المعنية أن تتخذ اللازم لكى يتم وصولى الى الاسكندرية قبل هذا الموعد ، وأن يتم الافراج عنى بناء على الحكمين الصادرين لصالحى من مجلس الدولة .. اذ ثبت انقطاع صلتى التامة بحوادث حريق ٢٦ يناير التى كانت مبرر اعتقال من اعتقل فى ذلك اليوم .

وكانت السلطة قبل ٢٣ يوليو ، عندما رات أنمجلس الدولة فى طريقه الى الافراج عنى قد عدلت قوانين الاشتباه السياسى وبعض قواعد الأحكام العرفية ليتسنى لها أن يستمر اعتقالى . وعندما حضر الى مأمور سجن الأجانب ـ عقب صدور القرار الأول من مجلس الدولة بالافراج عنى ـ سألته .. ما الأخبار .. فقال .. خير .. لقد صدر أمر باعتقالك! فضحكت .. وقلت ألست معتقلا ؟ فضحك بدوره وقال مستطردا .. ولكن صدر قرار جديد باعتقالك قبل أن نتلقى قرار الافراج عنك .. والقرار الجديد أصدره الحاكم العسكرى طبقا للسلطات المخولة له بموجب التعديل الأخير فى قانون الاشتباه السياسى . وقد أبلغنا بقرار اعتقالك قبل قرار الافراج عنك ، حتى لا تتاح لك فرصة حرية لمدة خمس دقائق يمكنك أن تفلت فيها من تجديد الاعتقال ! .

ونقلونى بعدها الى معتقل الهاكستب . وكان سجن الأجانب الذى حللت به أولا يعد فندقا مريحا بالقياس اليه .. حتى جاءت الاشارة التليفونية العجيبة التى بمقتضاها كان على أن أغادر المعتقل الى مكتب رئيس وزراء مصر ! .

◆ • ◆

تحت الأمر يا معالى الباشا :

ولا يمكن أن أنسى أبدا الكيفية التى أبلغت بها بالقرار فى وقت القيلولة من بعد ظهر ذلك اليوم القائظ من أيام شهر يوليو ١٩٥٢ ، كنت جالسا فى زنزانتى أسيرا لخواطرى ، حين سمعت وقع أقدام شخص يركض نحو مكانى . واذ بالباب يفتح على مصراعيه بعد نقرة مدوية ، وعلى العتبة يقف قائد المعتقل الصاغ ـ الرائد ـ مصطفى كمال العياط يلهث وقد أوشك أن يتزحلق على الأسفلت الذى تتكون منه أرضية الزنزانة ، واذا به يتمتم بكلمات عصبية لم أفهمها وان كنت قد لاحظت انه يخاطبنى كما يخاطب الوزراء .

وجرت على لسانه كلمات متدافعة مهرولة تمثل (رئيس الوزراء) و (الطيارة يا أفندم) و (تحت الأمر يا معالى الباشا) ! .

وحاولت عبثا أن أعيد بناء كلامه بطريقة تسمح لى بأن أفهم ما يريد . وبذلت عناء فى تهدئته ، الى أن فهمت أخيرا انه مطلوب منى أن أرتدى ثيابى بسرعة ، وأن أتجه الى مطار الماظة حيث تنتظرنى طائرة عسكرية .

وعلى الفور استبدلت قميصى الأسبور . وبنطلونى المصنوع من تيل بنطلونات عساكر الجيش ، وصندلى ، بدلة كنت أحتفظ بها ، ولكنى رافضت على الفور ، وبحزم ، وبهدوء أعصاب كامل ، أن أذهب الى أى مكان قبل أن أمر على بيتى ، وأغير ثيابى وأحلق ذقنى . واخذ حماما محترما بعد شهور طويلة من حمامات غير محترمة ! .

وكان لى ما اردت . وألغى المسئولون الطيارة بناء على طلبى واستبدلوا بذلك لى مكانا على طائرة شركة مصر للطيران ، التى كان مفروضا أن تبرح المطار فى الساعة الرابعة بعد الظهر .. والتى تكرم المسئولون عنها ـ مشكورين ـ بتأجيل موعد قيامها بضع دقائق ، حتى يتسنى لى أن ألحق بها .

وكانت هذه المعاملة حلقة فى سلسلة متصلة الحلقات من أساليب التعامل معى بمجرد الافراج عنى . اذ اننى عوملت على طول الخط معاملة أهل السلطة ، لدرجة ان الصديق يوسف حلمى المحامى رحمه الله (وكان قد أفرج عنه بسببى ـ لأنه حصل مثلى على حكم بالافراج) . صحبنى الى منزلى ثم الى المطار وهو يصر طول الوقت على أن ينصحنى بألا أقبل دخول الوزارة الا بعد الافراج عن ابن اختى سعد كامل فضحكت كثيرا لأننى لم أكن أتصور ان الأمور ستجرى على هذا المنوال .

ولكن ضحكى سرعان ما خف وأصبح ذهولا حين نزلت من الطائرة فى الاسكندرية ، وتوجهت الى بولكلى ـ مقر رئيس الوزراء ـ ليحيط بى الصحفيون ويلاحقوننى بالأسئلة على إعتبار أننى أحد مصادر الأخبار، وعلى الرغم من أنهم كانوا أول من يعرف أننى مفرج عنى لتوى وأن غبار المعتقل ما يزال عالقا بثيابى . وكنت كلما أكدت لهم أننى لا أعرف شيئا عما يجرى تصاعدت صيحات احتجاجهم لاننى أخفى عنهم الاسرار ، وأتجاهل اننى أنتمى الى قبيلة أصحاب الأقلام مثلهم .

وعبثا حاولت اقناعهم بأنهم يظلموننى مرتين .. مرة بعدم اقتناعهم بما أقول ، ومرة بضنهم بمعلوماتهم على »

ويظل فتحى رضوان أسيرا بين أيدى الصحفيين حتى يحضر رجل خطير ينقذه منهم ، رجل ساهم فى توجيه بوصلة الأحداث فى تلك الأيام التاريخية الحاسمة .

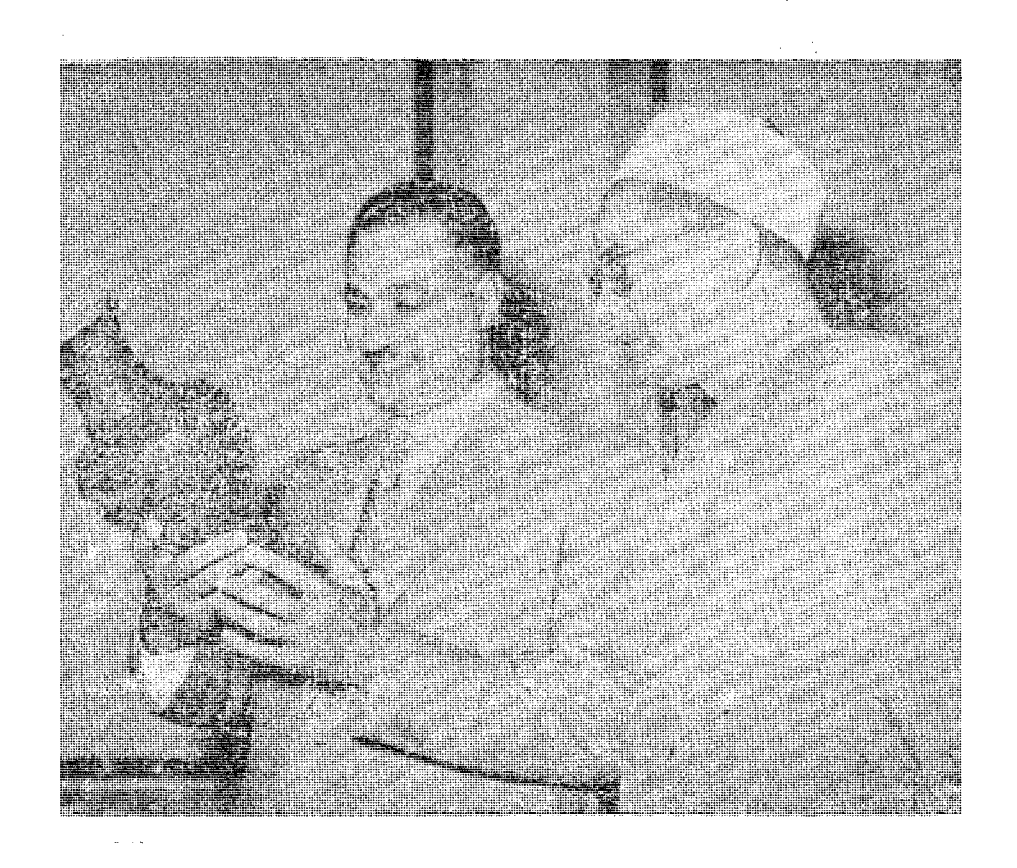
كان هذا الرجل هو سليمان حافظ ، الذى سحبه من يده ودخل به حديقة مجلس الوزراء فى بولكلى .

وفى الحديقة وقف يفصح له عن السر فى الافراج عنه ، وعن السبب الذى دعا رئيس الوزراء الى استدعائه بهذه السرعة .

ولم يصدق فتحى رضوان اذنيه عندما سمع .

كانت المسألة كلها غلطة فادحة ... !

* * *



جاءت سيرة الشيخ الباقورى فى سياق هذه الذكريات على قلم كامل الشناوى الذى شرح كيف كان انضمام الباقورى الى نظام المغفور له جمال عبد النـاصر بداية طريق اللاعودة بين الثورة والاخوان المسلمين . وان الحسرة لتفترس القلم وهو يسجل خصام الثورة مع الاخوان وقد كان تآلفهما وتحالفهما كفيلا بوقاية البلاد من كثير من الأحزان التى تعرضت لها .

.. وإذا بسليمان حافظ يقول لى فى هدوء : ولا لجنة ضباط ولا حاجة .. بكره إن شاء الله حتعرف كل حاجة

رئيس الوزراء ..
آخر من يعلم !

كانت غلطة !

« قابلنى سليمان حافظ هادئا غير منفعل .. وكأن الأحداث لم تفلح فى تحريك شىء من تعقله الذى يبلغ أحيانا مبلغ البرود .. وقابلنى غير مسرف فى الترحيب بى .. كأنى كنت معه أمس .. (ولا أنسى أن أقول انه زارنى فى المعتقل وهو وكيل لمجلس الدولة باذن رسمى .. وأذكر أننى حملته اناء طعام فارغا وحقيبة ملابس مستعملة أخذهما الى بيتى ليسلمهما الى أسرتى) . وسليمان حافظ رجل تجنى عليه المتجنون كثيرا ونسبوا اليه أشياء لعله مات ولم يسمع بها .. نسبوا اليه أنه صاحب

على حل الأحزاب ، وانه الذى افسد العلاقة بين الوفد والثورة . وأنه كان يحقد حقدا دفينا على مصطفى النحاس كما اتهمته الثورة فيما بعد — على لسان المرحوم صلاح سالم — بأنه كان وراء محمد نجيب فى اشعال أزمة مارس ١٩٥٤ ، التى كادت تختم حياة الثورة ... ألخ .

المهم كان فى انتظارى هذا الصديق والأخ المفترى عليه .. وأخذنى الى ركن فى مبنى مجلس الوزراء فى هدوء تام ، وكأن مصر لا يهزها زلزال من الأعماق .. ثم جلس ووضع ساقا على ساق ، وأخرج سيجارته المصرية الرخيصة وأنا أكاد أنفجر من الغيظ لهذا الهدوء .

وأخيرا سألته ..

— خير ..

فقال .. خير ان شاء الله (ثم بعد فترة صمت) .. على ماهر عاوز معك انك تفهمه ايه فى الدنيا !

أى دنيا ؟ وكيف أفهمه أنا ما فى الدنيا وأنا لتوى خارج مما يشبه الآخرة ، وقبل أن أصيح بذلك ، استطرد سليمان قائلا . انه لا يستطيع أن يفهم أشياء كثيرة تقع الآن فالجيش زاحف من القاهرة الى الاسكندرية ، والطيارات تحلق فى سمائها ، ومحمد نجيب وصل الآن الى الاسكندرية . لماذا هذا كله ؟

وقال سليمان حافظ .. ان على ماهر باشا قال لى أنه كان متفقا مع

نجيب و « أولاده » ـ الضباط الشبان ـ أنه سيقابلهم غدا السبت فى القاهرة ٠٠ ففيم مجيئهم الآن الى الاسكندرية ! ٠٠٠ ومن هنا فأننى ـ سليمان حافظ يخاطب فتحى رضوان ـ اقترحت عليه أن يضرب عصفورين بحجر واحد ٠٠ أن يستدعيك ليستعين برأيك في توضيح الموقف لسابق صلتك بهؤلاء الضباط من جهة ، وأن ينفذ حكما قضائيا بالافراج من جهة أخرى ، والآن ستقابله بهدف واضح محدد ٠٠ وهو أن تشرح له عقلية الضباط من جهة وأن أكون الوسيط بين رئيس الوزراء وبينهم من جهة الأخرى ٠

اذن فقد كانت المسألة كلها غلطة ٠ وكان سبب الافراج عنى ، واستدعائى ، انهم تصوروا أنى « واصل » ! ٠

وصححت لسليمان حافظ المعلومات غير الصحيحة التى وصلته عن صلتى بضباط الثورة ٠٠٠ وقلت له فى بساطة شديدة أننى لا اعرف أسماءهم ولا صورهم ، باستثناء أنور السادات ٠

ورفع سليمان حافظ عينيه الى فى دهشة ولكنه قال فى هدوء ٠٠: كفاية أنور السادات أنت مش كنت محاميه ؟

وصححت له هذا أيضا ٠ ذلك أننى لم أكن محامى أنور السادات ولو أن شقيقه « طلعت السادات » زارنى فى مكتبى موفدا منه لأكون محاميه وقد كان ذلك يسرني بطبيعة الحال ، ولكن حال دون ذلك عائق فنى من الناحية القانونية لأنه كان متهما بالتحريض وكنت محاميا لخمسة كانت تهمتهم هي استجابتهم لتحريضه وان كنت أعرفه معرفة شخصية ٠٠ أولا فى قضية مقتل أمين عثمان ثم بعد ذلك تردد على مكتبى كثيرا ،

وعرضت عليه ذات يوم أن ينضم الى اللجنة العليا للحزب الوطنى فوافق في التو • وأذكر أنه كان فى هذه الأثناء ينفذ عملية طلبات فى محافظة الشرقية . وأذكر قبل ذلك انه جاء الى مكتبى ومعه زميله الطيار حسن عزت ، وكانا يرتديان ثياب « المعلمين » •• فقد كانا يتخفيان فى صورة شيال » ومعلمه ! وكان القصد من الزيارة الاطمئنان انذاك على (الفريق عزيز المصرى) وكان مسجونا فى سجن مصر ، وكنت الشخص الوحيد الذى يقابله ، بوصف محاميه ووكيله المشرف على أعماله •

وقطع حوارنا من دعانى لمقابلة على ماهر باشا • ورغم أن هذه المقابلة رقم (مائة) فى تاريخ علاقتنا الا أننى أحسست أنى أقابل شخصا لم أقابله من قبل •• كما رأيت فى نفسى من وجهة نظره شخصا لم اعهده فى نفسى من قبل •

صحيح أنه لم يكن يقابلنى فى الماضى الا بأحسن ما يلقى به رجل كريم الخلق شابا وطنيا يحترمه ويعرفه •• ولكن بدا لى فى مقابلتى المشهورة تلك مع على ماهر ، قبيل غروب شمس يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ ، أن الحفاوة التى بادرنى بها كانت من درجة وطبيعة وأسلوب جديد تماما •• باختصار جعلنى أشعر بأننى ، ان لم أكن أرفع منه مقاما ، فعلى الأقل فى منزلته البروتوكولية •••

وكم كانت صدمتى مروعة حين بدأ حديثه معى بمقدمة لم يكن لها مكان على الاطلاق ، اذ قال لى : تعرف انى لم أسمع انك ظفرت بحكمى افراج من مجلس الدولة لولا أن سليمان بك حافظ قد قال لى ذلك لأ « ويلاحظ أن أحد هذين الحكمين صدرا ضد على ماهر باشا شخصيا

رئيسا للوزراء » ثم قال : على كل حال ٠٠ أنت واخذ على الحكايات دى ، الحمد لله على السلامة ٠٠

ثم دخل الباشا فى الموضوع ٠٠ وأفضى الى بشبهاته وشكوكه فى الموقف ، وقال أنه لم يكن يرى ان هناك ضرورة لتحرك الجيش الى الاسكندرية والاجراءات التى لابست هذا التحرك ٠٠ وقال ان الظروف حساسة ، وكل الجهات متأهبة للاستفادة مما يجد من ظروف ، ويحسن أن نسد باب الذرائع فى وجوه المتربصين ، وقد وافق الملك على جميع الطلبات التى طلبها « الجنرال » نجيب فيما عدا طلبهم تنحية « بوللى » اذ قال ٠٠ بوللى ده خدامى وعمره ما اشتغل بالسياسة ، وأنا أعرفه من صغرى ٠

ومضى على ماهر باشا فقال ٠٠ فيما عدا هذا لم تبق الا حكاية تعديل قانون لجنة الضباط وهى اللجنة التى تنظر ــ على ما أعتقد ــ فى ترقية الضباط ، وقد ابدى الملك استعداده لقبول التعديل المقترح حتى يعرض عليه ، وهذا ما كنت أنوى أن أناقشه مع الجنرال نجيب غدا فى القاهرة ٠ وأنت بفضل علاقتك بهؤلاء الضباط الشبان تستطيع أن تفهمهم الموقف ٠ وأنا معتمد عليك فى أنك ستنقل اليهم تصوراتى ٠ (ثم سادت فترة صمت أردف بعدها) ٠٠ ومش حلاقى محامى أحسن من كده بقى ٠ وعلى كل حال فان الجنرال نجيب جاى الساعة ٨ علشان تكمل الكلام ٠

٭٭٭

كان الموقف كله غريبا ومحيرا . وكان شديد الغموض ايضا ..

على أن هذه المقابلة لم تكن آخر مفاجآت اليوم ، فقد عاد سليمان حافظ ينفرد بى فى حديقة بولكلى ، بعد مقابلة على ماهر ، يقول لى بهدوء ..

ـ الرجل ده لازم يمشى .

وكان « الرجل ده » هو الملك فاروق !

قلت .. وهل الظروف تسمح؟ان المسألة تحتاج الى درس واحتياط ، والا انقلبت الامور على عكس ما ..

ولكن سليمان حافظ لم تهتز شعره فى رأسه ، وقاطعنى مكررا ..

ـ لا .. لا .. لازم يمشى !

اذن فقد تقرر مصير الملك ، ورئيس الوزراء لا يعلم !

ويروى فتحى رضوان أنه حتى الانجليز قد حذروا الملك من هذا المصير عندما كان يصطاف ما بين كابرى ودونيل عام ١٩٥١ . وأوفدوا اليه سفيره فى لندن « عبد الفتاح عمرو » ليبلغه رسالة فى ذروة السرية من الحكومة الانجليزية ، تقول فيها .. عد الى بلادك .. فان الحوادث التى تجرى فى مصر أخطر مما تتصور ، وعواقبها أضخم مما يترامى لك .

لكن الملك رفض الاستماع الى النصيحة ، وقال لعمرو باشا ..

ـ مالك « خرع » كده وأعصابك لا تتحمل ؟ أمال بيقولوا عليك « صبور » ازاى ؟

فقال عمرو باشا : يا مولانا هذه رسالة أنا مكلف بها .

فقال الملك ..

أنت « أهبل » . وبيهزك أى كلام . اوعى تكون أخذت عريضة الباشوات جد ؟ (وهى عريضة رفعها اليه عدد من كبار السياسيين يطالبون بمعالجة الأوضاع المتردية) . أى واحد من دول لما أشاور له برجلى بعد ما أرجع مصر حيبجى يبوسها فى الحال .

وعبثا حاول عبد الفتاح عمرو أن يقنعه بأن المسألة أخطر من مجرد عريضة الباشوات . ولكن فاروق كان واثقا ان المفاتيح كلها فى يده ، ولم يخطر بباله أنه سيجىء يوم يصبح خلعه فيه موضوعا مطروحا للمناقشة بين موظف فى مجلس الدولة وسجين خارج لتوه من المعتقل .

ويواصل فتحى رضوان رواية باقى الحديث ...

« سرتنى شجاعة سليمان حافظ وهدوءه وتصميمه . وانتقلت الى نفسى حالة الطمأنية التى كان يستشعرها ، فلم نتكلم فى هذا الموضوع بعد ذلك .

الا أنه انتقل الى معنى آخر أفزعنى ٠ اذ قال عايزين ندعم وزارة على ماهر باثنين ضباط .. لأن زهير جرانه كان يقوم بأعمـال وزارتين هما الشئون الاجتماعية والمواصلات ، فممكن نسـند احدى الوزارتين لضابط ، ونشوف وزارة ثانية لضابط كمان ، لأن بينى وبينك وزارة على ماهر مش عاجبانى ٠

وبدون أن انسب لنفسى الاطلاع على الغيب ، فأننى صرخت فى وجه سليمان حافظ مرة أخرى ولكنهُ هذه المرة كانت صيحة احتجاج ، وقلت ان هذا اتجاه لا تحمد عقباه » .

ومع ذلك فبعد ٤٥ يوما تقريبا من هذا الحديث دخل فتحى رضوان وزيرا فى أول وزارة يرأسها عسكرى فى تاريخ مصر ! ٠ على أن هذه قصة أخرى سترد فيما بعد ٠ ونترك فتحى رضوان يروى ما حدث ٠٠ عندما انقطع الحوار بينه وبين سـليمان حافظ ، بسـبب قدوم اللواء نجيب لمقابلة على ماهر: «كان وراء نجيب مباشرة البكباشى أنورالسادات. وكانت لى صلة رسمية بسيطة جدا باللواء محمد نجيب ، اذ كنت قد مررت عليه بمكتبه فى حلمية الزيتون قبل اعتقالى بأيام بوصفى محاميا فى قضية تهريب نقد وقعت فى مطار القاهرة الذى كان تابعا من الناحية القضائية لسلاح الحدود ٠ أما أنور السـادات فقد كانت علاقتى به قديمة ٠ وقد كان موشكا كما قلت أن ينضم الى اللجنة العليا للحزب الوطنى ٠ ولهذا فأننى اتجهت الى السادات ــ مباشرة بعد أن حييت نجيب ، وقلت له على الفور : أنا عاوز ميعاد ٠

« فقال لى السـادات .. الليلة مش ممكن ٠ ابقى كلمنى الصبح ٠.

وانصرفت ..

وذهبت الى فندق وندسور أنتظر مكالمة من سليمان حافظ كان قد وعدنى بها واذا جاوزت الساعة العاشرة مساء بادرت بالاتصال به لأسأله عن مصير مهمته فى ثكنات القيادة بحى (مصطفى باشا) ، وكان مفروضا أن يناقش مع الضباط مشروع لجنة الضباط المختصة بترقيات القوات المسلحة وتنقلاتها .. ليعرض على باشا ماهر المشروع على الملك فيما بعد .

فبادرنى سليمان حافظ قائلا بصوته الهادىء المعهود .. ولا لجنة ضباط ولا حاجة .. ان شاء الله بكره بدرى حتعرف كل حاجة . تصبح على خير !

وأدركت فى الحال أن مصير فاروق بن فؤاد قد تقرر ...

أقصر لقاء مع أنور السادات :

صباح ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، ذهب فتحى رضوان (بعد ليلة جفاه فيها النوم) الى بولكلى ... ليسمع من محمد ماهر مكتب على باشا ماهر بعض الأسرار الهامشية التى تصنع للاحداث نكهتها وحبكتها .

مثلا .. كيف فر الملك من قصر المنتزة الى قصر رأس التين فى جنح الليل بعد أن أحس بحصار الجيش حوله ، وكأنه سيجد فى قصر رأس التين أمانا لم يجده فى المنتزه ولا سيما أن لقصر رأس التين مرفأ بحرية ترسو عنده البواخر الملكية كالمحروسة وفخر البحار ..

ثم كيف راح الملك يطارد على ماهر بالتليفون فى جناحه فى فندق سان استفانو لدرجة ان على ماهر كاد ينكفىء على وجهه وهو يهرول تجاه التليفون بعد أن فاجأه رنينه وهو يلبس البنطلون ! وكيف فقد على ماهر طاقته التقليدية على خفوت الصوت فى حضرة الملوك ، اذ صاح فجأة فى وجه الملك بلهجة تنم عن نفاد الصبر ..

ـ يا مولانا أنا جاى لك .. أنا جاى لك يا مولانا !

وكيف راح الملك يحاول الاتصال بالسفيرين البريطانى والأمريكى .. وكيف عجز عن الاتصال الا ببعض الموظفين الكبار فى السفارتين . وكيف اتصل السفير الأمريكى بعلى ماهر وطلب فى الحاح اتخاذ كل الاجراءات اللازمة لحماية الملك وضمان سلامته .

ثم كيف دخل سباركس السكرتير الأول للسفارة الأمريكية مضطربا حجرة مدير مكتب رئيس الوزراء ، وكأنه يشهد يوم الهول .. وكيف طمأنه محمد نجيب على باب غرفة رئيس الوزراء بكلمتين اثنتين هما : لا تقلق !

ونترك لفتحى رضوان زمام الحديث .

دخل محمد نجيب مكتب على ماهر ليلقى على مسامعه بالخبر الهائل، وكان معه أنور السادات .

قال الاثنان لعلى ماهر أن اجتماع الضباط أمس مع سليمان حافظ

بالثكنات لم يكن فى حقيقته بسبب لجنة شئون الضباط ، وانما للتهيئة للحادث الهام الذى هم مقبلون عليه .. فقد تقرر عزل الملك واحتاج الأمر الى مزيد من ساعات الراحة فى الليل تأهبا لكل الاحتمالات ولاكتمال الخطة واستطرد نجيب قائلا : أنا وأنور السادات أطلعنا سليمان حافظ فى الليلة السابقة على هذه النية ليعد العدة لكتابة وثيقة للتنازل عن العرش .

ثم سأل نجيب على ماهر .. هل أفزعك هذا القرار ؟
فقال على ماهر بالانجليزية .. ماكنت ممن يفرون من الخدمة العسكرية !

وخرج نجيب من مكتب على ماهر . وخرج على ماهر ليخطر الملك بالقرار الجديد . وأذكر هنا ان على ماهر قال بعد ذلك .. لقد كان الأمر شاقا على بالذات .. أن أنهى الى الملك هذا القرار . فقد كنت أنا الذى اتخذت اجراءات المناداة به ملكا ، ثم عملت على تخفيض سن الرشد المقررة دستوريا له ، بأن سعيت حتى احتسب عمره بالتقويم الهجرى وليس بالتقويم الميلادى ، وبذلك تسلم عرشه مبكرا خمسة شهور ونصف .. ولكنى على كل حال غير آسف اذ أبلغه هذا القرار لأنه استعصى على الاصلاح ورفض نصائحى وأبعدنى تماما عنه !

وخرج الملك ..

ولم يكن باقيا الا أن أقابل أنور السادات لأفضى اليه بالشىء الوحيد الذى كان يشغلنى ، وهو تأليف مجلس الوصاية .

وعلى باب ثكنات مصطفى باشا (قيادة الاسكندرية) خرج لى السادات مرهقا ، ولكن محتفظا بلمعة عينيه ، وكان الى جواره ضابط علمت فيما بعد أنه حسين الشافعى .

وهنأت السادات بما تم وقلت له : ماذا تنوون بشأن مجلس الوصاية ؟

فسألنى السادات .. من ترشح ؟

قلت له .. سليمان حافظ .

فبدت الدهشة على أنور السادات وسألنى ..

ـ هذا الرجل القصير القامة ؟

قلت .. نعم .

قال لى : هوه ايه بالضبط ؟

قلت .. وكيل مجلس الدولة .

فعاد السادات يسألنى .. وايه اللى جابه فى الحكايات دى ؟

قلت .. لأن قانون مجلس الدولة يجعل من وكيل المجلس المستشار القانونى الرسمى لرئيس الوزراء .

فقال البكباشى أنور السادات .. آه ..

قالها طويلة ممطوطة . ثم استطرد . بقى كده ؟ .. وبترشحه ليه لمجلس الوصاية ؟

فقلت له ·· لثـلاثة أسـباب ·· أولا لأنه وطنى حارب الانجليز بالسلاح ، واتهم فى قضية مقتل السردار ، وكان عنقـه قاب قوسـين أو أدنى من المشنقة ، وليس هناك شخص فيما أعلم فى قوة أعصابه وتماسكه · وثانيا ·· لأنه رجل اشتغل بالحياة العامة كمحام من الطراز الأول ، فاختلط بالناس اختلاطا حقيقيا مؤثرا وفعالا · وثالثا ·· لأنه صاحب أصفى عقل قانونى فى مصر · فاذا أضفت اليه نزاهته وتجرده من المصـلحة وتواضـعه الغريب لكان مزيجا من الوطنيـة والقانون والسياسة ·

ثم قال السادات ·· وايه رأيك فى بهى الدين بركات !

فقلت على الفور ·· سليمان حافظ أصلح ·

وقال لى السـادات ·· ربنا يعمل اللى فيه الخير · وتصـافحنا · وانتهى الحوار ·

وعلمت فيما بعد ، مما كتبه السادات بقلمه أنه تركنى لتوه ليلقى بجسده المرهق الذى لم يذق للنوم طعما طيلة الساعات الاثنتين والسبعين التى سـبقت هـذا اللقـاء ، على فراش الضـابط النوبتجى على مدخل الثكنات ·· ليستغرق فى نوم عميق لم يفق منه الا صبيحة اليوم التالى ·

ooo

رشاد مهنا يكرر الغلطة :

على أن علي ماهر لم يكن الوحيد الذى تصور أن فتحى رضوان « واصل » ، وانما وقع فى نفس الغلطة بعد ذلك أحد الضباط الثوار أنفسهم !

ونترك فتحى رضوان يروى القصة ..

« فيما يتصل بترشيحى لسليمان حافظ لرئاسة مجلس الوصاية (وفيما بعد سيرشح فتحى رضوان سليمان حافظ نفسه لرئاسة مجلس الوزراء) ، فقد علمت فيما بعد أن الأمور ما كانت تسمح بترشيحه . اذا كان يجب أن يتألف المجلس من أمير من الأسرة المالكة ، ووزير سابق رحيم مشهود له بالنزاهة والنظافة ، وضابط .

ومعرفتى برشاد مهنا كانت ترجع الى ما قبل الثورة . اذ أننا كنا شبه جيران فى مصر الجديدة . وكان قد أتهم فى قضية سياسية عسكرية قبل الثورة مباشرة تستهدف اغتيال ابراهيم عطا الله رئيس أركان حرب الجيش المكروه فى أعين صغار الضباط ، وكنا نحن المشتغلين بالوطنية والسياسية نتابع هذه القضية من وجهة نظرنا .. وقد اكتسب رشاد مهنى شعبية بين ضباط الجيش بسبب تلك القضية وأذكر اننى قابلته بعد الافراج عنه وهنأته بذلك .

ثم حدث بعد عودتى من الاسكندرية فى أعقاب نجاح الثورة واستتباب الأمور لوزارة على ماهر .. حدث أن طرق باب بيتى زائر بغير موعد ، وكنت أخذ حمام فترة ما بعد القيلولة . وخرجت من الحمام لأفاجأ بأن بأن الزائر هو رشاد مهنا !

وكنت أعتبره جزءا من مجلس قيادة الثورة .. السلطة الوليدة المسيطرة . ولذلك أدهشنى انه جاء الى شـــاكيا ومحتجا لأن قيادة الثورة قد تجاهلته . وبدا الى أنه كاد لا يسيطر على نفسه وهو يحدثنى عن محمد نجيب ، الذى كان لا يستطيع أن يستقر على مقعده الا بعد أن يجلس رشاد مهني — على حد قول رشـــاد — فاذا بنجيب ورفاقه بعد نجاح الثورة لا يقيمون له وزنا !

ودهشت مرتين .. مرة لأننى كنت أعتقد أنه من الواصـــلين المسيطرين ، فاذا بمجيئه يدل على أنه ليس كذلك . ومرة لأنه جاء الى يظن اننى من المشار اليه فى توجيه الأحداث ، مع أن الأمر لم يكن كذلك!! لم يكن كذلك !!

وخشيت أن أقول له انه لا يد لى فيما يجرى ، ســـواء بتجاهله او بضمه ، لاننى خشيت أن يسيىء فهم اعتذارى هذا ، ويفسره على انه تهرب من التدخل لصالحه ..

لهذا طيبت خاطره ، واتفقنا على أن يلقنى بى فى الغـــد فى دار الحزب الوطنى الجديد بشارع شريف بالقاهرة . وانصرف شاكرا ..

لأفاجأ فى اليوم التالى وأنا أتصفح الصحف انه قد عين وزيرا للمواصلات، فحمدت الله على إننى أعفيت من مهمة لم يكن فى وسعى أن اقدم فيها ولا أؤخر !

على اننى انتظرته فى الموعد الذى ضربه . وانقضى الموعد ولم يحضر .. وان كان قد اعتذر بعد انقضائه بساعات عن عدم مجيئه ، اذ اتصل مبينا عذره فى عدم الحضور بأنه كان يرأس وقتها المجلس الأعلى للسكة الحديد ، فهنأته ، وفهمت أن تعيينه فى الوزارة كان خطوة دستورية تمهد لعضويته فى مجلس الوصاية .

يكون عضو بمجلس الوصاية وزيرا سابقا .

وقد أعطتنى هذه الواقعة صورة عما ينشأ فى أذهان الناس عن الموجودين على مسرح من مسارح الأحداث أو قريبين منه ، مما قد يناقض الواقع أو يتفق معه كثيرا!.

عندما ظهر أنى ((غير واصل)) :

على أن ذروة الدراما ، أو الكوميديا ، لا تكتمل .. الا بصورة لقاء آخر بين فتحى رضوان وعلى ماهر ، بعد أن عرف الأخير انه لا واصل ولا حاجة .

كانت وزارة على ماهر قد قضت عدة أسابيع سارت الأمور خلالها على نحو أزعج الناس جميعا ، اذ بدا لفترة من الزمن أن كل شيء

باق على ما كان عليه ، وكأن الملك كان مجرد قطعة شطرنج عادية على الرقعة لا يموت كل شيء بموتها .

ونترك فتحى رضوان يتكلم ..

طلبت من على ماهر موعـــدا على مضض .. وكنت أنوى أن أقول له فى ذلك الموعد جملة واحدة لا يستغرق القاؤها عليه ســوى دقيقة .. كما كنت أريد أن أجرى تجربة انسانية ، أتأمل فيها التغيير الذى سيصيب على ماهر (من حيث علاقته بى) بعد أن أصـبحت غير ذى نفع له .. ولقد كانت تجربة ممتعة حقا !

ذهبت الى ماهر فى الموعد المضروب ، فاذا بى أبقى فى انتظار الاذن لى بعد الدخول ساعتين !

ولأول مرة فى حياتى لم أشأ فى موقف مثل هذا أن أتصرف مغضبا ، فقد أحسست وكأننا نحن الاثنين خصمان فى مباراة أعصـاب .. هو أيريد أن أسلم وأياس وانصرف ، وأنا اريده ، اما ن يعتذر عن عـدم المقابلة ويرمى القفاز فى وجهى ، أو يقهر على مقابلتى .. وحتى لا تفلت منى فرصة هذه التجربة الجميلة !

وعلى هذا الأساس تحملت الانتظار لمدة ســاعتين حتى أقابل رئيس الوزراء . وشاهدت فى خلال هاتين الساعتين فيلما سينمائيا ممتعا ، فقد تقاطر على حجرة الانتظار لفيف من الشخصيات ظن معظمهم اننى

من عمد النظـــام الجديد ، فأقبلوا على مهنئين أو محيين ، وتقبلت اعجابا من اناس بمقالات لم أكتبها ، وشكرا على مرافعات فى قضـــايا لم احضرها ، وتمجيدا على مواقف لم تخطر على بال !!

وبعدها دعيت لمقابلة على ماهر . ولست أنسى قط نظرة الدهشة التى بدت فى عينيه وهو يلمحنى أدخل حجرته بمعنويات مرتفعـــة ، ليس فيها غضب ولا حتى مجرد عتاب . واذ صـــافحنى ودعانى الى الجلوس قلت له مبتسما فى هدوء .. يا باشا أنا لا أنوى ان اجلس . واخشى أن أكون سأضيع عليك بعض وقتك الثمين .

فبدا عليه الخجل من هذه اللهجة ، وتذكر المقابلة الأولى . وتمتم ببعض الكلمات .

واستطردت أنا .. اننى واحد ممن يتساءلون هل عزل الملك ؟

وتغيرت ملامح على ماهر وسألنى .. يعنى ايه ؟

قلت .. أنا لا أكاد أرى مظهرا واحدا من مظاهر التغيير . سلام عليكم !

وتوجهت لتوى نحو باب الخروج دون أن أنتظر رد السـلام . وهرول ورائى على ماهر باشا رحمه الله دهشـا وهو يطلب أن أجلس لنتكلم ، وعلى هذا النحو وجدنا مدير مكتبه وهو يفتح الباب .. الضيف الذى كان دخل لتوه يهم بالخروج ، ورئيس الوزراء لم يدخر وسعا فى

حمله على الانصراف ويناشده الانتظار !

ولا بد أن على ماهر باشا فكر طويلا بعد خروج فتحى رضوان فى معنى هذه الحملة اليتيمة التى جاء المحامى الشاب الثائر ليقولها ويمشى . وعلى أية حال فان تفكيره لم يطل .. لأن الوزارة كلها ذهبت بعد أقل من ٤٨ ساعة من هذا اللقاء ، ودعى فتحى رضوان ليساهم فى صياغة الأحداث الجديدة والاتجاه الوليد .

فكيف كانت التجربة ؟

وكيف كانت تجرى الأمور فى كواليس حكومة يوليو الأولى ؟



روى فتحى رضوان أن الملك سعود أعجب بشخصية عبد الناصر ... وهذا صحيح ، ولكن ما أغرب الدنيا ! ... فقد تراوحت بعد ذلك علاقة عبد الناصر بالملك سعود بين أقصى العداء (فى أثناء الوحدة المصرية السورية) وأقصى المودة (من باب العداء المشترك تجاه الملك فيصل الشهيد) ... وهذه هى السياسة لعنها الله ! ...

والصورة تمثل الملك سعود مع الزعيم والسياسى العربى العظيم عبد الرحمن عزام الذى كان من أهم انجازات الثورة فى أول عهدها التخلص منه فى منصب أمين الجامعة العربية . وقد يأتى وقت نروى فيه الأسرار الحقيقية لوقوع الخلاف بين ثورة عظيمة كثورة يوليو وسياسى عظيم كعبد الرحمن عزام .

وأحسست من تصرف جمال سالم معي أنني تبخرت تماماً من المكان !

كل الناس بتجي يا افندم

لم يكن فتحي رضوان يعرف من رجال الثورة الوليـدة الا أنور السادات . الى أن اكتشف بعد أيام غير قليلة من نشوب ثورة ٢٣ يوليو ان من بين أعضاء مجلس قيادة يوليو البكباشي يوسف منصور صديق الذي كان زميلا له في مدرسة بني سويف الثانوية .

ولكن هذا كان حال المصريين جميعا . فالذين قاموا بالثورة كانوا من

شباب الضباط وكان تنظيمهم سريا ، ولم يكن الشعب يعرف عنهم شيئا قبل ٢٣ يوليو .

كذلك لم يكن واضحا مدى ما يريدون من تغيير ، وبأى سلاح سيفرضونه ، وكيف ، ومتى ، والى متى ..

كانت أيام تعارف ، استكشاف ، وجس نبض متبادل . تفاعلت فيها الرؤى والشخصيات ، ولم ينجل دخانها الا وقد فشلت أولى تجربة للحكم الثورى بوزارة مدنية ، وفرضت الحاجة أول وزارة يرأسها عسكرى في تاريخ مصر الحديث .

ونترك فتحى رضوان يرسم الصورة ، ويروى الأحداث ..

يقول فتحى رضوان انه فى تلك الأيام أصابت جهاز الدولة حالة تثير الاشفاق وأحيانا تثير الضحك .

من ذلك ما حدث فى وزارة الداخلية مثلا .. اذ ذهب ضابطان شابان – بدافع من حسن النية والتحمس للاصلاح فيما أتصور – وسيطرا على كل صغيرة وكبيرة فى الوزارة المذكورة وتوليا أكبر السلطات ، دون أن يقدما الى أى انسان ما يدل على انهما مكلفان رسميا بهذا الاشراف ، الذى ألغى كل اختصاصات الوزير وكل صلاحياته .

وبقى الضابطان الشابان يديران وزارة الداخلية دون أن يدرى عبد الناصر بذلك الا عن طريق المصادفة ، وكان ذلك حين ذهب الصحفى

حلمى سلام الى جمال عبد الناصر يستنجزه أوراقا معينة فى مكتب (ع) و (م) وهما الضابطان الشابان .

فسأل جمال عبد الناصر مندهشا .. من هما .. ولما عرف انهما وزير الداخلية غير المسئولين قام الى التليفون ليسأل عبد الحكيم عامر . فلم تقل دهشة عبد الحكيم عن دهشة جمال وسأله .. ومين قال أن الضابط (ع) فى الداخلية ؟

وبعد دقائق طلب عبد الناصر الى الضابطين الشابين أن يبرحا الوزارة ولا يعودا اليها !

وحكاية أخرى مماثلة ، حدثت فى شركة مصر الجديدة . اذ دخل أحد المهندسين الضباط على مكتب رئيس مجلس الادارة وقال له ان القيادة أرسلته عضوا منتدبا فى الشركة .

وعلى الفور هيأت الشركة للضابط المهندس الشاب (وقد أصبح فيما بعد صاحب مكتب هندسى كبير) مكتبا ملائما لصلاحياته الجديدة . وأقبل على ممارسة عمله كعضو منتدب بحماس ونجاح .

وبعد فترة اكتشف السيد عبد اللطيف البغدادى ان أحدا لم يصدر أى قرار بتعيين المهندس المذكور فى المنصب المذكور ، وانه ظل يمارس الاشراف ويوقع الأوراق ويصدر القرارات بناء على خبر نقله بنفسه شفهيا الى المسئولين عن الشركة .. وصدقوه .

أغرب لقاء مع جمال سالم :

ولكن ، أين كان فتحى رضوان فى تلك الأيام ؟

كان على حد قوله يستمتع بأول وآخر اجازة نالها منذ أيام الصبا ، ليستجم من فترة الاعتقال . وقد نصحه الأصدقاء « برأس البر » وكان لم يرها فى حياته .

ومن الطريف انه بعد هذه الاجازة بسنوات ، وبعد أن أصبح فتحى رضوان وزيرا للمواصلات كتب الصحفى محمد التابعى مقالا يطالبه فيه بتوفير قطارات مريحة لرأس البر ، وقال فيه .. « وأنا أعرف ان السيد الوزير من عشاق هذا المصيف البديع ذى الشخصية المميزة » ولم يكن التابعى يعلم أن المرة التى رآه فيها فى رأس البر كانت الأولى والأخيرة .

ونترك الآن فتحى رضوان يروى ما بعد هذه الاجازة ، وتفاصيل التعارف التاريخى بينه وبين رجال الثورة .

بعد عودتى من اجازتى الوحيدة ، بدأت أتردد على نادى هليوبوليس. وذات مساء من أوائل شهر سبتمبر لقينى على الباب شاب وحيانى وكان ذلك أمرا عاديا لأننى كنت عضوا عريقا بالنادى ، وكانت قصة اعتقالى والافراج عنى معروفة وذائعة . ولكن الشاب فاجأنى بقوله .. انت مابتجيش (عندنا) ليه يا أفندم ؟

فارتبكت جدا ، لأننى تصورت انه أحد ذوى قرباى البعيدين أو أصدقائى ، وان ذاكرتى قد ضعفت فلم أستطع أن أتبين شخصيته . على اننى اعتذرت له عن عدم مجيئى (عندهم) بأننى عائد لتوى من المصيف بالأمس فقط . فاذا به يستطرد ملحا ..

ــ لكن برضه (نحب) انك (تشرفنا) .. وازداد شعورى بالحرج . وبان على وجهى بجلاء اننى أفهم ماذا يعنى . فقال اسمه . ولم ألتقط ساعتها الاسم . وانما فهمت انه ضابط وانه يتحدث عن مجلس قيادة الثورة . وان (عندنا) هذه تعود على هذا المجلس .

فقلت له : وآجى (عندكم) أعمل ايه ! قال ببساطة : (يا أفندم) كل الناس بتيجى ! .

فأفهمته ان كل الناس تذهب الى مجلس القيادة لأن عندها ما تقوله او تطلبه أو تقترحه .. أما أنا فليس عندى ما اقوله او اطلبه او اقترحه . وانا لا اعرف من مجلس القيادة احدا الا انور السادات ، وهو يعرفنى جيدا ويعرف أفكارى .

فقال لى .. يا أفندم . لا أشك لحظة واحدة فى أن رئيس اللجنة السياسية (بتاعتنا) واسمه البكباشى جمال عبد الناصر ، يحب أن يراك .. وأنا سأحدد لسيادتك موعدا معه .

وأقسم ان اسم جمال عبد الناصر لم يعلق يومها فى ذاكرتى .

أما هذا الضابط الشاب الفاضل ، فكان هو السفير عبد المنعم النجار فيما بعد .

ولم أعلق كثير على ما دار فى هذا اللقاء ، واعتبرت انه من أحاديث المصادفة العابرة ولم يترتب عليه أي تفكير أو تعديل فى مسار برامجى .

ولكن الشاب نفسه اتصل بى بعد يومين وقال لى انه تحـدد يوم الجمعة التالى الساعة الثانية عشرة ظهرا لمقابلتى مع صاحب اسم ثالث (لا هو عبد الناصر ولا أنور السادات) وانما هو عبد الحكيم عامر . وانه قد تحددت لى الساعة السادسة من مساء السبت لمقابلة صاحب اسم رابع هو جمال سالم .

وأقول الحق فقد كان كل من اللقاءين لا يمكن أن ينسى . فأحدهما يقف فى قمة الجدية والثانى يقف فى قمة الكوميديا !

ذهبت الى مقابلة عبد الحكيم عامر فى الموعد المحدد . وقابلت ضابطا هادئا ، مهذبا طويل القامة ، بسيطا غاية البساطة لم يضيع لحظة فى اجراءات أو مجاملات ومقدمات التحية والترحيب وانما قال لى . تفضل.

دهشت وسألته .. اتفضل بماذا ؟

قال .. أنا عاوز أسمع .

قلت مبتسما ومندهشا .. تسمع ايه ؟

قال فى اقتضاب .. أنا عارف احنا اللى طالبينك .. وأنا أحب انك تتكلم .

فتحدثت حديثا متصلا لم ينقطع خلال ساعة كاملة أو ما يقرب من الساعة . وأذكر أن عبد الحكيم عامر فى آخر الحديث وضع رأسه بين يديه ، وأطرق منثنيا نحو الأرض وبدا عليه انه كان مســـتغرقا فى الاستماع ومتأثرا غاية التأثر به .. ثم رفع رأسه بعد أن انتهيت من كلامى وقال ..

ــ هذا الكلام لا أستطيع أن أنقله الى اخوانى كده كله .. هل لديك مانع أن تكرره على أسماعهم يوم الأحد القادم،الساعة الثانية عشرة ظهرا!.

لم يعقب بأكثر من ذلك . ولم يقل كلمة اعجــاب . ولم يتقــدم باستفسار .. ومع ذلك فأنا أعتبر أن تأثره البادى على وجهه كان أعظم تحية لقيتها فى حياتى البيانية .

وخرجت لأعود فى الساعة السادسة من اليوم التالى لمقابلة جمال سالم ، فى مقر قيادة الثورة بكوبرى القبة ، الذى كان خاليا فى تلك الساعة تقريبا من كل حركة أو نامة على حد تعبير المنفلوطى الـكاتب المصرى الشهير .

وفى الدور الثانى ، فى حجرة قريبة من أعلى السلم ، دخلت لأواجه بضابط طيار طويل القامة .. فى حجرة مضاءة بنور ساطع وأمامه أكوام من الأوراق ، وفى يده قلم يمر به على ما أمامه كلمة كلمة .

ولما دخلت عليه رفع رأسه نحوى وحيانى تحية ودية . وبعد أن صافحنى طلب لى فنجان قهوة ثم استدار الى ما أمامه من أوراق دون أن يبادلنى كلمة واحدة !

وجاءت القهوة وهو مستغرق فى قراءة الورق الذى بين يديه : تارة بصوت مسموع وتارة بتحريك الشفتين ، وهو بين هذا وذاك يكتب بالقلم تعليقا على هذه الورقة أو تلك وأحسست ان الرجل يتصرف على أساس أننى تبخرت تماما من المكان !

وطال الموقف على هذه الصورة الغريبة . ولكنه لم يخرجنى من

صبرى لسبب بسيط هو اننى وجدت فى تأمل هذا الموقف الغريب متعة . باختصار شعرت ان فتحى رضوان يتفرج على فتحى رضوان وهو فى هذا الموقف الغريب ..

وفجأة .. سنحت لى فرصة قطع الصمت من جانبى . اذ سمعته يتفوه بتعليق مسموع يخاطب به نفسه (دون أن يولينى أى التفات) على ورقة من الأوراق أمامه ، كانت صادرة من موظف مصلحة السجون الى مجلس قيادة الثورة تحوى اقتراحات وآراء بشأن تطهير واصلاح السجون .

واذا بجمال سالم يقول .. الناس دول فاكرين ايه .. احنا صلحنا الجيش بتاعنا .. وكل واحد يصلح مصلحته .

فقلت له دون أن يدعونى للكلام .. معنى هذا ان الحكومة ستتفتت أو تصبح فى كل مصلحة ثورة خاصة بها .

فلم يلتفت الى تعليقى ، ولا ظهر عليه انه يشعر أننى موجود . واستمر يقرأ ويعلق ، تارة بالكتابة وتارة بالحديث الى نفسه

فقلت لنفسى ان الموقف لن ينتهى بهذا الشكل . ومن جديد عدت أقول له : هل سيادتك تعلم أننى مدعو لمقابلتك أم لا ؟ فنظر الى رحمه الله طويلا كأنه يكتشف وجودى فى الغرفة لأول مرة .. ولا أدرى ان كان قال لى شيئا أو لم يقل . على اننى أوهمت نفسى انه قال .. نعم .. وبدأت أتكلم بسرعة وتوتر خفيف .

قلت .. من الواضح لدى أن مشاغلك لن تسمح بسماعى . وسأكون تحت أمرك اذا رأيت أن تحدد لى موعدا آخر .

فقفز جمال سالم واقفا لتوه .. وهز يدى بحماس شديد كأنه سمع منى أحسن كلام سمعه فى حياته . ثم ودعنى الى باب الحجرة ، ثم الى رأس السلم .

وانطلقت على السلم وأنا متصور انه عاد الى مكتبه .. فاذا به فى أعقابى وفى آخر السلم عاد فودعنى توديعا حارا جدا مرة أخرى .

واستدرت شاكرا بعد هذا الوداع الحار رقم (٢) الى باب الخروج أنتظر سيارتى فاذا به يتابعنى فى وقفتى ويعاود توديعى . واذ جاءت السيارة ونزلت أركبها . راح جمال سالم يهبط درجات السلالم بسرعة ويقف وقفة عسكرية (زنهار) ويحيينى تحية عسكرية وأنا فى السيارة لا أكاد أفيق من الدهشة .

رحمه الله كان رجلا صادقا مع نفسه . مستقيم الطبع جدا ، عنيفا جدا ومتقلبا جدا .

كيف حال على ؟

هكذا كانت مقابلات التعارف الأولى .

لكن التعارف الأعمق مع الثوار الجدد كان بعد ذلك . فى الموعد

الذى ضربه عبد الحكيم عامر لفتحى رضوان ، لكى يأتى ويقابل مجلس القيادة مجتمعا ..

نترك فتحى رضوان يروى القصة ..

لما جاء اليوم المحدد لاجتماعى بمجلس قيادة الثورة ، جلست فى القاعة الخارجية قليلا الى أن أكتمل عقد مجلس القيادة ..

ثم دخلت عليهم ، واذا بشاب منهم يتجه ناحيتى ويسألنى :

ــ كيف حال « على » ؟

ولما كنت لا أعرف شخصا من المتصلين بى اسمه « على » فاننى اضطررت أن أقول وقد اتهمت ذاكرتى بالنسيان .. خير كويس .

قلتها بطريقة عائمة لم تخف عن الضابط الطيار الشاب ، فاردفه قائلا .. أنا عبد اللطيف البغدادى . وواضح انك نسيتنى . لقد رأيتك وحضرت معك اجتماع شباب الحزب الوطنى الذى عقدتموه بجوار بنك مصر . وبعد الاجتماع ركبت معك فى سيارة « على الجرحى » الى جريدة الأخبار . وكنت جالسا الى جوارك وتبادلت معك الحديث .

وقد أحسست لأول وهلة اننى بين شباب تربطنى بهم صـــلات قديمة ، وانهم يتصرفون تصرفات لا كلفة فيها ولا تظاهر . وقد أعطونى اذانهم ووجدانهم وانتباههم وتفكيرهم بلا مقاطعات تقريبا .. الا مرة أو مرتين حين وجه المرحوم صلاح سالم بعض المداعبات الى أنور الســادات وكمال الدين حسين وهى مداعبات زادت من روح الألفة فى الاجتماع .

وخلاصة ما قلته فى ذلك اليوم أن الثورة أسلمت ذقنها وروحها الى من لا يؤمن بها ولا يمكن أن تؤدى رسالتها بهذه الطريقة . وانه يجب أن تتغير العقلية السياسية للبلد . فلا يمكن ان يختار الوزراء بمعايير أخرى لا يتقيد فيها الاختيار بالسن ولا بالوظيفة السابقة . فالوزارة ليست رأس هرم . ولا درجة عليا تأتى على رأس التدرج الوظيفى .. وانما يشترط فيها الكفاءة والماضى الوطنى والقدرة على تحمل المسئوليات الجديدة . ان مجلس الوزراء يجب أن يتحول الى خلية ثورية أو لجنة تتناول جميع الأمور بروح الهدم والبناء بروح الوصول الى الأهداف المطلوبة بأقصر الطرق وأسرعها .

أيضا طريقة التربية السياسية والتوجيه وفى مقدمتها الاذاعة والصحافة يجب أن تتغير . فأنا لا اتصور أن يكون هناك اجتماع سياسى مثلا فى سرادق وأن يتوالى المتحدثون على المنبر ساعات ... ثم ينفض المجتمعون كأنهم كانوا فى حلقة ذكر . ان الاجتماع السياسى فى رأيى يجب أن يعقد فى الميادين وتنقل تفاصيله عبر ميكرفون الاذاعة . ويتكلم فيه واحد بكلام محدد . ويجب أن يكون له نشيد يرتله المستمعون وينقل الى أجزاء العاصمة أو المدينة المنعقد فيها حماسه (ولا يزال فتحى رضوان يرى أن مصر ينقصها حتى الآن نشيد قومى مثل حفظ الله الملك فى انجلترا ، والمارسليز الفرنسى وغيرهما .

وقلت أيضا انه يجب أن يعاد بناء الجهاز الحكومى على اسس تختلف تماما عن الأسس التى تعتبر الشهادة جواز المرور الوظيفة وان لكل شهادة سعرا ، ولو كان حاملها لا يؤدى العمل ، على أحسن وجه .

وقلت ان السلك السياسى الخارجى معطـــل تماما . لا يعرف شيئا عن شئون البلد فقد كان السفير حين يحضر للقاهرة لا يستطيع أن يقابل الملك ولا رئيس الوزراء ولا وزير الخارجية والسفارات خالية تماما من أى شىء يقدم الى اهل البلد الأجنبى اهل الوطن المصرى .. وأفضت فى هذا المعنى كثيرا .

وسألونى ما رأيك فى الدستور ؟ فقلت لهم أن دســـتور ١٩٢٣ الذى يجب اسقاطه فيما بعد كان دستورا نموذجيا .. لأنه كان يقــرر أن الأمة مصدر السلطات وأن الملك يملك ولا يحكم ، ان أوامره المكتـــوبة والشفوية لا تعفى الوزارة من المسئولية ، وان المجلس التشريعى يملك اسقاط الوزارة ، ويملك مساءلة الوزير ، ويملك محاكمـــة الوزراء ، ولكن الدستور هو الشعب . فالشعب الذى يفرط فى حقوق نفســـه لا ينفعه أى دستور مهما كانت الضمانات الموجودة فيها .

وقلت ان مهمتنا الأولى هى أن نخلق رأيا عاما قادرا على ان يقيم الدستور حين يعتدى عليه .. لا أن نصدر دســـتور لكى ندع أحكـــامه تسقط الواحد بعد الآخر .

وطالبت بألا نطيل الوقت فى المحاكمات لأن هـــذا يحـــدث بلبلة ويعطل العمل الثورى .

واقترحت أن يعين مكتب يتلقى جميع الاتهـــامات والادعاءات فما قام الدليل على صحته يحال الى المحكمة الثورية لتفصل فيه حالا ، لتطمئن النفوس وتستقر الضمائر والخواطر .

وقبل أن ينتهى كلامى عدت فلخصته بوضوح قائلا ..

على ماهر يجب أن يذهب .

يجب أن تشكل وزارة جديدة من الشباب الوطنى صاحب الماضى الوطنى المتمتع بكفاية فنية .

الوزارة يجب أن يكون رئيسها سليمان حافظ .

يجب انشاء وزارة للدعاية .

يجب الاعتماد الكامل بجهاز الاذاعة وتغيير برامجه فلسفة وتخطيطا وتنفيذا وأسلوبا .

يجب تغيير النظرة الى الصحافة وتزويدها بدم جديد وبأساليب تحرير جديدة .

الاصلاح الادارى يجب أن يكون هدفه سريعا وبسيطا (وأذكر اننى فى هذا اليوم القيت أول مرافعة للدفاع عن « الروتين » ، واثبات ان « الروتين » نظام ، وانه لا دولة بغير نظام أى روتين . أما التعقيدات فى القانون فيمكن ازالتها دون هدم فكرة القانون كله ودون هدم الروتين .

هذا ما أذكره الآن عن حديثى الى مجلس قيادة الثورة فى هذا الاجتماع .

ولا أحسب أن نجاح كلامى كان راجعا الى عباراته ، بقدر ما كان فى الروح العامة التى تمشت ، روح التجديد ، والهدم للبناء ، ولعل أكثر ما تأثروا به ــ كما قال لى فيما بعد صلاح سالم ــ انه أول كلام

سمعه فى مجلس قيادة الثورة لم يمدح فيه المتكلم نفســــه ولم يهاجم المسئول وكل همسة كل كلمة . . واذا باللواء نجيب يبدأ كلامه موجها الخطاب واستدعانى . ثم انهم تصوروا أنى واحدا من هؤلاء الضباط ولكن فى ثياب مدنية .

وبطبيعة الحال كانت هناك تفريعات وأسئلة من هنا وهناك لشرح بعض ما أجملته .

وكان قد استأثر بانتباهى فى تلك الجلسة مشهد ضـــابط طويل أسمر اللون ، صامت يجذب أنفاسا عميقة من سيجارة بين أصـــابعه بحركات تنم عن التركيز والانشغال حتى عن الاستمتاع بالسيجارة . وقد حدث فى أثناء حديثنى أن قاطعنى قائلا . .

ـــ انت مش فاكرنى ؟

ولما كنت قد انست الى المجلس ، فقد قلت له على الفـــور . . لا تؤاخذنى . أبدا مش فكرك . فقال لى . أنا جمال عبـــد الناصر ، انا كنت فى شعبة مصر الفتاه فى باب الشعرية ورئيسنا فيها كان محمـــد صبيح . وكنت أيامها طالبا بالحقوق . ثم تركتها لألتحق بالحربيـــة بهدف . وسكت . ولم أسأله عن الهدف الذى أشـــار اليه . فقد كان الهدف واضحا .

وانتهت الوزارة ! .

وخرج فتحى رضوان من لقائه السرى بمجلس قيادة الثورة وهو

متأكد مائة فى المائة أن ساعات وزارة على ماهر قد أصبحت معدودة .

فذهب من توه الى منزل صديقه الدكتور نور الدين طراف وكان قد دخل الوزارة الماهرية الثانية لوزير البلدية ودخل معه محمود محمد محمود .

ونترك فتحى رضوان يروى القصة بألفاظه ..

« قلت لنور الدين طراف .. اننى أعلم يقينا أن الوزارة التى أعلن أنه سيشترك فيها لن ينقضى عليها أكثر من ٢٤ ساعة .. فاذا كنت حريصا على الأسبقية البروتوكولية فأدخل الوزارة وأد اليمين الدستورية .. أما اذا كنت لا تريد أن تكون من وزراء العهد البائد ، والا ينسب الى اسمك تاريخيا المشاركة فى وزارة على ماهر ، فعلى الأقل أعتذر عن أداء اليمين لأى سبب ولو لمدة ٢٤ ساعة .

ولم يأخذ أخى نور الدين طراف بنصيحتى ربما لأن تجربته فى السياسة قد علمته أن السياسة لا منطق لها وأن الوزارة التى لا يقدر لها أن تعيش يوما واحدا قد تبقى أعواما ..

والوزارة التى تؤلف لتعيش الى ما شاء الله قد لا يمد الله فى حبل عمرها أكثر من ساعات معدودات .

ومن العجيب أن هذا يتلاءم مع عقيدتى أو نظريتى الشخصية فى أن الأشياء المؤقتة فى السياسة هى الباقية . فالاحتلال البريطانى جاء

« مؤقتا » ليبقى ٧٤ سنة . والأحكام العرفية التى أعلنت يوم ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ قال النحاس باشا بملء فمه انها تعلن مؤقتا . ثم ظلت قائمة فى مصر الى ما بعد وفاة جمال عبد الناصر ! .

وهنا يقول فتحى رضوان أن نور الدين طراف لو أخذ بنصيحتى لضاعت عليه تجربة انسانية لطيفة ذلك أن الدكتور طراف فى اليوم الوحيد الذى باشر فيه عمله كوزير للشئون البلدية والقروية قبل أن تطيح القيادة ثانى يوم بالوزارة كلها كان قد فوض أحد موظفى البلديات اختصاصات مدير البلدية بسبب غياب المدير والوكيل ، وذلك بناء على طلب متواضع من هذا الموظف وفى اليوم التالى عندما دعى نور الدين طراف لأداء اليمين فى وزارة نجيب وجد أن زميله فى الوزارة الجديدة للشئون البلدية هو نفس الموظف الذى كان يرجوه أن يفوض اليه فقط اختصاص رئيس بلدية واحدة من ضمن عشرات البلديات التابعة للوزارة وكان هذا الوزير الجديد هو الأستاذ عبد العزيز على .

وبعد أقل من ٢٤ ساعة ، دعى فتحى رضوان للمشاركة فى الوزارة الجديدة ، بل للمشاركة فى اختيار الوزراء الجدد .

وفى الحقيقة أخذ مجلس قيادة الثورة برأيه فى كل شىء .. الا فى شىء واحد ، هو أن يكون سليمان حافظ رئيس الوزارة الجديدة .

والى الفصل التالى .. حيث يأخذنا فتحى رضوان معه الى مكتب الرئيس « اللواء محمد نجيب » لنرى صورة حية نابضة للطريقة التى تألفت بها أول وزارة عسكرية فى تاريخ مصر الحديث .   ب

وقال محمد حسنين هيكل يخاطب الدبلوماسي الأمريكي: احذر فتحي رضوان



لم يمض ٢٤ ساعة على الاجتماع الذى عقده مجلس الثورة للتعارف مع فتحي رضوان ، والاستماع الى آرائه ، حتى فوجىء المحاور الثائر ثلاث مفاجآت ..

المفاجأة الأولى .. أنهم أخذوا برأيه فى تشكيل وزارة ثورية ، لا يشترط أن يكون للوزير فيها شارب يقف عليه الصقر ، أو كرش يتيه

به على العاملين ، أو نفوذ يرتكز على الجـاه أو الثروة . وأنما تتألف كالخلية الثورية من شبان ماضيهم ناصع ، وفكرهم متقدم ، ووطنيتهم ليست محل شبهة .

والمفاجأة الثانية .. أنهم اختاروه عضوا فى هذه الوزارة .

والمفاجأة الثالثة .. والكبرى .. أنهـم قرروا ، على عكس رأيه تماما ، أن يرأسها عسكرى !

ونترك فتحى رضوان يروى كيف حدث هذا ، وماذا جرى بعده .

يقول فتحى رضوان ..

« بعد أقل من ٢٤ ساعة من انصرافى من مجلس قيادة الثورة . كنت فى مقر ادارة قضايا الحكومة وكان مقرها شارع الفلكى . فوجدت سليمان حافظ خارجا من مكان ما فى ساحة الادارة . وتصافحنا .. فاذا به يقول لى بمنتهى الهدوء .. تعال النهارده الساعة ١٢ فى مجلس القيادة !

قلت له .. خير .

قال .. الوزارة الجديدة يجرى تشكيلها . وأنت مدعو للمشاركة فيها . وفكرتك أخذوا بها وفاتحونى فى أن أتولى رياسة الوزارة . ولكن أنا قلت لهم .. ان الوزارة كبرت وتحتاج الى شخصية دوليه لا شخصية قانونية . ولذلك اقترحت عليهم أن يكون محمد نجيب هو رئيس الوزراء الجديد !

« فصرخت .. عملت كده ليه ؟ أنت لسه عند فكرة ادخال الضباط في الحكومة ؟

« فقال سليمان حافظ يرد على صرختى .. محمد نجيب رجل مدنى . لماذا تحسبه على العسكريين ؟

فشعرت بهم كبير . وكدت لا ألبى الدعوة .

ولكن قلت لنفسى .. لعل من الخير أن أكون موجودا . فلعلى أكون قادرا على أن أمنع شرا . وأرجو ألا يكون فى هذا فرط اعتداد بالنفس .

وذهبت الى مجلس قيادة الثورة فوجدته مجتمعا . ووجدت جمال عبد الناصر وقد اتضحت شخصيته أكثر ، وبدا دوره الحقيقى أشد وضوحا .

وبدأت أذكر أسماء الذين أرشحهم . فلم يعترض على أحد منهم قط . وتولى اللواء محمد نجيب دعوتهم بنفسه واحدا فى أثر الآخر .

وأذكر أننى رشحت فى ذلك اليوم سليمان حافظ ليكون نائبا لرئيس الوزراء ، وحسين أبو زيد ليكون وزيرا للمواصلات . والدكتور محمد صبرى منصور وزيرا للتجارة والصناعة ، وفريد أنطون وزيرا للتموين . وأحمد فراج وزيرا للخارجية . والأخير دخل قاعة مجلس الثورة وهو لا يعلم ان كان مسوقا للاعتقال أو لدخول الوزارة !
وفى ذلك اليوم اعتذر عن دخول الوزارة أكثر من عشرين

مرشحا (!!) .. أذكر منهم محمود محمد محمود ، ومريت غالى

وابراهيم بيومى مدكور ، وحامد سليمان ، وحفنى (باشا) محمـود .
وكانت طريقة الدعوة الى دخول الوزارة فى بعض الأحيان من أسـباب
الاعتذار عن دخولها .. فمثلا حفنى محمود كان مسافرا الى الاسكندرية
فى الطريق الصحراوى . فلحقت به سيارة جيب من سـيارات الشرطة
العسكرية . واستعادته الى القاهرة بدون أن تقدم له سببا واضحا ..
لأن قائد الحملة نفسه لم يكن يعلم السبب . وبهذه الطريقة دخل حفنى
محمود مجلس قيادة الثورة وهو يظن أنه مطلوب للاعتقال .. فلما عرف
أنه مرشح للوزارة اعتذر فى الحال .

مرشح آخر اعتذر فى الحال قبل أن يستمع الى باقى كلام محمد
نجيب . وهو السـيد زكى شرف وكيل وزارة العدل . اذ اتصـل به
اللواء محمد نجيب تليفونيا ، وصاح يخاطبه قائلا وسط ضـجيج فى
القاعة ..

ـ يا زكى بيه .. احنا يسعدنا تكون ويانا فى الوزارة الجديدة .

ومضت لحظة صمت . تبعتها نظرة دهشة من محمد نجيب لنا وهو
يقول ..

ـ الراجل اعتذر قبل ما أكمل كلامى !

وراح محمد نجيب يكـرر الدعـوة .. وراح زكى شرف يكـرر
الاعتذار !

وكان زكى شرف واحدا من ثلاثة . قدم المرحوم المستشار حسن

الهضيبى (المرشد العام للاخوان المسلمين) أسماءهم بنفسه ، ليمثلوا الاخوان المسلمين فى الوزارة ..

أولهم كمال الديب الذى كان محافظا فى ذلك اليوم لمدينة الاسكندرية ، ولم يتم دخوله الوزارة لأن جمال عبد الناصر كان مصمما على تأليف الوزارة فى نفس اليوم بأى شكل . على أن تؤدى اليمين الدستورية بعد المراسيم والاجتماع بكامل هيئتها . ولأنه تعذر استدعاء كمال الديب على الفور . فقد صرف النظر على ترشيحه !

وثانى المرشحين الاخوانيين كان زكى شرف الذى اعتذر كما رأينا .

وثالثهم أحمد حسنى الذى قبل على الفور دخول الوزارة .

فى ذلك الوقت كان فى الحجرة المجاورة شباب الاخوان المسلمين . ومنهم منير دلة وحسن العشماوى . وكانوا قد اتفقوا فيما بينهم على أن تأخذ الثورة واحدا من مرشحى الهضيبى وواحدا من الشباب وفهمت بعد فترة وجيزة من بدء الحديث ان هذا المرشح هو المرحوم الأستاذ حسن العشماوى . فاذا به يقول .. اذا أردتم مرشحا اخوانيا شابا . فأنا أرشح لكم الشيخ أحمد حسن الباقورى .

واذا بجمال عبد الناصر رحمه الله يجذبنى برفق الى زاوية فى الصالون ويسألنى ..

ـ انت بتقول مين ؟

قلت .. الشيخ الباقورى ..

قال .. مين ؟

فقلت .. الشيخ الباقورى ..

ولمحت فى عينيه نظرة تساؤل . كان من الواضح انها المرة الأولى التى يسمع فيها بهذا الأسم . فقلت له مبررا ترشيحى .. أنا عاوز فى الوزارة دى « عمامة » .. وعاوزها على رأس شاب . والشيخ الباقورى خطيب ، ووسيم ، ودخل السجا وقاسى أهوال المعتقل . فهو صورة للأزهرى غير الصورة المعروفة عنه للناس .

فقال لى عبد الناصر .. أنا عاوزك توافق على ترشيح حسن العشماوى .. وبلاش حكاية الباقورى .

فقلت له .. حسن العشماوى علاقته بى حسنة . فهو أولا ابن أستاذى محمد العشماوى وأخوه رجائى زميل فى جميع سنوات كلية الحقوق . وثالثا لقد أعطانى حسن العشماوى فى يدى هذه مئات الجنيهات للدفاع عن قضايا الاخوان المسلمين . ثم أنا أعلم انه ذكى .. لكننى لا أستطيع أن أرشحه للوزارة !

فعاد عبد الناصر يتحدث عن سجايا حسن العشماوى ، وبعد كلام كثير قال .. أن حسن العشماوى كان المدنى الوحيد الذى كان يعلم بأمر الثورة قبل وقوعها .

وعاد فكرر .. المدنى الوحيد . أنت ما تعرفوش كويس .

فقلت .. هذا صحيح .. وعلى كل حال فأنا موافق على دخوله الوزارة .

قال .. صحيح ؟

قلت .. مع الباقورى !

فبدت عليه ، رحمه الله خيبة أمل .

وقال .. ولكننا لا نستطيع أن نأخذ من الاخوان المسلمين الا شابا واحدا .

قلت .. الأمر لك .. فما دامت الفكرة مختصرة جدا لديك الى هذا الحد .. فالخيار أمامك بين حسن العشماوى وبين الباقورى ، وأنى شخصيا أرشح الباقورى وأصمم عليه .

وانا أعتبر ان تحية جمال عبد الناصر لى بقبول ترشيحى للشيخ الباقورى . وعدوله عن مرشح كان عزيزا جدا عليه وقريبا جدا الى نفسه . تحية ضخمة . وكان يسرنى دائما أن أرى الشيخ الباقورى محل رضا للضباط وجمال عبد الناصر بالذات . بل أن عبد الناصر كان يقدمه فى بعض الأحيان على شخصى ، ويحاول أن يستثير غيرتى باسناد امور اليه مفروض أن تدخل فى عملى . من ذلك أنه ظن بى كسلا فى يوم من الأيام عن اذاعة أشياء مطلوبة للدفاع عن مواقف الثورة فالتفت الى الشيخ الباقورى فى مجلس الوزراء ، وقال له .. يا شيخ أحمد .. تروح أنت الاذاعة ؟

وفى الحال قلت .. ياريت .. عايز ييجى أهلا وسهلا !

الباقورى على خلاف مع الهضيبى .

ولكن .. ماذا كان رد فعل اختيار الباقورى على الاخوان المسلمين ؟

هنا يعتذر فتحي رضوان عن الكلام • لأنه التزم بألا يروى الا ما رأى بنفسه • جمال.

ولما كان ضروريا ــ لكى تكتمل الصـــورة •• أن نعرف اجـابة السؤال ، فلا بد من اللجوء الى زاوية أخرى .. ننقل عنه بايجاز ما يلبى هذه الضرورة •

وهذا الراوى هو الأســتاذ الكبير كامل الشــناوى ، رحمه الله ، والمرجع هو « أخبار اليوم » فى سبتمبر عام ١٩٥٢ ••

كان الباقورى أصلا على خلاف مع المرحوم حسن الهضيبى مرشد الاخوان • لأنه انضم الى جمعية كان المرشد يراها منافسة للاخوان وهى جمعية الفلاح » التى أنشأها أحمد حســين باشا ، ليقاوم ببرامجها الاصلاحية دعوة الشيوعين • وكان هذا الباشا رجلا دخل السياسة عن طريق الاصلاح الاجتماعى • وأنشأ قبل الثورة علاقات ممتازة مع أمريكا، رشحته فيما بعد لكى يكون سفيرا لجمال عبد الناصر هناك •

ثم دب خلاف آخر بين الباقورى والهضيبى بعد الثورة •

فقد وقف الهضـــيبى فى اجتماع لقيادة الاخـــوان يقول ان حركة الجيش تنفيذا لمبادىء الاخوان •

وسأله أحد الأعضاء •• هل يمكن أن نعرف مدى صـــلة الاخوان بحركة الجيش ؟

فابتسم الهضيبى بهدوء وقال •• مافيش داعى للاحراج !

وفهم الموجودون طبعا ان الصلة قوية جدا ، ولكن المرشد العام يريد كتمان الأسرار .

وتابع المرشد العام حديثه ، فاقترح اصدار بيان باسم الاخوان ، يطالبون فيه بأن يكون القرآن دستور الدولة ، وبتحريم فوائد البنوك ، ومنع سفور المرأة ، وقال .. نحن نعهد للأستاذ الباقورى بكتابة هذا البيان ، على أن نختار عضوا آخر يعاونه .

فقال الباقورى .. قبل أن تختاروا من يعاوننى فى كتابة البيان يحسن أن تنتظروا لتعرفوا رأيى أولا .. هل أنا موافق على كتابة البيان أم لا ؟

قال الهضيبى .. نريد أن نعرف رأيك .

فقال الباقورى .. يجب أن يكون الرأى من حركة الجيش أحد موقفين .. فأما أن نؤيد هذه الحركة ، وأما أننا نعارضها . وليس من شك فى أننا نؤيدها . ومادمنا كذلك ، فأن من واجبنا أن نعمل على تهيئة كل الأجواء التى تساعد نجاح هذه الحركة وبلوغ مراميها البعيدة .. ولذلك فأننى أرى ان من عوامل انجاح حركة الجيش الا ندعى أن لنا صلة بها .

واستطرد الشيخ الباقورى يقول ما معناه أنه اذا شاع ان للاخوان صلة بحركة الجيش كان هذا داعيا لتأليب الرأى العام العالمى ضد هذه الحركة . ومن الممكن ببساطة ان يقال ـ أن جيش مصر فى ظل حكم تعصبى أعمى يدبر لاضطهاد الاقليات الدينية وقسرهم على مالا يحبون نحن اذا كنا حقيقة نسعى لانتصار الجيش يجب ألا نحسب أنفسنا عليه ولا نحمله عبء تأليب العالم عليه .. ويجب اذن ، وببساطة ، أن يختفى الاخوان المسلمون من الصورة !

وانتهى الباقورى الى اعلان معارضته للبيان المقترح اصـــداره عن الاخوان المسلمين ، قائلا أنه سيثير العراقيل أمام الثورة .. فليس الوقت الآن وقت مطالبة بأن يكون القرآن دستور الدولة (هذا كلام الباقورى) .. لأن هــذا الطلب ســـيؤول تأويلات شـــتى تسىء الى حركة الجيش التقدميه .

وتساءل الباقورى .. كيف يمكن أن نقول الآن للعالم الخارجى أننا نطالب بتحريم فوائد البنوك ، فى حين أن اقتصاد دول العالم بلا استثناء قائم على المعاملات المالية فى البنوك . وكل هذه المعاملات ترتكز على قواعد مالية حديثـة تبيح الفـوائد . فهل يعقل أننا نســعى الى قلب النظام الاقتصادى العالمى ؟

وعن منع سفور المرأة قال الباقورى أن هذا الطلب يستحيل تنفيذه فى القرن العشرين . وهنا قال الهضيبى .. نعم . أنى أؤيدك فى هذه النقطة بالذات .. وان كنت اختلفت معك فيما سبق من آراء .. وعلى كل حال نأخذ الأصوات . فالأمر شورى بيننا .

واخذت الأصوات .. فلم يقف مع الشـيخ الباقورى غير صـــوت واحد .. هو صوت الشيخ الباقورى .

وخرج الباقورى من الاخوان . وأن كان قد دخل الوزارة بحكم انتمائه الى الاخوان !

هــكذا كان الوجه الآخر من قصـــة دخول الباقورى الوزارة .. نقلناه ملخصا عن كامل الشناوى رحمه الله .

أما فتحى رضوان ، فيرفض مجرد التعليق ، مادام لم ير بنفسه ! وهو يفضل أن يقفز ، من قصة تشكيل الوزارة كلها ، الى رواية

التجارب الأولى له فى الحكم ٠٠ بعد أن صار وزيرا ٠
وما أدراك ما سباركس !

كانت أول حفلة اجتماعية يحضرها فتحى رضوان بوصفه وزيرا ، سببا فى اخراج مستشار السفارة الأمريكية من القاهرة !

ونترك فتحى رضوان يروى القصة ٠٠

كان ذلك فى أول حفلة اجتماعية تقام لضباط الثورة .

وكانت بدعوة من رئيس مجلس ادارة شركة الكوكاكولا بالقاهرة ، بمناسبة حضور عدد من رجال المال والأعمال الأمريكيين ، ودعى اليها عدد من الوزراء ٠ وكنت منهم ٠ وقد اقيمت الحفلة فى شقة بالزمالك ، شغلها فيما بعد الأخ حسن عباس وزير الاقتصاد ٠

واذا بى أجد نفسى وجها لوجه أمام سباركس ٠ وما أدراك ما سباركس ٠

كان سباركس سكرتير أول السفارة الأمريكية قبل الثورة ٠ وكنت قد عرفته فى عام ١٩٥١ وتناولت معه الغداء على مائدة الدكتور نور الدين رجائى وحرمه الدكتورة درية شفيق ٠

ثم رأيته بعد ذلك صبيحة يوم ٢٦ يوليو بالاسكندرية فى رياسة مجلس الوزراء ٠ وكان فى حالة تدعو للرثاء ، مضطربا يكاد يكون غير قادر على جمع شتات ذهنه وأعصابه وهو يقول ٠٠ الملك فى خطر ٠٠ السفير ٠٠ أرسل الى لكى أطمئن على سلامة الملك !

ولم ينتبه سباركس الى وجودى ٠ وحدث فى نفس اللحظة أن دخل

اللواء محمد نجيب ومعه البكباشي أنور السادات . ونظر نجيب الى مستر سباركس فى هدوء ورباطة جأش وقال له ..

ـ ايه الحكاية .. فيه ايه غلط ؟

فقال سباركس بتأدب وقد عاد الى حالته الطبيعية فجأة وكأنما بفعل زر كهربائى ... يا صاحب السعادة . الملك . الملك !

فطمأنه نجيب قائلا .. لا تقلق .

وجال سباركس ببصره فى الجميع بعينين زائغتين . ومضى نجيب الى مكتب رئيس الوزراء وجمع السكرتير الأول فى السفارة الأمريكية شتات نفسه وانصرف !

هكذا رأيته آخر مرة .

وهأنذا الآن أقابله من جديد . فى أول حفلة أحضرها بصفتى وزيرا .

وتصافحنا تصافح العارفين .

المهم ، تصافحنا . ولعلى كنت الوحيد الذى يعرفه سباركس بين المدنيين الموجودين . وأقبل على مجيبا ومرحبا وراغبا فى أن يدور بيننا حديث . واذ به يفاجأ بأننى قلت له على مسمع من احد أعضاء القيادة . ولعله كان فى تلك الليلة السيد عبد اللطيف البغدادى .. يا مستر سباركس ، أنت اعترضت على دخولى الوزارة ، لأننى وان لم أكن شيوعيا

الا أن تصريحاتى وتعليقاتى على الأمور تكاد تكون طبق الاصل مما تقوله اذاعة موسكو !

وخيل الى سباركس أننى وقد أصبحت وزيرا فسألتزم حدود اللياقة والمجاملة الديبلوماسية فلا أطلعه على المصدر ، ولا أصمم على هذا العقاب الحاد • فقال متظاهرا بالدهشة •• من قال ذلك ؟

فقلت له •• الصاغ صلاح سالم ! •• وقد حدث هذا صبيحة تأليف الوزارة •

وشحب لون سباركس حتى حاكى وجوه الموتى ، ثم احمر حتى أصبح فى لون الطربوش • وحاول أن يجد كلاما يقوله لدفع الحرج •

وكنت أتكلم مع البغدادى عن الخلفية الروحية للثورة •• وأن تلك الخلفية الروحية للثورة هى كفاح الحزب الوطنى •• فتدخل سباركس فى الحديث قائلا .. اذا سمحتم لى فان لثورة ٢٣ يوليو خلفيتها الروحية الخاصة •

ولم نعلق •

ومرت الأيام ونسيت هذا الحديث • وكنت أظن أنه لن تكون له أثار أو نتائج ••

ثم حدث بعد شهور ان كنت ذات أصيل أستجم فى نادى الجزيرة

فاذا بمحمد حسنين هيكل ومعه عضو فى السفارة الأمريكية ـ وأظنه « وذربى » ، فان خانتنى ذاكرتى فى الاسم فلأذكره بالأوصاف . فهو ذلك الديبلوماسى الأمريكى الذى اشتهر بأن احدى عينيه أضيق من الأخرى . وبدأ هيكل يقدم مرافقه الأمريكى لى وهو يقول ..

ـ حاسب على نفسك .. فهذا الرجل هو الذى (طير) سباركس !

ورفعت حاجبى الى أقصى ما تستطيع أن ترتفع .. وقلت له .. أنا طيرت سباركس ؟ أنا لم أره الا ثوان فى حفلة رجال الأعمال الأمريكيين .

فضحك هيكل وقال : ثوان منك كانت كافية .. فأن الحوار الذى واجهته فيه بخبر اعتراضه على دخولك الوزارة وصل الى مسامع الخارجية الأمريكية ، فاعتبرته « انكشف » فى القاهرة .

خازوق » الشيوعية :

أما أول مناسبة يتعامل فيها فتحى رضوان ، بصفته وزيرا ، مع العرش الملكى .. فكانت بعد ذلك ، فى عام ١٩٥٣ .

كان قد تولى وزارة الخارجية بالنيابة فى غياب وزيرها الأصلى محمود فوزى . ومصر الثورة لاتزال ملكية يحكمها « أحمد فؤاد الثانى » الذى كان مصيره نفس مصير كل ملك « ثانى » فى التاريخ .. اما أن يقتل أو يعزل فيصل الثانى فى العراق غليوم الثانى فى المانيا عبد الحميد الثانى فى تركيا ـ عباس الثانى فى مصر ـ اسكندر الثانى فى روسيا .. والملاحظة الذكية لفتحى رضوان

ويجد فتحي رضوان نفسه .. بوصفه وزيرا للخارجية بالنيابة .
واقفا الى جوار الأمير محمد عبد المنعم رئيس مجلس الوصاية على العرش .
والوقفة نفسها ، حتى بدون كلام ، كانت وقتها أمرا غير قابل للتصديق
فكل من الرجلين ينتمي الى عالم يختلف تماما عن العالم الذى ينتمى
اليه الآخر . أحدهما جاء من عالم يطالب بعنق الثانى . وكاد يظفر
فعلا بهذا العنق ، وثانيهما ينتمى الى عالم لم يدخر وسعا لتقويض عالم
الرجل الآخر . وبدا أن وقوفهما معا أمر يتنافى مع طبائع الأشياء
وسنن الحياة » .

ولعل هذا الموقف ـ موقف الثار والأمير فى قاعة العرش ـ قد
ألهم فتحى رضوان فيما بعد لوحته التاريخية النفسية النادرة التى تحمل
اسم « الملك والثوار فى عربة » ، وهى كتاب يصور المرحلة الأخيرة للملك
التعس لويس السادس عشر فى محاولته الفرار الى الحدود هربا من
المصير المحتوم .

هنا يقول فتحى رضوان

هنا أفتح قوسا لأقول أنه عقب أن نشر خبر اسناد وزارة الخارجية
الى (على سبيل الندب) ذهب البكباشى أحمد أنور كعادته الى فؤاد
سراج الدين باشا سكرتير عام حزب الوفد . وكان أحمد أنور هو سفير
الثورة وعينها عند فؤاد باشا ، الذى كان بدوره يفضى بتعليقاته على
مجريات الأمور ، فينقلها البكباشى أنور الى الرئيس عبد الناصر أولا
بأول .

وحدث أن كنت آنذاك فى بيت الرئيس جمال ، واستأذنته فى
الانصراف لأذهب الى وزارة الخارجية ، فضحك ، رحمه الله ، وبدا عليه

شيء من التردد . ثم قال .. أقول لك والسلام .

فقلت .. خيرا .

فعاد الى الضحك وهو يقول .. أحمد أنور كان امبارح عند فؤاد سراج الدين .. فلما علم الباشا أن وزارة الخارجية ستسند اليك على سبيل الندب قال .. هو ده كلام ؟ بكرة نشوف .. ما حدش حيقرب ناحية وزارة الخارجية لغاية مايبجى الدكتور فوزى !

فضحكت بدورى وقلت للرئيس جمال .. ده أنا قبل ما أخرج من بيتى اتصل بى سكرتيرى فى وزارة الخارجية وأخبرنى أن خمسة من السفراء قد طلبوا فعلا مقابلتى بوصفى وزيرا للخارجية .

فبدا على عبد الناصر الاهتمام وأمسك بالتليفون ، وطلب مصطفى أمين فى أخبار اليوم وهو يسألنى بينما يدير قرص التليفون عن أسماء هؤلاء السفراء .. وما أن رد مصطفى أمين عليه حتى أملاه أسماءهم .

واذا بجريدة الأخبار تنشر فى اليوم التالى بعرض صفحتها الأولى عنوانا يقول .. سفير تركيا يتباحث فى وزارة الخارجية مع فتحى رضوان فى معاهدة الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط ! .

وفوجئت بنية سفير تركيا .

ولكن اتضح أن السفير لم يكن يقل عنى مفاجأة بالخبر !
والذى حدث هو أنه جاء يقابلنى وهو مذعور ويقول لى .. هذه

زيارة تعارف فقط . وأنا مكسوف لأنني أريد أن أكلمك فى هذه الزيارة عن مسألة شخصية ، وهى أن الجمرك قد حجز عدة (أثواب) قماش صوف استوردتها لأفصل منها بعض (البذلات) . كذلك حجز الجمرك دفاية خاصة بالسفارة مع أن القانون الديبلوماسى يعفينا من الضرائب الجمركية .

ووقفت أستمع للسفير التركى صامتا ومجاملا وأنا أتأمله بحيث كان الانطباع الذى سيطر على هو أنه يكاد يعرف بصعوبة أن هناك شيئا اسمه الشرق الأوسط !

وخرج السفير التركى ، وجاء الآخرون ، وكانوا يتحسسون اتجاه النظام الجديد ، والمهم أن نبوءة فؤاد باشا سراج الدين عن هروب الناس من وزارة الخارجية لم تتحقق .

ثم يغلق فتحى رضوان القوس الذى فتحه ليروى قصة الباشا ... ويعود بنا من جديد الى وقفته فى قاعة العرش الى جانب الأمير عبد المنعم ، وهما يؤديان واجب الاستقبال التقليدى فى حفل تقديم أوراق الاعتماد الخاصة بأحد سفراء أمريكا اللاتينية .

وكان شكل السفير وحجمه كاريكاتريين بحيث لم يقاوم الأمير رغبة ملحة فى أن يسألنى بعد انتهاء المراسيم .. ما رأيك فى شكل هذا الوزير ؟

فقلت له دون أن أشغل بالى كثيرا بقواعد البروتكول .. أنه يذكرنى بجرسون قهوة فى الاسكندرية !

واذا بالأمير محمد عبد المنعم ينفجر ضـاحكا حتى دمعت عيناه ٠ هل لأنه لم يألف هذا النهج من التعامل فى الاجابة ؟ هل لأن التشبيه راقه ؟ هل لأنه أراد أن يدارى ابن الشعب الذى يقاسمه مظهر السطوة ؟ الله أعلم ٠٠ على كل حال فقد بدا لى طيبا لا حيلة له ٠ ولست أدرى لماذا ذكرنى بلويس السادس عشر ٠

واتصل بيننا الحديث . ولست أدرى كيف رسا بنـا الكلام على بر الشيوعية .. واذا به يسألنى وكأنما يسمع لأول مرة عن فيروس مرض غريب ٠٠ يا (باشا) ٠٠ الشيوعية دى جت منين ؟

فقلت له ٠٠يا سمو الأمير ، الحـكاية تتلخص فى أن المشروعات كبرت وأصبح المصنع الواحد يضـم الوفا من العمال ، وأصبح للعمال نقابات وتجمعات لتحميهم من سطوة رجال الأعمال ، ثم كثرت النقابات فى اتحاد عام واحد ، وأصبح هذا الاتحاد قادرا على أن يفرض ارادته على الحكومات وعلى أرباب الأعمال بالاضرابات والمظاهرات ٠

فعلق الأمير قائلا ٠٠ يعنى الأغنيـاء هم الذين جابـوا لنفسـهم الخازوق) ده ٠٠ يبقى يستاهلوا !

وراح يضحك وجسده الضخم يهتز ، وكأنما استنتج لتوه قانونا من قوانين الجاذبية الأرضية ! ٠

على أن تجربة الحكم ، فى أول حكومة لثورة يوليو ، لم تكن كلها نوادر وطرائف ٠

كانت حكومة ثوار عسكريين . وكان رئيسها عسكريا أيضا . ولم تكن مصر معتادة على هذا الطراز من الحكم .

ولهذا كان لا بد من نزاع كل يوم ، وأزمات يفرضها اختلاف الطبائع والتعليمات ما بين المدنيين والعسكريين . ولم يكن سهلا الوصول في كل الأحوال الى أفضل الحلول .



مع المرحوم الملك سعود .. أبان ذروة أزمة مارس .

وقال الوزير يخاطب عبد الناصر: لأ .. مش هاروح الوزارة .. ومش هاسحب الاستقالة!

أول استقالة!

لم يكن هناك مفر من أن يشكل الثوار حكومة • وتم فعلا تشكيلها ، ولكن برئيس عسكرى •• لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث •

على أن مشكلة حكومة اللواء نجيب لم تكن عسكرية رئيسها •• وانما أسلوبها غير المعتاد فى ممارسة السلطة •

فالنزعة الثورية داخلها ، وخارجها ، لم تكن شـــيئا مألوفا ، وكانت هذه النزعة ميزة لها مزاياها بالطبع ولكنها أيضا لم تكن بغير أضرار !

تركى يتعلم درســــا !

وقبل أن نبدأ لقاءنا مع ذكريات فتحى رضـوان يحسن أن نروى قصة تصلح لكى تكون تمهيدا لما سيرويه فتحى رضوان ٠

كان طريفا حقا ، وأن كان منطقيا أيضا ، أن يتم أول صدام مع حكم الثورة من جانب السفير التركى !

كان مجرد قيام الثورة ، وطرد الملك ، مصدر توتر شديد عند سعادة السفير ٠ وعندما بلغ هذا التوتر ذروته وقعت حادثة أطارت صوابه ٠

الغت مصر قرارا قديما كان يقضى بارسال « نفقة » سنوية الى الجيش التركى !

وكانت هذه النفقة ترســـل بانتظام ، وبشـــكل روتينى ، حتى عام ١٩٥٣ ٠٠ عندما أخذت الثورة علما بها ، وألغتها ٠

وكان السفير التركى رجلا لم يتعود أن تكون مصر ألا عزبة للحكومة العثمانية ولو بعد زوال الحكومة العثمانية ٠ وكان متزوجا من أحدى أميرات البيت المصرى (أمينة هانم طوغاى) ٠ ومن هنا تكونت نظرته الى كل ما يجرى فى مصر بلون المصاهرة الملكية ٠ وازدادت تعليقاته العلنية حدة

بارتفاع درجة التعامل مع أثار العهد الملكى . وكان بطبع السفير شىء من العنف والعنجهية يتنافى مع الرقة الديبلوماسية . فصبغ معاملاته مع الثورة ورجالها بهذا العنف . ولما صودرت أموال أسرة المالكة خلط السفير بين صفته كممثل لدولة صديقة وبين صفته كرجل أضير ماليا بهذه المصادرة ... ثم جاء الغاء تحويل مال الوقف المصرى الى الجيش التركى مناسبة عامة تصلح لاستغلالها استغلالا خاصا .

وحدث فى أحدى حفلات دار الأوبرا ، وكان فتحي رضوان موجودا ، أن صاح السفير التركى فى وجه جمال عبد الناصر - وكان وقتها قد أصبح نائبا لرئيس وزراء مصر - انه يرفض أن يضع يده فى يده !!

وابتسم عبد الناصر فى هدوء ... وتحول بالكلام الى سفير آخر .

وفى اليوم التالى عرض الأمر على مجلس الوزراء ، وكان السؤال الذى أثير هو هل تحمى الحصانة الديبلوماسية مثل هذا السفير من الطرد ؟ ..

ويقول فتحي رضوان هنا أنه كان من رأيه أن الحصانة معناها أن تحمى السفير فى حدود جميع تصرفاته واقواله كسفير ، وأول واجبات السفير احترامه للدولة ولرئيسها ووزرائها حتى ولو اختلف معها ، ثم الا يخلط عمله السياسة بشئونه الخاصة .

وفى اليوم التالى طرد السفير التركي شر طردة ، وفتشت حقائبه فى المطار وصودرت العملة الزائدة معه ... ولم يدخر رجال الجمارك المصريون

وسعا ليقولوا له ‥ (نحن لا نحبك) ‥ بكل الوسائل المختلفة !

ولا شك أن هذه الأزمة كانت مفيدة ، من زاوية أنها أفهمت أمثاله

هذا السفير ان الدنيا تغيرت ٠

ولكن الحال لم يكن كذلك فى أزمات أخرى ، نشبت داخل الوزارة ،

ومع وزرائها أنفسهم !

ازمة مع يوسف صـــديق :

كان عبد الناصر يدرك بفطرته ان الثورة فى أول أمرها تمر بفترة انتقال يحدث فيها اخطاء ونزوات وتصفيات داخلية ٠ ولم يرد لرفاقه ان يمتصوا صدمات هذه المرحلة ٠ فقرر ان يتولوا مناصب « مديرى مكاتب » للوزراء المدنيين ‥ حتى يفهموا منهم اسرار مهنة الحكم ، ويتعودوا التعامل على اللوائح والقوانين المدنية ، التى تختلف جذريا عن أصـــول الضبط والربط العســـكرى ٠

وكانت المعلومات الأدارية المدنية لدى معظم ضباط القيادة صفرا تقريبا ، فلم يشأ أن يتعرضوا للاختبار فى الحكم السافر قبل ان يتلقوا التدريب الكافى ٠

وحدث ان ضاق أحد الوزراء ذرعا بتدخل مندوب القيادة ، القائمقام يوسف منصور صديق » فى شئون وزارته تدخلا لم يقف على عتبة المشورة أو النصـــح ‥ بـــل كاد يرتقى الى مرتبة التجاهل الـــكامل لوجـــود الوزير الدســـتورى ٠

وذهب ذلك الوزير يشكو هذا لصديقه الدكتور نور الدين طراف وزير الصحة · فقال له الدكتور طراف ··

ـ ولماذا لا تحاول أن تقول هذا الكلام لعبد الناصر ؟ انه رجل معقول جدا ··

وكانت هذه أول مرة يرى فيها الوزير جمال عبد الناصر ، أو يسمع بصفته الفعلية كقائد الثورة !

واستمع عبد الناصر الى الوزير فى صبره المعتاد ثم قال ··

لو كنت مكانك لضاق صدرى فعلا اذا أخذت المسألة على أنها مشاركة فى السلطة ·· ولكن لماذا لا تنظر الى المسألة على أنها مشاركة فى السعى نحو الصالح العام ؟ الرجل لا يحاول أكثر من ان يكون يدك اليمنى فى القضاء على ضراوة الفساد الذى استشرى فى كل قطاع من قطاعات البلد ·· وثورتنا لم تنجح بالتطور الدستوى ، ولكنها نجحت بالدبابة والسلاح الذى يعمل لهما الفساد حساباً أكثر مما يعمل أى حساب للمنطق والعقل والقانون ·· ولو رأيت يوسف منصور صديق ليلة ٢٣ يولية وهو يتولى أخطر جزء فى تنفيذ خطة الثورة ، وهو الهجوم على مركز قيادة الجيش ، والقبض على لوءات الجيش الملكى وفرقائه وصفوة قياداته ، لو رأيته يتولى هذه الأعمال وصدره ينفث دما ولكنه لم يتخل عن مسئوليته رغم معاناته الشديدة ·· أقول لو رأيته على هذه الحال ، ولولاه ، ما نجحت الثورة ولما كنا جميعا فى مواقعنا ، فلربما سامحت شيئا مما فيما تتصور

أنه ضيم لك ولموقفك • فالرجل لا يقصد أكثر من أن ــ يكون سيفك و يدك ، تهوى به على رأس اخطبوط الفساد •

واقتنع الوزير ، وانصرف وقد وقع عبد النــاصر من نفســـه موقعــا حسنا • وآلى على نفسه أن ــ يتحمل تدخل مندوب القيادة •

وعاش هو ووزير الظل العسكرى « سمنا على عسل » حتى تكفل الصدام الذى وقع بين عبد الناصر ويوسف منصور صديق بحل المشكلة ، اذ رحل الضابط عن الوزارة وتركها لوزيرها • وترك وزيرها لها •••

وانتهت القصـــــة ويادار ما دخلك شر كما قال أجدادنا • ولكن أجد ادنا قالو أيضا « ما كل مرة تسلم الجرة » • وقد كانت قصة من هذا النــوع ســـــببا فى أول اســــتقالة من وزارة الثورة ، كما يروى لنا الآن فتحى رضــــوان ••

أول اســــــتقالة :

يقصد فتحى رضوان بكلمة « الاستقالة » هنا معنى الاستقالة فعلا • أى ان ينزل الوزير بمحض ارادته ، واحيانا باصرار شــــديد منه ، عن منصبه الوزارى •• ويحمل أوراقه ، ويطلب رفع الكشك الخشبى المزدان بالحارس الحكومى من أمام بيته • أما الاستقالات التى لم تكن أكثر من كفن من الحرير يغطى « اقالات » •• فان فتحى رضوان لا ينوى ، الآن على الأقل أن يتحدث عنها •

ولنترك الآن الكلمة له ، يروى قصة الاستقالة الأولى فى حكم الثورة ... استقالة وزير التجارة والصناعة والتموين الدكتور محمد صبرى منصور .

« وجد الدكتور محمد صبرى منصور نفسه بصفته وزيرا للتجارة والصناعة ، يتعامل مع ممثلى صروح الحياة الاقتصادية قبل الثورة . وفى مقدمة هذه الصروح شركة السكر المملوكة كلها تقريبا لاحمد عبود باشا ، الذى لم يكن سرا فى ذلك الوقت انه دفع مليون جنيه للملك فى سبيل اخراج وزارة حاولت ان تتقاضى منه ضرائبه كاملة ، وتعيين وزارة كان يطمع ان تتغاضى عنه ... ولكن تيار الحوادث كان جارفا فطارت الوزارة والعهد كله ومليكه ، وجاءات الثورة وبقيت المشكلة بين المليونير والحكومة .

« وكان من كبار مساعدى أحمد عبود باشا شخص يدعى «بدر الدين» ولا أذكر الآن بقية أسمه . فلما طلب الدكتور صبرى منصور من مكتب عبود باشا المستندات التى رآها لأزمة .. تلقى من بدر الدين هذا ردا يتسم بالتعالى والخشونة . فأرسل الدكتور الوزير يستدعى هذا المساعد الجرىء ، فاذا به يتلكأ فى المجىء . والدكتور صبرى ـ رحمه الله ـ مع دماثة خلقه ورقة طبعه وسعة صدره الا أنه كان يتحول كسليمان حافظ الى شرس غضوب اذا نفد صبره ، وما أكثر مكان يطول صبره .. فاذا غضب خرج من أهابه المقاتل الذى استعمل المسدس والقنبلة فى صدر شبابه والذى عاش ست سنوات فى مالطة مع الأسرى الألمان فى الحرب العالمية الأولى ، ولم يكن فى أحاديثهم الا سيرة المدافع والقنابل والمعارك .

واذ تلكأ مساعد عبود الأيمن ، رفع الدكتور صبرى منصور سماعة التليفون وخاطب بدر الدين هذا بشدة ، فقال بدر الدين مخاطبا الوزير ··

– لا تكلمنى بهذه اللهجة · فأنا صديق البكباشى أحمد أنور !

(هنا نفتح قوسا بعد استئذان راوى المذكرات لنقول ان أحمد أنور كان فى ذلك الوقت صاحب سلطة ضخمة ، باعتباره قائد البوليس الحربى ، وصديقا شخصيا متفانيا فى الولاء لقائد الثورة الفعلى جمال عبد الناصر ، ونعود الى مذكرات فتحى رضوان) ·

فرد عليه الدكتور صبرى قائلا ·· لا تذكر لى اسماء أحد · عليك ان تحضر ومعك الأوراق ·

ولم يحضر بدر الدين · هل استشار أحدا ، فقيل له لا تسأل فى هذا الوزير ؟ هل كان مطمئنا من تلقاء نفسه الى ان سطوته فوق مستوى السلطان ؟

الله أعلم ·· أما أنا فالذى أذكره ان الوزير لما أدرك انه لن يستطيع أن يبسط على الشركة سلطة الوزارة شكا الى مجلس الوزراء هذا الموقف · ولم يكن جمال عبد الناصر موجودا فى المجلس · ألا اننى أذكر اننى فى اليوم التالى دخلت قاعة مجلس الوزراء فوجدتها خالية الامن صبرى منصور وجمال عبد الناصر وبينهما ورق كثير ··· وصبرى على عادته من العرض الهادىء والحديث المرتب يذكر حقائق لم يألف عبد الناصر ، لا فى هذه الفترة ولا بعدها ، ان يسمعها من المدنيين ·

وبعد ان أطال عبد الناصر بدوره صبره على صبرى منصور والاستماع اليه قال له على طريقته ..

ــ أحمد أنور صديقى . ولكن ليس معنى هذا ان له شأنا بوزارة التجارة والصناعة وسأصدر الاوامر بالا يتعرض لك فى عملك أحد .. لا عسكرى ولا خفير .

ثم سكت عبد الناصر قليلا وقال .. بكره تروح الوزارة .

فرد الدكتور صبرى منصور قائلا .. لا مش رايح الوزارة ... الا اذا ينفذ كل ما طلبته بحذافيره .. أبقى أروح الوزارة..

فقال عبد الناصر .. الورق اللى أنت طلبته حيجيلك أزاى مادمت لست فى مكتبك ؟

فقال صبرى منصور .. هو أنا حاخد الوزارة معايا ؟ الوزارة فيها مكتب وموظفين ووكيل وزارة . وحين يخطرنى أخدهم ان الأوراق الناقصة جاءت .. سأذهب الى مكتبى .

وانتهى الحديث الى هذا الحد عن هذا الموضوع .

وفى اليوم التالى كتب الوزير خطاب استقالة مسببا وانقطع عن العمل .. فطلب منى جمال عبد الناصر ــ بصفتى صديق صبرى وانى رشحته لدخول الوزارة هو وأربعة أخرين ــ ان أرجوه الاستمرار فى

العمل حتى يختار غيره • وقبل صبرى منصور الرجاء على مضض حتى بدأ ان الاستقالة نسيت •

وفى ذات ليلة كان صبرى عائدا من برج العرب مع زوجته فوجد على مدخل باب بيته فى مصر الجديدة الصحفى أمين عبد المؤمن رحمه الله ، الذى ابتدره فى الظلام ••

ـ هو صحيح معاليك سحبت استقالتك ؟

وفوجىء الوزير بصوت الشخص الذى لا يعرفه وقال له •• انت مين ؟ •• ومع ذلك أنا لم اسحب استقالتى !

واكتفى الصحفى بهذا التصريح • وذهب الى جريدته ليكتب خبرا يقول •• (وزير التجارة والصناعة والتموين مصمم على استقالته ولم يسحبها •••) ورفعت الرقابة مضمون الخبر الى مجلس قيادة الثورة ، الذى اعتبر اعلان صبرى منصور لهذا التحدى استفزازا ، فالتقط القفاز وأصدر قرارا بتعيين وزير غيره •

وفهمت فيما بعد ان خصوم الدكتور صبرى ، الذين كانوا يشكون من حزمه ومن شدته ، قلقوا لاحتمال بقائه فأوعزوا بمن أرسل المرحوم أمين عبد المؤمن لكى يتلقف هذا التصريح من فم الوزير ، ليذكروا السلطة بالأزمة ، وليذكروا الأزمة بالسلطة ! •

ولكن من هو الدكتور محمد صبرى منصور ؟

يقول فتحى رضوان فى مذكراته التى سمح لنا بهذه الاطلالة عليها ، والتى صرح لنا أنه لن ينشرها كاملة الا اذا تأكد ان حياته السياسية انتهت بحيث يستطيع ان يذيع من الأسرار ما يمس الآخرين .. ان محمد صبرى منصور يجب تقديمه بوصفه أحد المجاهدين من الأوائل فى الحركة الوطنية القائمة . فهو قد بدأ كفاحه الوطنى وهو بعد شاب أقرب الى أن يكون صبيا فى حدود الست عشر سنة . ففى ذاك العمر المبكر اتهم بمؤامرة تستهدف أحداث قلاقل مسلحة فى مصر . وزج به الى السجن ، فالمعتقل ، فالنفى الى مالطة . وقد فى مالطة من ١٩١٦ الى ١٩٢٠ .

وفى عام ١٩١٩ استقبل فى مالطة ، مع بقية زملائه من المجاهدين المصريين ، زعماء ثورة ١٩١٩ الذين وصلوا الى مالطة فى ٩ مارس .. ثم ودعهم مع بقية زملائه أيضا بعد شهر واحد .. أى فى ٨ أبريل من نفس السنة . والطريف أنه بعد ان وضعت ثورة ١٩١٩ أوزارها باصدار تصريح ٢٨ فبراير ... أفرجت السلطة العسكرية البريطانية فى مالطة عن صبرى منصور وزملائه ، ولكنها لم تسمح له بالعودة الى مصر ليكون رابع أربعة من شباب الحزب الوطنى ، استعان بهم أولهم « فؤاد سليم حجازى باشا » فى تطعيم سلك وزارة الخارجية المصرية المنشأة حديثا .

وكان الثلاثة الآخرون ..

. عبد الملك حمزة .. الذى أصبح فيما بعد سفيرا لمصر فى تركيا .. وحدثت بينه وبين كمال اتاتورك أزمة بسبب الطربوش الذى كان يرتديه

السفير المصرى حمزة ٠٠ فقد كان كمال اتاتورك ثملا على عادته فى حفلة من الحفلات الرسمية الكبرى ، وما ان لمح الطربوش على رأس السفير حتى ابتدره بتعليق استفزازى ساخر على أصرار المصريين على ارتداء الطربوش ٠٠ فاحتج عبد الملك حمزة وانسحب من الحفل وانصرف ، مما اقتضى الغازى مصطفى كمال ان يمر على السفارة فى اليوم التالى ليقدم اعتذاره للسفير الأبى وانتهت الأزمة !

« أما الثانى فهو أسماعيل كامل ٠٠ الذى قضى زهرة عمره ناصعة فى خدمة الدبلوماسية المصرية ، ووصل الى منصب سفير مصر فى الهند ، ووثق علاقته برجالها الى حد أننى رأيت نهرو يقبل أسماعيل كامل فى وجنتيه ويقول لى ان عائلتى كلها تعانقه » ٠ وفيما بعد أخرج أسماعيل كامل من موقعه فى عام ١٩٥٥ ، فى أثناء زيارة الرئيس الراحل عبد الناصر وصلاح سـالم وآخرين للهند فى أعقاب مؤتمر باندونج ٠ اذ ان السفير المصرى قدم صلاح سالم فى أحد الاستقبالات الرسمية باسم ٠٠ الماجور « صالح سليم » ٠٠ وكان من الواضح أنها زلة لسان ٠٠٠ ولكن صلاح سالم رحمه الله غضب وثار ، اذ كيف تطغى شهرة لاعب كرة مصرى على وزير وعلم ومن أعلام الثورة ٠

وصمم على أخراجه من السفارة ٠

وكان الثالث هو الدكتور صبرى منصـور ٠ والطريف أنه لما عين صبرى منصور نائب قنصل فى لندن أرسلت اليه قائمة بغير المرغوب فيهم ،

فوجد أسمه على رأس القائمة ! » نفس ما حدث فى عام ١٩٥٨ مع احسان عبد القدوس ، اذ دعى لمقابلة عبد الناصر فى دمشق ، فذهب الى مطار القاهرة ليفاجأ هو والوزراء الذين ركبوا معه بأن سلطات المطار تنزله من الطائرة لأنه ممنوع من السفر • وطلب هيكل يومها تأجيل قيام الطائرة ، وقام بالاتصالات العاجلة التى أسفرت عن السماح لاحسان بالسفر » !

السنهورى ••• والاستقالة الثانية !

أما الاستقالة الثانية من حكومة الثورة ، فكانت استقالة الوزير الدكتور حسن بغدادى وزير التجارة والصناعة •• وكان سببها شيخ مشايخ القانون المصريين •• الدكتور عبد الرزاق السنهورى ••• يقول فتحى رضوان ••

« كان قد صدر القانون الخاص بمنح مباشرة الحقوق السياسية بالنسبة للوزراء الذين شاركوا فى مقاعد الحكم أيام السياسة الحزبية •• وانطبق هذا القانون بطبيعة الحال على الدكتور عبد الرزاق السنهورى — فكان رأى الدكتور حسن بغدادى أستاذ الحقوق السابق فى الجامعة الى الى النقراشى القطب السعدى ، ألا أنه كان وزيرا فنيا وخبيرا وأستاذا •• وكان دور السنهورى الحزبى ضئيلا غاية الضآلة •• وليس من العدل اذن ان يطبق عليه قانون الحرمان من الحقوق السياسية •

واحترم مجلس الثورة وجهة نظر الدكتور البغدادى ولكنهم لم يأخذوا بها • وقبلوا استقالته فى هدوء وبلا ضجيج •

ولكن الطرفين دواما على حسن العلاقة بعد ذلك ••• اذ وجد الدكتور بغدادى من رجال القيادة معاونة كبيرة فى أعماله كمحام •• اذ كان وكيل شركات أجنبية كثيرة ، وأيطـــالية كثيرة بالذات ، وأهمهـــا شركتا ابمقطم والمنتزة » •

على أن ابعاد القصة لا تكتمل ، طبعا ، الا بالحديث السنهورى أيضا ، وقصته مع الثورة •

وهنا يقول فتحى رضوان ••

« كان السنهورى أستاذا عظيما •• وكان يحتمل فى نفسى مكانا كبيرا فقد كنت طالبا فى كلية الحقوق • أيامها دعوت الى مؤتمر سميته مؤتمر « الطلبة الشرقيين » يضم الطـلاب العرب والطـلاب الشرقيين من هـنود واندونسيين وغيرهم •• وتابعت هذه الحملة فى الصحف •• وذات يوم وجدت عند عامل التليفون فى كلية الحقوق دعوة من الأســتاذ الدكتـور عبد الرازق السنهورى لأتصل به •• وذهبت اليه فاذا به يشجع الفكرة ويســاهم فى تأليف لجنة تحضيرية من أساتذة الجامعة برئاسة الدكتور على أبراهيم •• وأذكر أنه بلغ من تحمس الدكتور السنهورى للفكرة أنه كتب مقالا فى جريدة السياسة الأسبوعية ، بدأه بالثناء على شخصى ، ولم تكن العادة فى ذلك العهد تسمح بأن يتحدث الاساتذة عن تلاميذهم فى مقالات منشورة •• ونمت علاقة المودة بيننا ، ولم يؤثر فيها أنه كان تلميذا وصديقا للنقراشى ، أو أننا دخلنا فى حرب مع أستاذه عندما كان وفديا ، ثم حينما أصبح سعديا •

فلما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، ورأيته من اليوم الأول مشاركا فى توجيه أحداثها ، وخصوصا فى الفترة السابقة على سقط الملك « لأنه أعد وثيقة التنازل» مع سليمان حافظ » ·· لم يكن من رأيى أن يضاعف الدكتور السنهورى نشاطه السياسى أو ان يقحم نفسه فى مجريات الأمور ·

كان من رأيى أن يبقى فى مكانه السامى ليبقى له مقامه كقاضى القضاء فى مصر ، وتبقى له حيدته القائمة على استاذيته ودوره العلمى ·· وقد أكد هذا الرأى عنــدى اننى أعلم عنه طيبة القلب ، وانه ليس أهــلا للمناورات السياسية ·

وقد صارحته فى شىء من التأدب ببعض هذا الرأى حينما دعانا الاستاذ عبد الجليل العمرى على عشاء بمنزله بمصر الجديدة ، عقب الصلح الذى تم بين اللواء محمد نجيب والبكباشى جمال عبد الناصر وزملائه فى أثنــاء أزمة مارس الشهيرة ، وكانت القاهرة فى حالة اضطراب شامل واذا بنا ونحن على العشاء نفاجأ بأن الدكتور السنهورى يبرز ورقة كتب عليهــا شبه مشروع قانون لفض المنازعات بين رئيس الجمهورية ومجلس القيادة ويسند الى نفسه باعتباره قاضى القضاة هذه المهمة !

هنالك ابتسمت وقلت له على مسمع من الجميع : يا أستاذى · أنت هنا أشبه بشىء بمن يدخل فى عراك بين أثنين يحمل كل منهما سكينا ليقتل صاحبه ، واذا بك تصيح بهما ·· مكانكما فان المادة رقم كذا من القانون كذا تمنع القتل !

واحمر وجه الرجل واعاد ورقته الى جيبه ٠

وعنـدما بلغت أزمة مارس قمتهـا بين عبد النـاصر ونجيب ، كان السنهورى ـ كما خشيت تماما ـ من بعض ضحاياها !

كنا نتغدى فى منزل اللواء محمد نجيب ٠٠ وجاء من يخبرنا بأن مظاهرة قامت متجهة الى مجلس الدولة وانها موشكة ان تقتحم دار المجلس ، وان ضابط مخابرات يدعى حسين عرفه يقودها ، وان السنهورى محاصر داخل الدار ، يخشى على حياته ٠

وكان السبب أنه تولى رياسة الجمعية العمومية لمجلس الدولة ٠٠ والجمعية كانت على وشك أن تصـدر قرارا ضـد مجلس الثورة ، وضـد الاجراءات التى أخذها هذا المجلس فيما يتعلق بالحريات ٠

فاقترحت الى الفور ان يذهب من مجلس الثـورة شـخص معروف للجماهير ، يستطيع ان يردها عن اتجاههم دون الحاجة الى استعمال الشرطة والجيش واقترحت أن يكون هذا الشخص هو صلاح سالم بالذات ، لأنه أكثر الضباط ظهورا فى الصورة ٠

وفعلا لبى صلاح سالم الدعوة وأسرع فى اتجاه مجلس الدولة ٠

فقلت لصلاح سالم ٠٠ الرجل فى قدر والدك ، وهو معذور ٠ فهو كان محاصرا ٠٠ وقد كسر رسفه ، ولقد تعرض ولا شك لضغط عصبى شديد ، وهو بلا شك يتهم الجيش بتدبير المظاهرة ٠

وهاج صلاح سالم لهذا التفسير ٠٠ وتدخل عبد الناصر لتهدئته ٠
واذا بأحمد حسنى وزير العدل يقول بمنتهى العفوية مخاطبا الضباط ٠٠ الناس تعبانة ويحسن أنهاء هذا الأضراب ٠

فصرخ جمال سالم فيه ٠٠ وأنت كمان فاهم أننا أحنــا اللى عاملين الأضراب ؟ !

واســـتقالات أخرى :

أما الاستقالة الثالثة من أول حكومة للثورة ، فكانت من أربعة وزراء دفعة واحدة ٠٠ وكان الأربعة ينتمون الى جماعة واحدة ٠

كانت وزارة اللواء نجيب مشكلة من ممثلى ثلاث هيئات ٠٠ ٧ من الحزب الوطنى ، و ٢ من الأخوان المســلمين ، و ٥ من جماعة الرواد ٠٠ ووزير واحد فنى ، هو المهندس مراد فهمى ٠ وكان الوحيد الذى رشحه اللواء نجيب ، لأنه كان صــديقا له ٠

وقد جاءت الاستقالة الثالثة من وزراء جماعة « الرواد » وهم تجمع أكاديمى ومهنى وارستقرطى الفكر قديم ، ومعظمه من اساتذة الجامعات وكبار الأطباء ٠٠ وكان مؤسس الجماعة ، وأول رئيس لها أحمد حسنين باشا ٠٠ رئيس الديوان الملكى ٠

« وكان وزراء » الرواد « هم ٠٠ عبد الجليل العمرى وعباس عمار »

ووليم سليم حنا وعبد الرازق صدقى وفؤاد جلال . ثم حدث أن تقــدم أربعة منهم ،فيما عدا فؤاد جلال بالاستقالة فى اعقاب حوادث مارس . وكان بين الأربعة الدكتور عبد الرازق صدقى بطبيعة الحال .

الا ان الدكتــور عبد الرازق صــدقى ما لبث أن طلب مقابلة جمال عبد الناصر .. وقد روى لى عبد الناصر وهو يضحك أن الدكتور عبد الرازق صدقى طلب منه الا يقبل استقالته فسأله عبد الناصر عن سبب الاستقالة ثم عن سبب العدول .. فلم ير الدكتور عبد الرازق صدقى ـ وهو أصلا غير مشتغل بالسياسة ـ حرجا من أن يقول أنه استقال لأن زملاءه قالوا له .. اســتقل ! .. ولما سـألهم عن سبب اســتقالتهم لم يقدموا له سببا مقنعا سوى ان الدنيا ستنقلب رأسا على عقب عما قريب .. الأمر الذى لم يحدث منه شىء .. ولأنه لا يعد نفسه من رجال السياسة فقد رأى من الأفضل ان يعود الى الوزارة !

نفس ما حدث فى استقالات أخرى توالت بعد ذلك .

فمما أذكره أنه بعد قبول استقالة الدكتور عباس عمار زارنى فى مكتبى بمقر مجلس الوزراء ، اذ كنت نحيت من وزارة الارشاد وبقيت وزيرا للدولة .. وكان مكتبى يعلو مكتب البكباشى جمال عبد الناصر الذى أصبح رئيســا للوزراء .. فطلب الى المرحوم عبـاس عمار ان أسعى له لمقابلة جمال عبد الناصر ، وعلى الرغم من عدم رضائى عن محاولة المرحوم عباس عمار مقابلة الرئيس ، الا أننى لبيت طلبه وانا أعلم عن خلق عبد الناصر أنه لن يقابله .. وقد حدث ذلك فعلا ، اذ بقى معى عباس عمار الى ما بعد

الظهر دون رد من صلاح الشاهد ، رجل المراسم وقتها فى رئاسة الوزراء الذى كنت أوالى الاتصال به من حين لآخر وقد أخبرنى المرحوم عباس عمار بعد ذلك أنه لم يقابل جمال عبد ألا فى صحبة ضيوف أجانب بوصفه نائبا لمدير مكتب العمل الدولى •

وقد فعل عبد الناصر مثل ذلك مع الدكتور على الجريتلى أيضـــا •! ولكن على الجريتلى لم يسع الى لقاء عبد الناصر الى أن دبر له محمد حسنين هيكل مقابلة معه ، بعد استقالة الجريتلى بنحو أثنى عشر عاما •

وربما يفرض نفسه الآن سؤال يغذيه فضول القارى •• ألم يتعرض فتحى رضوان نفسه الى مثل ما تعرض له غيره من الوزراء وادى الى هذه الاســـتقالات ؟

لقد بدأت الحلقة الأولى من هذه الذكريات بقصة أزمة بينه وبين محمد نجيب ، دفعته الى تقديم استقالته ثم عدل عنها عندما زاره بتكليف من مجلس الوزراء ـ اعتذر له •

ولكن •• هل كفت الأزمات بعد ذلك ؟

ألم يكن فى وزارة فتحى رضوان عسكريون يسببون له المتاعب ؟ ألم يتدخل أحد فى عمله ؟ ألم يجد نفسه فى صدام هنا أو هناك ؟

يقول فتحى رضوان ان كل هذا حدث !!

ويقول أنه لم يكن موفقا ، لا مع شباب العسكريين فقط ، بل مع اللواء محمد نجيب نفســـه ••• أكبرهم ســـنا ، ورئيس الحكومة التى هو وزير فيها !!



الرئيس محمد نجيب يزور فتحى رضوان فى بيته وبينهما ((عزة)) كريمة فتحى رضوان (الآن زوجة وأم) .

وقال الملك سعود يصف جمال عبد الناصر : زين والله عجبى .. زين !



لما يجرى فى دهاليز الحكم منطق ، ولكنه منطق خاص به ، يخالفه منطق سائر الناس . ومن هذا القبيل كانت علاقة « الوزير » فتحى رضوان « بالرئيس » محمد نجيب . فبغير سبب واضح على الأقل لفتحى رضوان ، نهض حاجز من الزجاج بينهما فى أول مقابلة ثم جاءت قصة افتتاح مبنى

الاذاعة التى رواها فتحى رضوان فى الفصل الأول من هذه الذكريات عندما وقف نجيب يلوم وزيره فى خطاب مذاع على الهواء ، فيضطر الوزير للرد علنا وعلى رءوس الأشهاد •• الى آخر القصة التى بدأت بها هذه الذكريات •• جاءت هذه القصة فحولت حاجز الزجاج الى حاجز من الجليد •

ثم جاء الخلاف الحاد بين نجيب والضباط الثوار الذى بلغ قمته فى مارس سنة ١٩٥٤ ، ولما كان نجيب يعتبر فتحى رضوان من معسكرهم ، فقد كان الطبيعى أن يتحول حاجز الجليد الى جدران من الصلب • ولكن حدث بعد ذلك كان العكس تماما •• ذاب فجأة كل الجليد •

ونترك الآن فتحى رضـــــوان يروى التفاصـــــيل الممتعة ، لهذه القصة المثيرة •

طربوشى « المعووج » :

يقول فتحى رضوان •

« كان لقائى الأول باللواء محمد نجيب ، بوصفه القائد المعلن للثورة بعد ساعات من الأفراج عنى ، وانتقالى على طائرة من المعتقل الى الاسكندرية بناء على طلب رئيس الحكومة •

كان هذا اللقاء على باب مكتب على ماهر ، وقد حييت يومها رئيس الثورة بعد ان حييت البكباشى أنور السادات الذى كان يلازمه •

وقد لاحظت للوهلة الأولى أنه رد على التحية باقتضاب وبلا حماس •

ولا أنكر أن أسلوبه فى الرد ضيقنى ، لأننى خشيت أن يكون قد وقع فى نفسه أننى أحد الساسة الذين يقدمون أنفسهم للثورة لمطمع أو لآخر • وبقيت فترة منقبض الصدر •

ثم حدث ذات مساء بعد ان دخلت الوزارة ان كنا مدعوين الى حفلة مقامة فى نادى القضاء تكريما لمجلس الثورة • وقضت الصدفة ان أجلس فى ركن من أركان النادى مع اللواء محمد نجيب • وبدأ يقص ذكرياته ، وكيف أن بعض الأشخاص نتطبع عنهم فى ذهن بعض من يراهم صورة خالف حقيقتهم •• ثم استطرد قائلا ••

ومن هؤلاء الأشخاص مثلا فتحى بيه ـ يقصدنى ـ وسليمان بك حافظ الذى كنت عضوا معه فى محكمة عسكرية عليا ، وكان يرأسها هو • فأنا كنت أرى فتحى بيه فى المحاكم وطربوشه معووج على جنبه • فكان هذا ممـــــا ••

« وبقيت تكملة الجملة معلقة فى الفضاء الى الأبد • فقد قوطع اللواء نجيب بمن يدعوه ويدعونا للعشاء ، فبتر جملته دون أن أعرف ماذا كان ريد ان يقول بعد (مما •••) •

غير أننى من ناحيتى لم أنس تعليقه هذا أبدا • حتى حانت لحظة صفاء فى جلسة ود عقب صلاح علاقتنا واستقرارها ، فأكدت له بأن طربوشى لم يكن معووجا فى يوما ما • وضحك • ولم نعد بعدها الى هذه القصة •

« ولكن الذى ثبت لى بعد ذلك ، من أول يوم جمعتنا الوزارة ثم جمعنا مبنى واحد فقد كان مكتبى دون سائر زملائى فى مقر مجلس الوزراء وفى حجرة تعلو غرفة الرئيس نجيب مباشرة ، ثبت لى أن عددا من بطانة اللواء نجيب فى مكتبه كانت تنتمى الى الأحزاب السابقة أما بعلاقاتها العائلية وأما بميولها الذاتية • كانت الصورة عند كثيرين ممن يرون الأحداث من ظاهرها توحى بأننى وضعت يدى على الثورة أو على الأقل وزراء الثورة الضباط الى حد أخى أحمد حسين قال فى كتابه « فى ظلال المشنقة » ـ الذى وضعه عن فترة اعتقاله على ذمة قضية حريق القاهرة ـ عبارة مثل •• أنه كان لفتحى رضوان سبعة وزراء •• والى حد انه شاع وذاع أننى أعلن اننى كاتب خطب زعماء الثورة ، وأضافوا من عندهم اننى المسئول عن اتجاهات الثورة من الأحزاب ، وان الاذاعة فى عصمتى وخدمتى وعند طرف سبابتى !

أشياء مثل هذه قيلت وروجت • وهى أما محرفة وأما غير صحيحة على الاطلاق أصلا •

« الصحيح أنى رشحت حقا ، ربما سبعة وزراء ، أو ستة • ولكنى كنت أقل الوزراء نفوذا • لأن هدفى لم يكن النفوذ • ولأننى لم أطلب ولم أتوقع ولم أسع الى أن يكون لى ولآية على أحد منهم • ولا تصرفت على نحو يوحى بذلك •

ثم أنه لم ينشأ بيننا فى داخل الحكومة أى وع من التكتل أو الولاء

الخاص • وكان يحدث كثيرا بل ربما دائما أن يكون أقوى من يعارض وجهة نظرى أثناء المداولات والاجتماعات بعض من أحسن الذين رشحتهم للوزراة • ولم يكن ذلك يترك فى نفسى ى دهشة أو مرارة أو غضب •

غير أن الذائع المتاد أول شيء والواقع شي آخر • ومن هنا فان هذا الصيت حاصرنى كثيرا الى حد أن اللواء نجيب اعتبرنى منذ البداية رجل الضباط الشبان • لا يحكم السن فحسب • بل بحكم العلاقة القديمة • كان هذا هو حظى • ولا حيلة لى فيه •

والنتيجة أننى تناسيت عنه تماما الى حد أننى لم أكن أمر عليه فى مكتبه الذى كان مكتبى يعلوه ــ كما قلت ــ فى مجلس الوزراء • الا وكان بيننا تليفون يكفى رفعه دون ادارة قرصه ليتم الاتصال بيننا ــ الا أننى لم استعمله قط • وكان هذا المسلك من جانبى أول خطوة فى تصحيح نظرة الرئيس محمد نجيب تجاهى •

ثم فتح نجيب قلبه :

ثم حدث شيء لم أسمع اليه ولم أفكر فيه وهو ان اللواء نجيب قرر أن يقوم برحلة الى النوبة ودعا الوزراء لمشاركته وقررت ان البى الدعوة ببساطة • اذ لم أتصور أن رئيس الجمهورية يسافر فى رحلة رسمية وفى منطقة مهوره من الحكام السابقين • وهى النبوبة ولا البى دعوته •

ولكن ظهر بعد ذلك أن هذه الزيارة كانت امتحان قوة • لأن التصدع

الذى وقع بين محمد نجيب وبين الضباط الشبان • والذى لم يكن ظاهرا بقدر كاف للعيان • كان يعمل عمله •• فمن كان على علم بهذا التصدع امتنع عن تلبية دعوة محمد نجيب • وهكذا لم يشارك فى هذه الرحلة من الضباط الا الصاغ خالد محى الدين الذى كان نصير اللواء نجيب بعد ذلك فى حوادث مارس ١٩٥٤ •

« اذن فقد كانت رمية من غير رام • وقعت مشاركتى فى رحلة النوبة فى نفس محمد نجيب موقعا حسنا والمرء يثاب رغم انفه أحيانا » •

بل أن ارتياح نجيب الى مشاركتى له فى الرحلة ارتقى الى مرتبة الدهشة وهو يرانى مقبلا على واجبى كوزير دعاية فى القاء الخطب واعدادها له • وكانت بعض الخطب بعد بناء على لبه متضمنة أفكاره أو ـ وغيرها وكان بعضـــها يثير تعليقات وتحليـــلات (لعقلية) قائد الثورة وأســـلوبة فى التفكير والعمل ••

والحق أن هذه الرحلة كانت ناجحة تماما • وكانت شعبية نجيب التى صاحبته منذ وضع قدمه على مسرح السياسة تأخذ صورا مضاعفة ومجسمة بسبب تعليق أهل النوبة به الى حد أن أشيع أن والدته منها وهو غير صحيح أذيع انها أصلا سودانية وهو أيضا غير صحيح •

« ولا أنسى من مشاهد هذه الرحلة ذات ليلة • ان خرج أهل النوبة فى قرية من قراها يحملون المشاعل والشموع من كهوف الجبل على نحو

بدائی بانور أمی ساحر • استدعی الی وجدانی صور الدعوات الدينية الأولى التی كنت تتخذ غالبا من المناطق الجبلية والصحراوية مسرحها • كدعوة عيسى بن مريم أو محمد بن عبد الله » •

« وحدث أن اختلفنا على ظهر الباخرة التی كنا نتخذها مقرأ لنا بمولد النبی عليه السلام الذی تصادف أن أهل علينا أثناء الرحلة • وطلب الی اخواننا ال أن القی كلمة فی هذه الذكرى المباركة وفوجیء اللواء محمد نجيب ببعض المعلومات عن تاريخ الرســـول تختلف تماما عن الأفكـار المحفوظة التی تردد فی أمثال هذه المناسبة •• فدار بيننا حديث رقيق كله تأثر بعد ان انتهت الحفل • وخيل الی أن وساوس الرئيس ... تجاهی قد تهاوت » (*)

ثم مرت أيام زاد بعدها التحرش العلنی المتبادل بينه وبين الضباط الشبان وقد بدأ ذلك التحرش العسكری بشكوى من اللواء نجيب من سوء معاملته فی الصحافة • ولا أنسى أنه عرض على المجلس المشترك المكون من ضباط القيادة ومجلس الوزراء شيئا نشر عنه فی مجلة « روزاليوسف » ترجم عن جديدة أجنبية وكان يجب فی رأيه أن تمنعه الرقابة اذ أن الصحفی الأجنبی ذهب الی أن نفوذ نجيب يتقلص وشمسه تغرب • وان السلطة الحقيقية فی يد ضابط شاب هو جمال عبد الناصر •

الملك سعود يصف عبد الناصر :

هنا نعبر منطقة أزمة مارس بين نجيب والضباط الشبان فی مذكرات فتحی رضوان • لأن له رؤية خاصة تختلف عن الرؤية الشائعه لهـــذه

الأزمة • فهو أول رجل من صانعى السياسة فى الخمسينات يقول ان هذه الأزمة فى جوهرها لم تكن أزمة ـ بل ولم يكن شيئا واضح المعالم أصلا • وأنه ـ على حد التعبير المصرى ـ لا يرى لها « رأسا من رجلين » ذلك لقوله بأن من بين ميع الاطراف المشتركة فى الأزمة كان هناك طرف يعرف ماذا يريد • ويستطيع أن يحقق ما يريد ذلك الطرف هو الثورة أو جمال •

لكن فتحى رضوان وجد نفسه مع ذلك ، فى قلب الأزمة عندما بلغت ذروتها • ذلك أنه كان رئيس بعثة الشرف الرسمية المرافقة للملك سعود فى أول زيارة ملكية له لمصر • وكان الملك ـ من حيث لا يحتسب ـ فى هـذه الزيارة يلعب دورا بارزا فى الوسـاطة بين جناحى السـلطة العسـكرية المتخاصة •

ولكن •• لنحاول أن نتعرف على الأحداث من خلال رواية فتحى رضـوان ••

« عدت من السعودية بوصى رئيسا لبعثة الشرف الرسمية المصرية مرافقا للملك سعود على طائرة سعودية يتولى زمامها طيار أمريكى •• ووصلنا الى سماء مطار القاهرة • بدلا من أن تهبط الطائرة اذ بهـا تستدير وتحوم حول القاهرة فى دورات متعددة استغرقت ساعة •

أقول الحق بدأ القلق يعترينى رغم اننى حاولت التظاهر بالطمأنينه •• فقد كان أبسط شىء يمكن أن يفكر الانسان فيه هو معلق بين السـماء والأرض وشبح نفاذ الوقود يقترب هو ما هو هذا الطارىء الذى يحول دون

أن ستقبل مطار العاصمة طائرة تحمل ملكا واعضاء حكومته الا اذا كان هناك شيء غير مألولأ ترى ما هو هذا الشيء غير المألوف ؟

هل عاد الملك فاروق مثلا ؟ وهل ٠٠ وهل ٠٠ وهل ٠

« هذه الخواطر ومثيلاتها حاصرتنى بينما كنت أقوم بدور الدليل السياحى للملك سعود ٠ ونحن ندور فى سماء القاهرة عبر نفس المعالم عدة مرات ٠٠ فكان على فى كل مره أرى فيها الهرم أن أجد شيئا جديدا أقولة للملك عن الهرم ٠٠٠ وكان لأبد أن أضيف فى كل مرة معلومات لم أقلها من قبل عن القناطر الخيرية والجامعة والنيل ٠ وكل شيء ٠٠ لدرجة أن الملك سعود قال لى اضحكا ٠٠ والله بنعينك وزير أرشاد للأمة العربية لأن كل دورة بتعطينا معلومات جديدة » ! ٠

وخيرا جاء فرج الله ٠٠ ونزلت الطائرة فى مطار الماظه القديم وهو غير مطار القاهرة الدولى الذى لم تكن قد تم بناؤه ٠

وعلمت فور هبـــوطى من الطائرة أن سبب التأخير هو أن مجلس القيادة ٠ وعلى رأسه اللواء نجيب ٠ كان مشغولا فى نقاش ساخن متفجر فى القيادة ٠٠ الى أن الجميع نسوا موعد وصول الملك ٠ !

وعلى الرغم من أنه كان من الواضح تماما ان الأمور تسير بين نجيب والآخرين فى طريق اللاعودة الا أن البرتوكول أملى على الجميع أن يرسموا

أعذب ابتساماتهم وهو يستقبلون الضيف الزائر ..

« وفى اليوم التالى نشرت الصحف حديثا تليفو نيا مسجلا للواء نجيب مع مصطفى النحاس باشا وفيه نسب للواء أنه كان يغازل حزب الوفد الى درجة التحريض .

كان من الواضح أن الجو قد أكفهر تماما .. ولكن حرية اللواء نجيب فى الحركة كانت مقيدة باضراره الى ملازمة الملك سعود .

وفعلا ســـافر نجيب مع الملك بالقطار الى الاســكندرية .. وكنت معهما .. وكان على ان أقوم بدور المضيف لأن الرئيس نجيب كان مشغول البال جدا ، وزاهدا فى الكلام .

« ولما وصلنا للاسكندرية ركب الملك والرئيس سيارة التى تقل الرئيس والملك أمام ثكنات الجيش فى الاسكندرية واستأذن محمد نجيب من الملك سعود ، لأن صراع الحياة والموت الذى كان دائرا فى الجيش أملى على نجيب أن يتجه الى ضباط الاسكندرية مستفيثا ومحتــكما .

ومن هنـــا فوجئت بدعوتى الى الركوب الى جـــوار الملك مكــان محمد نجيب !

وكنت قد خلعت طربوشى ولم يكن قد خلع رسميا بعد . فاعتذرت للملك لأننى أركب فى معينه حاسر الرأس .

فقال لى الملك ...

ــ هيك زين ..

أى هذا أحسن .

« وبركوبى مع الملك انقطعت عنى أخبار الأحداث الحاسمة التى وقعت فى ختام الأسبوع الثالث من مارس ١٩٥٤ . ذلك أن برنامجنا كان مشحونا الى أقصى حد بالزيارات وأذكر أن الملك سعود صمم على أن يزور منزل عبد الرحمن عزام باشا فى أطراف ضاحية (أبو قير) وكان الطريق الى هناك شاقا بل وعرا . وتمت الزيارة رغم العناء ووعورة الطريق ، عدنا لنزور منزل محمد حسن العبد باشا المقاول المصرى الأثير لدى الملك . ثم عدنا صوب الباخرة المحروسه ونحن لم نسترح لحظة . واذا بالملك بمجرد مبارحة الاسكندرية الى القاهرة فى الليل يصمم على الاتجاه الى فندق هليوبولس بالاس ، ليلبى دعوة أحد كبار السعوديين فى مصر على وليمة عشاء على الطراز العربى . وكان الليل قد انتصف ونحن ننهى يوما بدأناه مع مشرق الشمس فى سفر من القاهرة الى الاسكندرية الى أبى قير . الى الميناء الشرقية الى القاهرة . فحملية الزيتون .

وودعت الملك وأرتميت على أقرب مقعد فى مدخل قصر الطاهرة ، أمنح نفسى لحظة راحة ضئيلة وكأنى استمد شحنه تدفعنى الى السيـ لتحملنى الى بيتى ..»

وإذا بضجة فى الخارج ! وإذا باللواء محمد نجيب داخلا مكفهر الو
وفى أثره الدكتور عبد الرازق السنهورى :

« وعلمت فى لحظات ان اعتـــداء ما قـد وقع على اللواء نجيب فى الصحراء بواسطة ضباط . ردد منهم أسم أحمد أنور . وآثرت الأنسحاب ونفسى منقبضة غاية الانقباض ، متوجسا أشد التوجس من آثار هذا الشقاق على بنى وطنى » .

ودعى جمال عبد الناصر لحضور اجتماع عاجل يديره الملك سعود .
وامتد النقاش الى قرب الفجر وخرج الجميع والأعيـــاء يكـاد يقتلهم .
واقتربت من المسلك أسأله عن المود الذى أمر عليه فى الصباح بعض الوقت .

وكانت زيارتنا الصباحية للقناطر . وفيها علمت بأسرار الخلاف بين نجيب وعبد الناصر من الملك سعود الذى أخبرنى بأنه بذل مساعيه الحميده للتسوية . ولا أنسى أن الملك سعود أثنى ثناء على جمال عبد الناصر وكرر وصفه بأنه « رجال ، أى رجل بحق . عجبنى كثير والله عجبنى » .

على أن وساطة الملك لم تغير فى النهاية شيئا .

وخرج نجيب وتولى السلطة عبد الناصر وزملاؤه الضباط الشبان ويرفض فتحى رضوان أن يقول مما يعلم من تفاصيل القصلا لأنه الزم نفسه الا يقول الا ما رأى بنفسه .

الشيء الوحيد الذى يضيفه هو أن حاجز الزجاج الذى نشأ بلا سبب بينه وبين نجيب والذى ذاب أثناء رحلة النوبة عاد مرة أخرى بسبب أزمة مارس لم يكن هناك منطق ، لا للحاجز ولا لزواله • ولا لعودته • ولا للازمة نفسها من وجهة نظره •

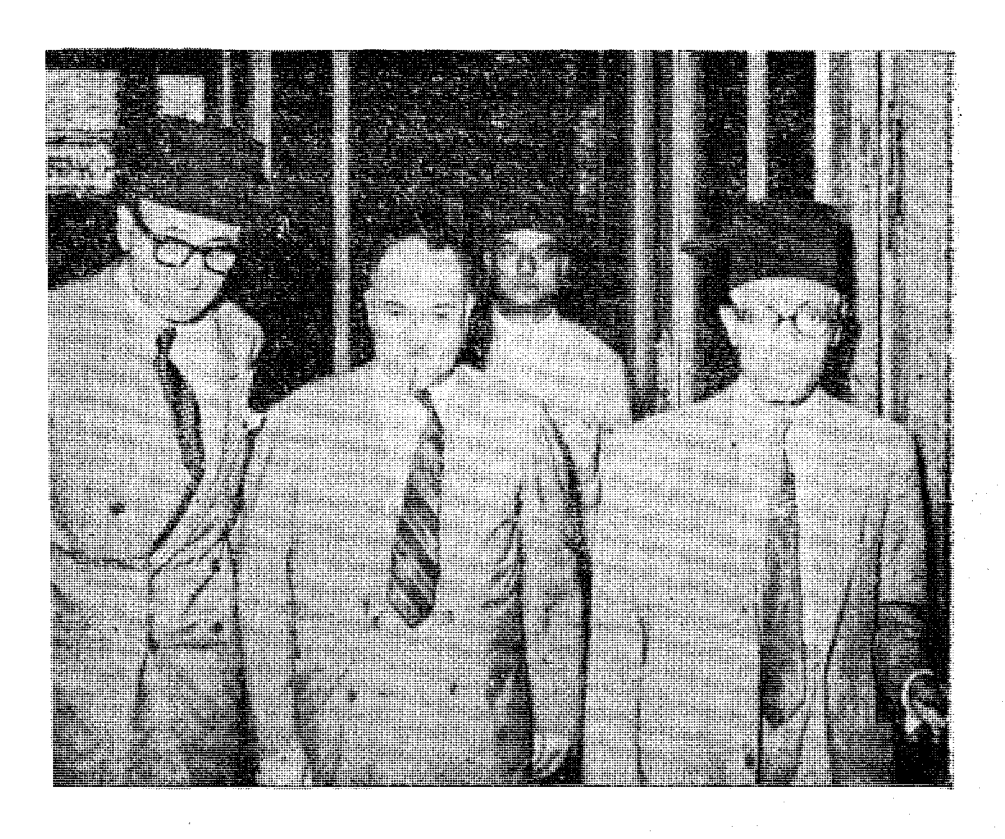
وفى رأيه أنه يتحمل كثيراً من يحاول اخضاع كل شيء للتحليل المنطقى • وانه فى الحكم أيضا توجد أشياء لا يمكن تفسيرها الا بسوء الحظ أو حسن الحظ •

وينفى فتحى رضوان بما رواه قد قصد الى رسم صورة نجيب رئيسا •

وينفى أيضا أنه فى الحلقة القادمة سيرسم صورة عبد الناصر حاكما •

لكنه فى الواقع سيرسمها وهو يروى أزماته فى الوزارة بعد أن تولاها عبد النـــاصر • وسنسمع منه حـكم القـاضى العادل • والأديب المتزن على شخصية هذا الزعيم وخلقه وسلوكه وطباعه •

وسنسمع منه أيضـــا كيف ترك الوزارة آخر وحكمـه على فتحى رضوان وزيرا :•:



٢ نوفمبر ١٩٥٤ ـ والمكان مجلس الوزراء والمناسبة وردت الأزمة بين نقابة المحامين والثورة وفتحي رضوان الوزير لا ينسى أنه فتحي رضوان المحامي ... وقد أحاط به ((الزميلان)) مصطفى برعي ، وعمر عمر[٣] . والأزمة على الوجوه تعلن عن نفسها .

كان مجلس الوزراء برئاسته جلسة استماع يكون فيها هو المتحدث وحده والوزراء ينصتون

صدام مع عبد الناصر

اخرج جمال عبد الناصر حافظة نقوده من جيبه الداخلى وقال فى سأم مخاطبا زميله موفق حموى رحمه الله ..

ـ المشكلة كلها على كام جنيه ؟ يا أخى ابقى تعالى خـــدهم منى أول كل شهر وبلاش توجع دماغى !

ولكن المسألة بالنسبة لموفق حموى لم تكن مسألة جنيهات .. المسألة أنه كان يشعر أن زملاءه الضباط الأحرار قد أصبحوا وزراء في حين أن فتحى رضوان يضن عليه بالتعيين فى الدرجة الأولى .. فى وزارة الارشاد ، التى كان فتحى رضوان وزيرها .. ونترك فتحى رضوان يروى كيف جرت القصة .. ويبدأ بها رسم صورة عبد الناصر .. حاكما !

يقول فتحى رضوان ..

« كان موقف حموى من أقرب الضباط الى قلب عبد الناصر وكان من أوائل من ضمهم خلايا الجيش الثورية .. وكان رفيقا لعبد الناصر فى حصار الفالوجة . وبعد نجاح حركة ٢٣ يوليو خلف الصاغ حموى البكباشي أنور السادات فى الاشراف على رقابة الصحف وكان هذا الموقع أحد المراكز الحساسة على خريطة السلطة الجديدة وهى تؤمن نفسها ضد التيارات الخفية والمعلنة .. ثم حدث أن ألغيت الأحكام العرفية فى عام ١٩٥٧ عقب اعلان دستور ١٩٥٦ بمدة قصيرة فألغيت بذلك وظيفة مدير الرقابة ونقلوه الى وزارة الارشاد التى كنت أتولاها .. وكان لا بد له من اختصاص يتولاه » .

فكرنا بادىء ذى بدء فى أن ننشىء له « مصلحة » باسم مصلحة الصحافة ، تنتزع اختصاصاتها من اختصاصات مصلحة الاستعلامات . ولكن ذلك بدا انه سيفتح باب تهب منه رياح الخلاف بين الضابطين الزميلين موفق حموى ومحمد عبد القادر حاتم .. فعدلنا عن الفكرة واكتفيت بتعيين الأخ موفق فى وظيفة ادارية كبيرة بالوزارة .

ولست أريد هنا أن أغرق القارىء فى تفاصيل ادارية ولكن يكفى أن أشير الى أن موفق خيل اليه بعد تعيينه بقليل اننى حول دون مزيد من الرقى له الى درجة أعلى .. واننى أثرت بها عليه آخرين .

وقد تكرر هذا الظن منه مرتين .. مرة حين فضلت عليه المحقق المعروف الأستذ ابراهيم زكى خورشيد الذى كان قد أتم تعليمه حين كان موفق لا يزال يتلقى علومه فى المدارس الابتدائية ومرة ثانية حين فضلت عليه رجلا دخل الخدمة قبل أن يولد موفق نفسه وهو المجاهد القديم يوسف عبد الغفار أحد أبطال ثورة ١٩١٩ .

وكان من رأيى فى الحالتين أن فى شباب موفق وحداثة عهده بالتصدى للخدمة العامة ما يمكنه من الانتظار شهورا الى أن يحال أحدهما الى التقاعد .. ولكن موفق كان له رأى آخر ، ولا أضن بالتماس العذر له من وجهة نظره فانه رأى .. (وهذا كلامه الذى قاله مرة فى مواجهة) بعض زملائه الأحدث منه خدمة وقد أصبحوا وزراء ..

وأذكر أننى قلت له .. عندك حق ولكن اذهب الى الذى يعين الوزراء فلعله يعينك ولعله يضعك مكانى .. ولعل يوما يجىء فأطرق بابك لأسألك أن تسوى استحقاقاتى فى المعاش .. أما انا فلا استطيع لكى أعطيك ما تعتبره حقا لك أن اسلب من هم فى عمر والدك حقوقهم .

« فذهب موفق حموى يشكونى الى عبد الناصر ، ويناشده أن

يكلمنى فى أمر ترقيته . فرفض عبد الناصر وأحاله على عبـــد الحكيم عامر الذى أبى بدوره أن يكلمنى وأحاله على أحمد حسنى وزير العـــدل الذى بادرنى ذاهلا فور اتصاله بى ..

انت مجنون ! . الناس بتجرى وراء سائق عبد النـــاصر .. وراء انعسكرى اللى واقف أمام بيته .. وانت بتزعل زميله وصاحبه ؟ انت مالك ما دامت لجنة شئوون الموظفين المختصـــة بنظر ترقيـــات الموظفين أفتت بوجوب ترقيته مرتين .. رقيه .. ما تبعـد عن الشر وتغنى له

« ولكنى رفضت أن أبعد عن الشر ورفضت ان اغنى له ! وتكررت شكوى موفق منى ثلاث مرات : وتكرر اتهام أحمد حسنى وزير العـــدل لى بالجنون ثلاث مرات . ولم ينل موفق الدرجة الأولى التى ســـعى اليها كل هذا السعى . الا بعد أن اتخذت الجنة حكومية برياسة السيد زكريا محيى الدين خطوة معينة أزيح بمقتضاها أحد منافسى موفق عن الخدمة بعد منحه مدة اضافية وأحيل الى التقاعد .

والمهم فى القضـــية كلها أن عبد الناصر رفض أن يطلب الى أن أعدل عما آراه حقا . وعرض حافظة نقوده الخاصة ليعوض صديقه عن « تقصيرى » .

أعرض ! اتفضل أعرض !

ولكن ، ماذا حين كان يصـــطدم عبد انناصر بوزير له ؟ فتحى رضوان لديه ، هنا أيضا حكاية مثيرة ..

قصة نادرة من مجلس الوزراء ..

جمال عبد الناصر ، على الأقل فى الفترة التى عملت معه فيهـا وزيرا ، كان فى الجملة دئما سمح الخلق لطيفا فى المعاملة واسع الصدر وهو فى مجلس الوزراء والمؤتمر المشترك لا يكاد يتكلم لا تأييدا ولا معارضة على عكس ما صار اليه الأمير حين أصبح رئيسـا لمجلس الوزراء .. واصبحت الأمور كلها فى يده .

فقد أصبح مجلس الوزراء برياسته جلسة استماع يكون فيها هو المتحدث وحده والوزراء ينصتون ويأخذون الملاحظات ويتلقون التوجيهات ، فاذا ما أراد أحدهم ان يعلق او يتكلم كان عليه ان يطلب الاذن بالكلام .

ولكن عبد الناصر كان بشرا .. ويمكن أن يفقد أعصابه اذا لمس احد عصبا حساسا عنده وقد واجهت هذه التجربة ذات ليلة فى أحد اجتماعات مجلس الوزراء ..

كنت فى تلك الليلة وزيرا للمواصلات ، وعرض الرئيس على المجلس موضوع فتح اعتماد بمبلغ كذا ألف جنيه لمواجهة مصروفات عيد الثورة السابق على تلك السنة .. فقلت مخاطبا الرئيس .. بهذه المناسبة انا أريد أن أشير الى أن الأخوين الصاغ عبد الله طعيمة والصاغ ابراهيم الطحاوى « وكانا أمينى الاتحاد القومى وقتها » وقد أذاعا على اعضاء التنظيم السياسى فى طول البلاد وعرضها أن من الممكن القدوم الى القاهرة من سائر أنحاء الجمهورية وأطرافها على قطارات السكك الحديدية بتخفيض قدره ٧٥٪ من الأجر الرسمى بشرط ابراز بطاقة الدعوة الى حضور المؤتمر العام ..

واستطردت قائلا للرئيس .. أن سلطات السكة الحديد استغاثت بى من هذا القرار الذى لم تستشر فيه .. ولفتت نظرى الى النتائج الخطيرة التى يمكن أن تترتب على زحف عارم كهذا على امكانيات النقل المحدودة وبمثل هذه الخسارة الرهيبة على مرفق النقل وبمثل هذه السهولة التى يتجلى فى مجرد ابراز بطاقة دعوة مطبوعة على ورق خشن ، ويمكن اصطناعها بسهولة لأنه لا يميزها أى علامة خاصة أو اختام يصعب تقليدها وأفضت فى شرح هذا المعنى .

فاذا بعبد الناصر يرمقنى بنظرة احتياج مندهش ، ويتساءل .. ايه المناسبة ؟ احنا بنتكلم عن اعتماد لمصروفات عيد الثورة السابق .. فأنت موافق على الاعتماد والا مش موافق ، هذا هو السؤال ولا دخل له بتذاكر الدعوة اللى بتثيرها بدون مناسبة وبدون علاقة بالموضوع المعروض !

وفاجأتنى هذه اللهجة التى لم أكن أعهدها فيه . ولم يكن غيرى من الوزراء يعهدها فلم أرد فى الحال .. ثم قلت .. المناسبة اننا فى صدد الاحتفال بعيد الثورة .. فقال .. لكن الموضوع مش عيد الثورة .. الموضوع فتح اعتماد مالى !

ثم تصاعد غضبه رحمه الله فقال .. يعنى انت عاوز تحرجنى ؟ عاوز تعمل من الحكاية دى موضوع تعرضه على مجلس الوزراء يمكن يا اخى انا اعطيتهم وعد .. ويمكن أن هذه الاجراءات انا موافق عليها .. فاتفضل اعرض وخذ الرى .. اتفضل اعرض ، وخذ الرأى .

وكرر رحمه الله نفس العبارة عشر مرات تقريبا .. فلم ارد ..

فاستشاره صمتى ، وعاد يكرر نفس العبارة .. ثم أشعل سيجارة بطريقته العصبية المركزة التى كانت تلازمه عند الغضب وقام مطرقا وغادر قاعة الاجتماع دون أن يعلن رفع الجلسة !

وقمت على الفور فى هدوء أجمع أوراقى وأضعها فى حقيبتى وقد ساد الاجتماع وجوم شديد .. ولما هممت بالاتجاه ناحية الباب توطئة لمغادرة مقر مجلس الوزراء اتجه نحوى وقال لى .. جمال سالم .. ما تزعلش أصله لم ينم الليلية اللى فاتت ولا دقيقة .

واقترب منى نور الدين طراف وهمس فى أذنى .. واضح أن الموضوع نفسه كان معروضا على مجلس قيادة الثورة . ويظهر أن رأى المجلس كان من رأيك .. فأنت وضعت أصبعك على الجرح !

ولم أعقب .. سرت فى اتجاه الباب .. واذا بصلاح الشاهد يأتى لاهثا . فيقول الحمد لله لقيتك .. الريس قال لى أحصلك على الباب ورجعك بأى طريقة .

واصطحبنى صلاح الشاهد الى حجرة جمال عبد الناصر رحمه الله . وما كدت أدخل حتى عانقنى وبدا عليه تأثر شديد .. وتوالى دخول الضباط أعضاء مجلس القيادة . وكان أكثرهم وزراء عسكريون . وتبارى كل منهم فى تطييب خاطرى والاعتذار لى . وختم الرئيس عبد الناصر هذه الباقة من الكلام الطيب بأن قال لمن حوله ..

« كفاية كده الاجتماع .. إفضوا جلسة المجلس » .. ثم التفت

ناحيتى وقال لى .. الساعة ١١ ــ صباحا غدا أنا عاوزك .. أوعى ما تجيش .

وفى الصباح ذهبت اليه فى الموعد المحدد . فأمسك بسماعة التليفون وطلب الصاغ عبد الله طعيمة وقال له .. يا طعيمة اللى يقوله السيد وزير المواصلات يمشى.

ويبدو لى أن طعيمة قال من على الطرف الآخر من الخط التليفونى .. أن التعليمات وصلت فعلا الى سائر أنحاء لجان الاتحاد القومى .. فاذا الغيناها فان الناس مش حتيجى الاجتماع الكبير .

فرد عبد الناصر قائلا .. يا سيدى ان شاء الله عنهم ما جم !

ومصادمات مع الذين حوله !

ان قصة خروج وزير من الوزراء لا تقل أهمية ــ ان لم تزد ــ عن قصة دخوله ، هناك وزراء يستقيلون وهناك وزراء يقالون .. وهناك وزراء يرزعون الباب وراءهم بشدة . وهناك وزراء يخرجون وقد تركوا الباب مواربا ليعاودوا الدخول منه بعد قليل أو كثير .. وأخيرا فان هناك وزراء يلمعون بدخولهم الوزراة . ووزراء يلمعون بخروجهم منها !

ويقول فتحى رضوان انه خرج بناء على طلبه .. بل بناء على الحاحه ، عند أول تعديل وزارى فى عهد الوحدة بين سوريا ومصر ..

وها نتركه يروى القصة بنفسه ..

« كان خروجى من الوزارة قرارا سابقا لى .. وقد حدث فى الفترة الأخيرة السابقة على خروجى بعد الوحدة بأن توالت مصادماتى بمن حول عبد الناصر .. وأذكر أننى قدمت اكثر من استقالة .. اذكر اننى فى أعقاب الاستقالة من هذه الاستقالات أثر صدام من الاصطدامات ببعض الذين يحدقون بالقمة ، صارحته بقولى ...
ان كل الذين حولك يريدون أن يغمضوا عيونهم ويفتحوها فلا يجدونى .

وكان مثل هذا الكلام يحرك شهية عبد الناصر لمعرفة التفاصيل جيدا . كان يسألنى ماذا كان بينك وبين فلان وفلان وفلان .. وكان يدهشة أن يرى أن فى جعبتى أشياء مثيرة وكبيرة وجاهزة .. فيعود يسألنى ضحاكا ..

ـ طيب وماذا بينك وبين فلان وفلان وفلان ؟

فأقول .. أليس هذا الذى قلته كافيا لجعلنى أتملل وينفذ صبرى واطلب الراحة ؟ لقد قلت لك كثيرا .. اننى لم أخلق وزيرا ، ولا أصلح لأن أكون وزيرا ، الا اننى قد قبلت أن أركب هذا المركب الصعب لأننى كنت أحلم باننى أستطيع ان افعل أفعل الى جانبك شيئا ، ان لم يكن فى مجال السياسة العامة فعلى الأقل فى مجال الثقافة .. وأذكرك يا أخ جمال . (ثم عاد فتحى رضوان فطلب منى أن أشطب عبارة يا أخ جمال وأكتب بدلها يا سيادة الرئيس لا يقول أحد انه يصول ويجول بعبارة تشف عن رفع الكلفة بعد ذهاب عبد الناصر) .

وأذكرك يا سيادة الرئيس بأنك على سطح الباخرة الحربية وأنت في طريقك الى يوغوسلافيا وجدتني أقف بعيدا عنك وكان الى جانبك كمال الدين حسين أو بغدادى .. فنظرت أنت الى الواقف معك وسألته صاحبك مش راضى يقرب ليه ؟ ثم نظرت لى وقلت لى وأنت ضحك .. المتاحف واخذتها (وكان كمال الدين حسين معارضا فى نقل مصلحة الآثار من وزارة فى التربية والتعليم الى وزارة الثقافة) .. فلماذا تقف بعيدا ؟

واستطردت مخاطبا الرئيس عبد الناصر .. هل تذكر هذه الكلمة ؟ قال .. نعم ، قلت .. انت قلتها على سبيل المزاح وقد كانت فى صميم الجد .. فما كان يبقينى فى الوزارة الا مثل هذه الأمور .. أن أحترم الثقافة أن اخدم العمق ان اطارد الضحالة . ان انشىء المتاحف ..

فأجابنى عبد لناصر على الفور .. لقد اكتملت لك جميع الأجهزة الثقافية .

فقلت له أنا أيضا على الفور .. بقى ان اكون قادرا على أن اديرها!

فضحك رحمه الله وهو يهز ساقيه .. وكانت هذه عادته أن يهز ساقيه بشدة عند السير وعند الغضب ، واقفا أو جالسا .. ثم قال لى .

— طيب ما تريدها ..

فقلت له .. ولما أكون مش قادر ؟

فقلت له .. ولما أكون مش قادر ؟

قال عبد الناصر .. و يه الى خلاك مش قادر ...

قلت .. بعض الذى ذكرته لك يكفى لكى تعرف كيف .. اذا كنت فى حرب مع كل من حولك فى الصغيرة والكبيرة فماذا يبقى لى من وقت أو اجهد لأصرفه فى العمل الصالح ؟ .

« خلاصة القول اننى كنت قد رتبت نفسى على انتهاز أقرب مناسبة للخروج من الوزارة فلما ذهبت الى البانيا ممثلا لمصر بدعوة من جمعية الصداقة الألبانية العربية حدث ما عجل برغبتى فى الخروج .. لا لمناسبة تتصل بموضوع الزيارة بل لطارىء صحى ألم بى فأعطانى الحجة لكى أخرج فى هدوء وبلا ضجة .

وتفصيل ذلك أننى فى تيرانا عاصمة ألبانيا بينما كنت أتهيأ لالقاء كلمتى مع انشراح الصدور والسرور لأننى قد اكتشفت فى ألبانيا شعبا عربيا فى صميم أوروبا لا يتكلم العربية وان كان يعض على ايمانه بالاسلام وانتمائه للعرب بنواجزه لدرجة أن الخطب التى ألقاها الوزراء الألبانيون كانت دراسات مسهبة ودقيقة وجيدة عن أثر العرب والمسلمين فى الحضارة الأوروبية الحديثة (بل اننى أستطيع أن أقول بدون مبالغة انه ليس فى وسع وزير مصرى أن يباريهم فى هذا العلم ولا فى الحماسة للعرب والمسلمين .. أقول بينما أنا أتأهب لالقاء وخطابى وانا امتلىء انشراحا بهذه المشاعر اذا بى أشعر فجأة بهجمة (مغص) لم أشعر بمثلها فى حياتى .

على اننى تحاملت على نفسى وتجاهلت هجمة الألم حتى لا أفسد

المناسبة ، وألقيت خطابا بالعربية ترجم فى الحال الى الألبانية وتناولت فيه بطبيعة الأمر قضية فلسطين .. ورأيت بعينى دموع الرجال والنساء تنهمر على خدودهم تأثرا لما قلته عن حالة اللاجئين الفلسطينين . وما كدت أنتهى من الحديث حتى رأيتنى عاجزا عن أن اقوم وتقدم الوزير السورى مصطفى حمدون الذى كان وزيرا للشئون الاجتماعية فى عهد الوحدة ومعه مجاهد جزائرى كان يحمل اسم « أبو خالد » يحملاننى حملا الى السيارة .

وباختصار قضية ليلة وبما فى ألم صاعق ، وان كانت قد خففت منه هونا الاسعافات الطبية التى تفضل بها على أستاذ الطب الباطنى فى جامعة تيرانا . فلما عدت الى القاهرة أجريت « رسم قلب » على يد الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم شيخ أطباء القاهرة . ونظر الأستاذ العميد الى لوحة الرسم ونصحنى بأن ألتزم الراحة .

أقول الحق . على الرغم من معاناته الصحية رددت فيما بين نفسى وبينى المثل المصرى القائل « بركة يا جامع » . يعنى اننى الآن استطيع أن أخرج تحت مظنة العذر السياسى المشهور الأسباب الصحية .. دون ن تكون هذه الأسباب مجرد عذر سياسى !

مطلوب « العكننة » :

ولكن كيف تم ذلك ؟ يقول فتحى رضوان ..

كانت مشاورات التعديل الوزارى على وشك أن تبدأ ، وتسلحت

برسم القلب وتقرير الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم ليكونا ذريعتى .

واذا بمكتب المشير عبد الحكيم عامر يتصل بى ليدعونى الى مقابلته بالقيادة المشتركة بمصر الجديدة .. وكنت أعلم أن الحديث سيدور عن الوزارة الجديدة ، ووقعت فى حرج ضاعف منه انه كان مفروضا أن أذهب لزيارة المتحف المصرى قبل صياغة التشكيل الوزارى الجديد بيوم واحد . واذ كنت أعلم علم اليقين اننى لن أدخل الوزارة الجديدة مهما كان ويكون ، فان نفسى حدثتنى بألا أذهب الى المتحف . ولكننى لم أشأ أن يكون ذلك ارهاصا بنيتى ، فقد قررت أن ذلك من حق القيادة السياسية وحدها . وذهبت الى المتحف ، وسمعت الكلمات تنبىء بما ينتظر الثقافة على يدى من أمال . وابتسمت فقد كانت ساعات بقائى فى خدمة الحقل الثقافى من موقع المسئولية معدودة ، وقلت لنفسى وأنا أجيل بصرى فى الذين يتبارزون فى القاء الكلمات .. آه لو يدرون !

وقبيل لقاء المشير عبد الحكيم عامر بساعات ، التقيت بالمرحوم أحمد حسنى وزير العدل وآخرين ، وذلك فى نادى مصر الجديدة الرياضى ، وكان قريبا من مقر القيادة المشتركة وأفهمونى أن أسمى مدرج فى قائمة ترشيحات الوزارة الجديدة أمام موقع وزير الثقافة التنفيذى . وسكت .

وعندما ذهبت الى مكتب المشير عامر وجدت عنده كلا من الدكتور مصطفى خليل والسيد حسن عباس زكى .. ولعلك لم تنس

انني لم أدخل على ثلاثتهم وحدى وانما اكن معى صـورة رسام القلب الكهربائى وتقرير الطبيب الأستاذ .

واعتذرت فى الحال على مسمع من الدكتور مصطفى خليل والسيد حسن عباس زكى ــ أمد الله فى عمريهما ــ عن دخول الوزارة الجديدة .

ولما كنت قد أدليت قبل هذا الاعتذار بحديث فى صفحة كاملة فى جريدة المساء ، عن خطط انغد فى الحقل الثقافى ، فقـد ذكرنى حسن عباس زكى بذلك الحديث وقال لى :

ــ أمال مين اللى حينفذ المشروعات دى كلها ؟

فقلت له .. كثيرون

وعدت أقول ضاحكا .. « انهم كثير » على حد رواية الشـاعر العربى .

ووضع المرحوم عبد الحكيم عامر حـدا للحديث اذ قال .. أنا مليش دعوة .. الرئيس حياخدك فى الوزارة .. وأنت وهو تتفقوا .. يعنى ترسوا لكم على بر » .

واذ هممت بالوقوف ، أطلق المشير عامر ضحكته من القلب وقال..

داحنا جايبينك مخصوص للوزارة التنفيذية علشـان تعكنن على صلاح البيطار وتخرجه .. أمال مين اللى حيعكنن عليه ؟ .

ذلك أن صلاح البيطار كان سـيتولى الوزارة المركزية .. وكان قد طلب أصلا أن يكون وزيرا للدولة ، ولكن القيادة السياسـية رأت أن تحدد اقامته داخـل منصب وزارى محـدد .. وربما بدا لمخططى السياسة أن وجود مثلى فى موقع العمل التنفيذى ما يلقى فاعليـة البيطار ــ وهذا ظن لا أحاسب عليه .

وفى المساء زارنى الدكتـور نور الدين طراف ، وكان قد أختير

رئيسا للمجلس التنفيذى ، ورجانى أن أعدل عن استعفائى من دخول الوزارة فشكرته ، وصممت على رفضى .. وفى الساعة الثامنة مساء طلبنى المشير عبد الحكيم عامر على التليفون وسألنى .. عملت ايه .. ده احنا مؤجلين النشرة للساعة ١١ علشانك .. فقلت له ..

ـ لقد أخذت رأى الدكتور نور الدين طراف فى هذا .

قال لى المشير .. اشمعنى نور الدين ؟

قلت . لأنه طبيب . واعتذارى اعتذار صحى .

وفى اليوم التالى انعقد مجلس الوزراء . وقبل انعقاده تكلم جمال عبد الناصر عنى كلاما حسنا . ونشرت الأهرام فى صفحتها الأولى هذا الاطراء الطيب والتوديع الكريم .. ثم عاد فأرسل الى خطاب شكر .. ولم يكرر ذلك كله ـ فيما أعلم ـ مع أحد ممن خرجوا .

الى هنا تنتهى رواية فتحى رضوان عن خروجه من الوزارة .

ولكن هل كانت متاعبه الصحية ، ومتاعبه مع أطراف الصراع حول القمة ، هما السببان الوحيدان لاصراره على الخروج ؟

ألا يجوز أن يكون هناك سبب ثالث ، هو انه كان يرى نفسه جدر بمنصب وزير الثقافة المركزى .. حتى تتاح له السلطة التخطيط العام لثقافة دولة الوحدة الجديدة ؟

نجازف بهذا الرأى على مسئوليتنا ، وعلى أساس أن فتحى

رضوان – رغم مراجعته لهذه الحلقـــات – لا يملك الاعتراض على ما ليس منسوبا إليه .

وقد يكون من حقنا أيضا ، وقد وصلنا الى خروجه من الوزارة ، ان نقيم حصاد عمله فيها . انه الذى وضع على خريطة السياسة فى مصر وزارة للدعاية « وهو يرفض كلمة اعلام لأنها فى رأيه لفظ زائف .

وهو الذى أنشأ الاذاعة المصرية الحديثة انشاء . وصنع لهـــا شأنها الخطير الذى لعب دوره فى الخمسينات والستينات .. وفى وزارة الثقافة أنشأ ١٦ جهازا فى ١٦ شهرا ، ولم تكن عرفت قبله أمثال هذه الأجهزة كأوركسترا القاهرة الســـيمفونى ، ومسرح العرائس ، ومدرسة وفرقة البالية ، وفرقة رضا ، ومعهد الســـينما وهيئة الكتاب ، ودار الوثائق .. الخ أما فى مجال المواصلات فكان من أبرز أعماله طريق مصر – اسكندرية الزراعى .

وسر فتحى رضوان فى اعتقادنا أنه لم يكن سياســـيا فى عالم الثقافة ، وانما مثقفا فى عالم السياســـة .. ويكفى انه بدأ فى سن العشرين ، وفى سنوات الاضطراب والكفاح ، بترجمات لأساطير الكذب الأوربى وجدت مكانا لها فى صحيفة « السياسة الأسبوعية » الى جانب شيوخ اعتاة من أمثال المازنى وطه حسين ومحمد حسين هيكل وغيرهم .

لقد فشلت فشلا ذريعا ! ونجحت نجاحا رائعا ! فشلت فشـــلا ذريعا لأننى لم أستطع أن أتسلح بالصـــبر وسعة الصدر والمداورة لكى ابقى فى الوزارة قريبا من عبد الناصر ، قادرا على ان ابدى رأيى بصراحة

وبغير مواربة دون أن يغضب منى .. ومن الأحياء من يشـــهد بأنه كان يحدث بيننا مجاملات ومناقشات وأحيانا اصطدامات تصل الى درجة العنف .

ولكنى لم أشعر قط اننى فقدت صداقته ولا حسن ظنه .. ولكن أعصابى تعبت ، وهذا خطأ لا يجوز للسياسى أن يعترف به .

وفشلت أيضا لأن رغبتى فى الكمال أمر لا يتفق مطلقا مع السياسة. فالسياسة هى الانتفاع بالممكن فى انتظار الصعب والبعيد ، والانتقال منه الى الأقل امكانا وهكذا .. أما الفكر المثالى فهو فكر الكتاب لا فكر الساسة .. والسياسيين فى رسول الله ، صلى الله عليه وسـلم ، خير المثل للتأنى وسعة الصدر والانتقال من خطوة الى خطوة .

أما نجاحى ، فمن الذوق أن ادع غيرى يتحدث عنه !

ولعلنا قد فعلنا . وأشرنا الى بعض ثمار هذا النجـاح .. لكن ما فشلنا فيه هو اقناع فتحى رضـوان بأن يروى من ذكرياته أكثر مما روى !

فمع انه سجل هذه الذكريات جميعا فى مذكرات مكتوبة ، الا انه مصمم على أن الوقت المناسب لاذاعتهـــا لم يحن بعد .. وله فى ذلك حجج لم تقنعنا .. ولكن حججنا أيضا لم تقنعه !

فلم لا يحاول القراء معنا ؟



الى مكتب لينين فى قصر الكرملين جلس فتحى رضوان يكتب كلمة فى سجل الزيارات في أثناء بعثة صداقة وثقافة الي موسكو .

د. عبد الوهاب البرلسى

يروى لـ:

ضياء الدين بيبرس



الى هنا وتنتهى شهادة الأستاذ فتحى رضوان ...

ثم يجلس الى منصبه الشهادة الطبيب الوزير : د . عبد الوهاب البرلسى .

ويروى الدكتور البرلسى شهادته ببساطة ، وصدق ، وبلا محاولة للتفسير والتحليل . ويرسم بها صورة - لم يرسم أحد مثلها قبل الآن - لمجلس وزراء عبد الناصر . ومن خلالها يرسم - دون قصد - صورة عبد الناصر نفسه رئيسا للوزراء ! .



بصفته وزيرا للارشاد والثقافة ، لقد كان للفن والفنانين فيه نصيب .

كان عبد الناصر يجيد الاستماع ويفتح صدره للنقاش ويتقبل الرأى المعارض

ماحدش ضامن بكره!

مجلس وزراء عبد الناصر

أولا حافظ بدوى :

أغرق جمال عبد الناصر فى الضحك ، وكان قليـلا ما يغرق فى الضحك ، ثم قال للوزير الجديد : أنا ماكنتش عارف يا أستاذ حافظ ان عندك ١١ بنت وولد ٠٠ جايز لو كنت عارف كده قبل تشكيل الوزارة كنت ، كنت ٠٠

وتوقف عبد الناصر قليلا ثم قال : كنت اخترت لك وزارة غير وزارة الشئون الاجتماعية !

أما « الأستاذ حافظ » فقد كان حافظ بدوى وزير الشئون الاجتماعية الجديد . والتاريخ كان ٢٨ اكتوبر ١٩٦٨ ، والراوى هنا هو الدكتور عبد الوهاب البرلسى وزير التعليم العالى الجديد فى نفس الوزارة . وقد شهد الواقعة بنفسه هو والوزراء الجدد الأربعة الآخرون الذين دخلوا الوزارة لأول مرة فى نفس اليوم . وهم : الدكتور عبد العزيز كامل الذى عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر ، وحمدى عاشور الذى عين وزير للادارة ، والدكتور عبد الوهاب شكرى وزير الصحة ، وحافظ بدوى نفسه بطبيعة الحال .

ويستطرد الدكتور البرلسى فى مذكراته التى ستصدر فى العام القادم تحت عنوان « وزيرا مع عبد الناصر » ، قائلا :

كان من التقاليد المتبعة أن يجتمع الرئيس لفترة من الوقت مع الوزراء الجدد بعد أداء اليمين الدستورية . وقد اجتمعنا مع الرئيس يومها فى مكتبه بقصر القبة لمدة ساعة ونصف . وكان الموضوع الرئيسى فى اللقاء هو موضوع المشكلة السكانية . وضرورة بذل المزيد من الجهد لوضع خطة قومية للحد من المعدل المرتفع للتزايد السكانى .

وقال عبد الناصر لحافظ بدوى أنه يبنى عليه بالذات أمالا عراضا

فى اقناع الناس بتحديد النسل .

ولا أذكر الآن بالضبط من الوزراء الجدد الثلاثة الموجودين • ولعله الدكتور عبد العزيز كامل ، الذى قال للرئيس الراحل : أن خير وسيلة لاقناع الناس بتحديد نسلهم هى صورة الوزير الجديد وهو جالس بين أولاده وبناته الاحد عشر !

فسأل عبد الناصر بدهشة : هذا صحيح ؟

فقال حافظ بدوى : صحيح يا سيادة الرئيس • وكلهم يدعون لك ويؤمنون بمبادئك •• وقد أنجبناهم فى أيام الخير • أما الآن •

فقاطعه الرئيس ضاحكا : حتقـول كده للناس فى تنظيم الأسرة ؟
لا يا سيدى •• نشوف وزير تانى ما عندوش القبيلة دى ••

واتفقنا على أن ينتقل الاشراف على الدعوة لتنظيم النسل الى وزارة الصحة •• وكان أولاد الأستاذ حافظ بدوى ـ بارك الله له فيهم هم السبب !

حدوة الحصان :

كنا خمسة دخلنا الى الوزارة ٢٨ اكتوبر ١٩٦٨ • وكان طبيعيا وطبقا للتقاليد المتبعة ، أن يكون مجلسنا فى اجتماعات مجلس الوزراء فى آخر طاولة الاجتماعات على طرفى حدوة الحصان • وكان على يسارى السيد حافظ بدوى • لانه الأحدث • فقد كان محليا حرا قبل أن يدخل الوزارة • وعلى يمينى كان يجلس الدكتـور عبد العـزيز كامل وهو

الأقدم • فقد كان نائبا لوزير الأوقاف من قبل • وكان عبد العزيز كامل هادئا دائما ، جادا في غير تزمت • ناصحا لى فى الأزمات • وكان حافظ بدوى خفيف الظل يستفهم عن معنى أى كلمة تقال بلغة أجنبية خلال المناقشات !

وكان أمامى على الطرف الآخر من حدوة الحصان الدكتور عبد الوهاب شكرى وزير الصحة ، هادئا دائما • وانما كان ينفعل داخليا عند مناقشة امور وزارة الصحة ، وقد أثر على صحته تأثيرا كبيرا • أما خامسنا فكان حمدى عاشور المحافظ العتيد • وكان « راسخا » جدا ، لا يظهر انفعالاته • كما كان كيسا لبقا ، ومؤدبا الى أقصى حد •

ومع مضى الوقت والأقدمية فى مجلس الوزراء كانت مجالسنا تتقدم فى اتجاه مقعد الرئيس • وكان الوزراء يتبادلون « القفشات » بهذا الخصوص •• اذ كلما اقترب أحدنا من مقعد الرئاسة يسأله زميله : « فاضل أد أيه » ؟ وكان المقصود : « فاضل أد أيه على الخروج » طبعا الا فى حالة واحدة كان فيها الزميل مصمما على الوصول الى رئاسة المجلس ، وقد كان ••

وبمناسبة القرب من مكان الرئاسة • حدث مرة أن تغيب عدد من قدامى الوزراء فى مهام خارج القطر •• وكان مجلسهم بحكم أقدميتهم حول الرئيس عبد الناصر • ونظروا لتغيبهم رفعت أماكنهم وأعيد ترتيب الأماكن الأخرى • وجاء ترتيب الدكتور عزيز صدقى تبعا لذلك على يمين

الرئيس مباشرة • فما أن اتخذ الرئيس مجلســه حتى بادر الدكتور عزيز صدقى قائلا :

ـ أنت قريب منى قوى يا عزيز

وضج المجلس بالضحك •

أستاذ الجامعة وقوائم المباحث !

كانت علاقتى بزملائى الوزراء جميعا علاقة ود وأخاء وكنت أشعر بتأييد خاص لخطــواتى فى التعليم العــالى من بعض زملائى الوزراء الجامعيين ، وعلى الأخص الدكتور عبد العزيز حجــازى وزير الخزانة ، والدكتور محمد حافظ غانم وزير التربية والتعليم آنذاك • ولكل منهما شخصيته المتميزة واسلوبه فى عمله وفى ابدأ رأيه •

ولم يكن قد مضى على عملى وزيرا للتعليم العــالى أكثر من ثلاثة أسابيع عندما قام اضراب فى جامعة الاسكندرية • بدأ فى كلية الهندسة، ثم أدى سوء تصرف مدير الأمن بالاسكندرية الى سرعة تفاقم هــذه الحركة واعتصام طلاب كلية الهندسة وتضامن باقى طلاب الجامعة معهم •

وكانت الدوافع لهذا الاضراب مثل الدوافع التى أدت الى حركة فبراير السابقة ، حالة القلق والاضطراب والتمزق التى أعقبت هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ • وكنا فى شهر رمضان •• وكانت الأمور تتعقــد

وتزداد سوءا ساعة بعد أخرى . وفشلت جهود محافظة المدينة أحمد كامل . ومدير الجامعة حسن بغدادى . وعميد الهندسة . فى انهاء اعتصام الطلاب . وزاد الأمور تعقيدا القبض على عدد كبير من الطلاب واحتجازهم .

واستمر اعتصام طلاب الهندسة أربعة أياما بلياليها كاملة قضيتها فى مكتبى . وكنت على اتصال دائم بالاسكندرية . بل انى سافرت صباح اليوم الثانى الى الاسكندرية فى قطار الصباح لتقييم الموقف بنفسى ، وعدت مساء نفس اليوم رأسا الى الاجتماع الأسبوعى لمجلس الوزراء لأقدم تقريرا عن الأحداث .

ولا أدرى كيف انتهى الاعتصام مساء اليوم الرابع ساعة الغروب . لكن المؤكد أن العناية الالهية كانت معنا . فقد تعب الطلاب من قلة الطعام والماء ، وقامت زوبعة هائلة اجتاحت الاسكندرية ، وسقطت على اثرها أمطار غزيرة ، وانقطع التيار الكهربائى ، فتسلل الطلاب خارجين من كلية الهدسة . وأغمضت الشركة عينها (وكانت تحاصر المكان) وتركتهم ينصرفون الى بيوتهم .

الا أن الأمر لم ينته عند هذا الحد . فقد حدثت أخطاء بعد ذلك فى طريقة معاملة الطلاب كادت تعقد الأمور ، وتعكر الجو بين الحكومة والطلاب .. لولا أن تدارك عبد الناصر هذا الأمر فى الوقت المناسب ، وافرج عن الطلاب المعتقلين ، وأحيل بعضهم الى مجلس التأديب

بالجامعة لخروجهم عن نظامها ، وعوقب بعضهم بعقوبات متفاوتة طبقا للائحة الجامعة .

وكان تدخل عبد الناصر بعد أن تعقد الموقف نتيجة لتصرف خاطىء لأعضاء اللجنة المشتركة التى شكلها مجلس الوزراء من بين أعضائه من الأساتذة الجامعيين ، ومن بعض أعضاء اللجنة التنفيذية العليا هذه الفرصة لمعاقبته والطلاب ذوى الميول التى اعتبروها معادية النظام، يمينية ويسارية . وجاءوا بقوائم قديمة من مختلف جهات الأمن بها أسماء الطلاب المراد عقابهم بالفصل أو المحاكمة او الحبس .

هالنى هذا الموقف ! وهالنى جهل البعض بأسلوب التعامل مع طلاب الجامعة ، وأنا الذى قضيت حياتى كلها بينهم .

وحزنت أكثر لتصرف عضو فى اللجنة العليا ، كان أستاذا فى الجامعة الى عهد قريب ، فقد حدث أن أوضحت لأعضاء اللجنة أن نظام تأديب الطلاب طبقا لقانون الجامعة لا يسمح باتخاذ هذه الاجراءات العنيفة حيالهم ، وليس لهذه اللجنة سلطان لتأديب الطلاب لخروجهم على نظام الجامعة داخل حرمها . فثار الأستاذ الجامعى السابق وأفتى بأنه من الممكن تعديل مادة واحدة فى قانون الجامعة تسمح باتخاذ تلك الاجراءات !

كان هذا التفسير بالنسبة لى قمة مأساة . وشرحت رأيى .

وخرجت من الاجتماع مهموما ، قرب موعد السحور ، ومشفقا لما قد يصيب الجامعات من جراء تلك الاجراءات المقترحة .

ثم أبلغت رأيى للرئيس عبد الناصر بطريق غير مباشر هـذه المرة. وفوجئت صباح اليوم التالى بالرئيس يطلبنى تليفونيا ، ويسـألنى لماذا لم اتصل به مباشرة ما دمت على خلاف مع اللجنة ؟

واجبت انى كنت سأفعل فور انتهاء اللجنة من أعمالها ، اذ ربما استطعت اقناع هؤلاء الأعضاء بوجهة نظرى . فقـــال : ان ذلك ربما يكون متأخرا .

وطلب الى أن أقابله فى مكتبه ظهر اليوم التالى .

وفى مقابلة استمرت ساعتين فى منزله فى منشية البكرى ، حيث كان يعمل معظم الوقت ، استمع الى رأيى فى أسلوب التعامل مع الشباب أولا ومع الجامعات ثانيا ، وأن ما يشعر به الطلاب يشعر به كل مواطن بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ كما ذكر الرئيس نفسه ، الا أن رد الفعل لدى الشباب بطبيعته أكثر حدة وأكثر اندفاعا عنه عند جيلنـــا الذى سبقهم .

واستمع عبد الناصر ، وكان من مزاياه حسن الاستماع .
وعندما عدنا الى اجتماع اللجنة المشتركة بعد يومين كان اتجـاه

أعضاء اللجنة التنفيذية العليا مختلفا كل الاختلاف ، وعلى رأسهم الأستاذ الجامعي نفسه ، عضو اللجنة العليا ، الذي اندفع يردد كلامي لعبد الناصر قائلا : انه لا ضرورة لتعديل قانون الجامعات وانه يكفي أن يحال الطلاب المخالفون الى مجلس التأديب في الجامعة ليرى فيهم ما يرى !

وقد كان .

من يعارض عبد الناصر ؟

علمتني هذه الحادثة ، وكانت في أول عهدي بالوزارة ، أن يكون اتصالي مباشرا بعبد الناصر كرئيس للوزراء .

وقد ذكر هو ذلك مرارا في اجتماعات مجلس الوزراء . كان يقول للوزراء « أرجو الاتصال المباشر بي في أي وقت لأي امر هام » . وكان البعض يفعل ذلك . وكنت منهم . ولكن البعض يتحرج انتظارا للاجتماع الأسبوعي للمجلس الذي كان يعقد مساء يوم الأحد من كل أسبوع . الا انه خلال العامين اللذين قضيتهما في الوزارة مع عبد الناصر كان الاتصال المباشر مفيدا ومثمرا ومنجزا لكثير من الأعمال .

ولم يكن عبد الناصر طاغية كما يظن بعض الناس . كان دمث الخلق ، مهذبا ، حازما ، واضحا ، صريحا ، يتفهم ما يعرض عليه ثم

صدر قرارا فيه . وكان اذا روجع فى قراره يفكر ثانية ، ويقنعك بوجهة نظره أو يتخلى عنها .

الا أن البعض سامحهم الله ، كان يفضل الموافقة على المناقشة !

وكانت له لفتات تنم عن تقديره للشعور الانسانى . فقد حدث عقب جلسة طويلة لمجلس الوزراء ، عرضت فيها دراستى عن تطوير كبير فى سياسة التعليم العالى ، يتضمن انشاء الجامعات الاقليمية (كانت حدثا جديدا فى مصر بعد تجربتى فى جامعة أسيوط) حدث أن خرج وزير الاعلام لاعطاء ملخصا لما دار فى المجلس لممثلى الصحافة. وكانت سياسة التعليم العالى الجديدة من أهم ما أقره المجلس فى ذلك المساء ، ولكن ، وعند خروج عبد الناصر من قاعة المجلس قال لوزير الاعلام « أذكر للصحافة ملخصا لكل ما دار فيما عدا موضوع التعليم العالى » !

كان محدثا لبقا ، ويبدو دائما أنيقا مهذبا مجاملا ، وحدث أن شرحت له فى جلسة خاصة ما أنوى التقدم به الى مجلس الوزراء فى شأن وكنت قد اتبعت هذا الأسلوب فى بحث الأمور الهامة مع الزملاء الذين يعنيهم الأمر من أعضاء المجلس قبل عرض أى موضوع هام ، لأستفيد من مناقشتهم لما أعرضه قبل وضع تقريرى النهائى ، ولتكون المناقشة أكثر جدوى خلال اجتماع المجلس .

وفى اجتماعى بهذا الوزير فى مكتبى أبدى ارتياحا ، بل وحماسا ،

لما عرضته عليه من أفكار ، ثم فوجئت فى اجتماع المجلس بأنه المعارض الوحيد ، وبشدة . من بين من تحدثت اليهم من الزملاء !

أما لماذا تصرف على هذا الحو ، ولماذا لم يدل الى بما أدلى به فى المجلس من أراء فهذا ما لا أستطيع ان أفسره الى الآن .

ولم أناقشه فيما فعل . ولكن اكنت له فيما بعد تصرفات أكثر غرابة .

كان لنا اجتماع دورى يعقد فى شهر سبتمبر قبل بدء العام الجامعى بقليل نتدارس فيه الأحوال السياسية ، وانعكاساتها على شباب الجامعة . وكان الاجتماع يضم الوزراء الجامعيين ، (أى الذين كانوا أساتذة بالجامعات) وبعض المسئولين عن التوجيه السياسى فى هذه الفترة وكانوا شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف . ودار الحديث حول تحليل الموقف السياسى ، شاملا النشاط السياسى للطلاب ، ولما جاء دور الزميل الأستاذ الجامعى قال أن هناك بعض الأساتذة وخاصة فى الدراسات الانسانية يؤثرون على الطلاب سياسيا من خلال محاضراتهم ، ويوجهونهم بطريق مباشر ضد النظام القائم ، وعلى حد تعبيره « يدسون لهم السم فى العسل » . والى هنا كان النقد يمكن أن يكون مقبولا . ثم أضاف رأيا اعتبرته خيانة ، لا للجامعة فحسب ، بل للوطن كله . اذ قال الوزير الجامعى « كان الواجب أن الحركة التى اجريت فى القضاء (يقصد حركة التطهير التى كان أداتها السيد

مصطفى كامل اسماعيل وزير العدل) تتبعها حركة مشابهة فى الجامعات !!

وصدمت لدى سماعى هذا الراى من أستاذ جامعى سـابق . وعلقت على هذا الكلام غير المستساغ بكلام كثير عن معنى الجامعة ومعنى الحركة الأكاديمية بالجامعة ، وعن وسائل الحوار مع أساتذة الجامعة ، واختتمت تعليقى بما معناه انه يستطيع أن يتفضل بتحمل مسئولية وزارة التعليم العالى ، ويقترح ما يشاء من اجراءات .

ولم يرد الوزير الزميل ، ولم يعلق . وحدث وجوم فى اللجنـة ، ولم يعلق أحد على المناقشة لا من الوزراء الجامعيين ولا من السياسيين الحاضرين . وانتهى الاجتماع وبقيت الجامعة بسلام .

يشهد على هذه الواقعة الدكتور محمد حافظ غانم ، وكان وزيرا التربية والتعليم ، وكان حاضرا هذا الاجتماع بطبيعة الحال . وقد أكدت له استنكارى لما حدث مرة أخرى ونحن نغادر قاعة الاجتماع .

هل كان الوزير الأستاذ الجامعى مخلب قط لاختبار رد الفعـل لمثل هذا الاجراء ؟

هل كان فعلا يعبر عن رأيه هو ؟ هل كان « بالون اختبار » أطلقه المسئولون السياسيون واكتفوا بمشاهدة رد الفعل لأ لا أدرى .. لكن النتيجة أن سلمت الجامعة وسلمت الحرية الأكاديمية .

ولتتم مأساة هذا الزميل الوزير المشار اليه ، فقد شاءت الظروف أن التقى به مصادفة فى منزل صديق لى بعد وفاة عبد الناصر، وبعد أن ترك الوزارة . وعجبت مرة أخرى عندما سمعت منه نقدا لاذعا للمسئولين السياسيين ــ الذين حضروا الاجتماع الذى هاجم فيه أساتذة الجامعة ــ دون الاشارة الى موضوع الاجتماع بطبيعة الحال ، وقوله انهم (كانوا حيفرقوه) على حد تعبيره !

طريقة تعيين وزير :

تعودت بدء العمل فى مكتب وزارة التعليم العالى فى التاسعة من صباح كل يوم . وفى صباح أحد الأيام ــ فى شهر فبراير من عام ١٩٦٩، على ما أذكر ــ دق جرس التليفون لحظة دخولى المكتب ، واذا بالسيد محمد أحمد على الطرف الآخر يدعونى لمحادثة الرئيس .

وبعد التحية المعتادة قال عبد الناصر : انت عارف أن الدكتور عبد الوهاب شكرى وزير الصحة لم تعد صحته تساعده على أعباء العمل. وقد استقال . وأنا عاوزك ترشح لى وزير للصحة .

قلت له : « أنا تحت أمرك » .

فقال : « لا ، ونعمل ايه فى التعليم العالى ؟ أنا عاوز تختار لى وزير كده .

شكرت الرئيس لحسن ظنه ، ووعدت بالدراسة . فطلب الى الرد خلال يومين .

كانت مهمة شاقة . لكن آليت على نفسى أن أكون موضوعيا ، وأمسكن باالورقة والقلم ، وكتبت أسماء أربعة من الزملاء الأطباء . وأمام كل اسم وضعت درجة من عشرين لخمس خصائص : منها السن والصحة العامة والقدرة على التعامل مع الغير والدراية بالمشاكل الصحية . وكانت النتيجة ترتيب الأسماء تنازليا طبقا لمجموع ما حصل عليه كل منهم من درجات .

وكان الترتيب كما يلى :

١ ـ الدكتور عبده محمود سلام .

٢ ـ الدكتور أحمد السيد درويش .

٣ ـ الدكتور محمد ناجى المحلاوى .

٤ ـ الدكتور أحمد كامل مازن .

وعرضت هذه النتيجة على الرئيس فى لقاء لاحق بعد بضعة أيام ،

فأعجبته الطريقة . وقال : أيوه صحيح .. « الدكتور عبده سلام اشتغل معانا كثير فى مجلس الخدمات الصحية ، وكان له دور كبير فى موضوع الأدوية » .

وقد كان واختار عبد الناصر الدكتور سلام اوزارة الصحة .

وكان الوزير التالى بعد وفاة عبد الناصر هو الدكتور أحمد السيد درويش . أما الدكتور ناجى المحلاوى فهو الآن رئيس جامعة عين شمس، والدكتور أحمد كامل مازن هو الآن الوكيل الأول لوزارة الصحة .

والزملاء الأربعة تربطنى بهم علاقات صداقة وثيقة . ولا أظنهم يعرفون شيئا عن هذا الموضوع ، او لعلى ذكرت بعد ذلك بعد أعوام لصديقى الدكتور مازن .

غضب وزير المخابرات !

فى شهر سبتمبر فى عام ١٩٦٩ ، وبعد مضى عام عى وجودى وزيرا للتعليم العالى ورئيسا للمجلس الأعلى للجامعات ، وعملى عن قرب مع القيادات العليا بالجامعات .. أصبح من الضرورى اجراء بعض التعديلات ، ودعم بعض مراكز العمل فى الجامعة .

وعرضت الأمر على الرئيس عبد الناصر ، فكان رأيه انى أنا المسئول أمامه عن الجامعات وعن التعليم العالى ، وبالتالى فهو يترك لى الحرية المطلقة فى اختيار قيادات العمل فى هذه المواقع الهامة ، وقال لى بالحرف الواحد « ابعت لى الترشيحات اللى انت عاوزها ، وانا موافق عليها مقدما . فأنت المسئول عن هذا العمل » .

أذكر ذلك لأن كثيرا من الناس يتقولون عن تدخل عبـد الناصر في كل صغيرة وكبيرة ، وانه كان يسيطر على من يعمل معه ، ولا يترك له حرية الحركة وحرية الفكر والمناقشة . وأقرر ــ والرجل ليس بيننا الآن ان هذا كله محض افتراء فلم أر منه أبدا فى مناقشاتى أو لقـاءاتى معه الا كل اذن صاغية وواعية ، ولم أجد منه أبدا الا كل دعم لما هو جـاد ومفيد .

الا انى تذكرت ، بعد أن ترك لى الأمر فى هذه الترشـيـحات أن اسلوب اصدار القرار الجمهورى بشغل هذه المناصب القيادية يسير فى حلقة طويلة من البحث والاستقصاء عن اسماء المرشحين ، مما قد يخرج بها عن نطاق السرية وربما مس بعض أساتذة الجامعات بشائعات ليست حقيقية .. فما كان منه الا أن قـال : « أبعض مشروعات القـرارات الجمهورية الى مكتبى رسا ونا اوقعها » .

بعد هذا الدعم الأدبى كان على أن ادقق كثيرا فى الاختيار . وقمت باستشارة كبار المعاونين لى . وقمنا بمراجعة شاملة لما لدينا من بيانات عن القيادات الجامعية الصالحة لشغل مناصب مديرى ووكلاء وأمنـاء الجامعات . وكنا فى اختيارنا موضوعين الى أقصى حد ممكن ، فلم نكن نترك الأستاذ الأقدم الا اذا كنا نعتقد من سابق علمه بأدائه فى الجامعة انه لا يستطيع التصدى لهذه المهام .

وكان أن انتهينا من هذه الترشيحات ، واكنت تشـمل مناصبه

المديرين والوكلاء والأمناء فى الجامعات كلها تقريبا ، وأرسلت الى مكتب الرئيس ، فجاء الرد مساء اليوم نفسه « الرئيس اطلع على الترشيحات وهو يوافق عليها جميعا ، ويطلب اليك اخطار أصحابها » .

ولكن ..

وقبل أن أستدعى أصحاب هذه الترشيحات لابلاغهم بها ، اتصل بى فى مكتبى الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، وسألنى عمن سيتولى لتلك المناصب الرئيسية والهامة لينشر الخبر غدا فى فى « الأهرام » ، فأخبرته انه لا يمكننى افادته قبل اعلام المرشحين انفسهم فقل : على الأقل مدير جامعة ومدير جامعة عين شمس . أنت تعلم انى أريد ألا يسبقنى حد !

فوعدته أن اتصل به مساء نفس اليوم ، عند الظهر . وقد كان المرشحان لهذين المنصبين هما الأستاذ الدكتور جابر جاد عبد الرحمن مديرا لجامعة القاهرة ، وكان أقدم عمدائها : والأستاذ الدكتور يوسف صلاح الدأن قطب مديرا لجامعة عين شمس . وكان وكيلا لها .

وفى اليوم التالى قابلت باقى المرشحين من وكلاء الجامعات وأمنائها ونشرت أسماؤهم تباعا بعد ذلك .

الا انه حدث ما لم يكن فى حسابى اطلاقا .. فان هذا الأسلوب العملى والسريع لم يصادف قبولا الدى وزير الدولة لشئون مجلس

الوزراء . وكان السيد أمين هويدى الذى كان مسئولا فعلا عن العلاقات بين الوزارات ورئاسة الجمهورية ، وكان ، المفروض أن ترسل مشروعات القرارات اليه ليتخذ الاجراءات اللازمة ويعرضها على السيد رئيس الجمهورية . الا انه لم يكن على علم بما دار بينى وبين الرئيس فى هذا الصدد . واعتبر ما اتخذته من اجراءات تجاوزا له وتعديا على اختصاصه .

والحقيقة انى لم أقصد أى اساءة او تجاوز ، ولكنى كنت اعلم ان ارسالها للسيد أمين هويدي . وكان أيضا مسئولا عن جهاز المخابرات العامة ، معناه ضياع وقت طويل فى البحث والتقصى عن هذه الترشيحات ولم أشأ كما ذكرت ان أعرض اساتذة الجامعات لهذا الأسلوب من البحث والاستقصاء .

أخذت على عاتقى مهمة اصلاح ذات البين بينى وبين السيد أمين هويدى . فقد كنت حريصا على سلامة علاقتى مع كل الزملاء فى مجلس الوزراء وأوضحت له أن الأسلوب الذى اتبعته كان بناء على تفاهم تام مع الرئيس شخصيا ، وللأسباب التى أوضحتها .

ومرت هذه الأزمة بسلام .

وكم أسعدنى فيما بعد ، وأنا الآن خارج الوزارة ، ان ارى من رشحوا وكلاء للجامعات طبقا لهذا الأسلوب عينوا فيما بعد (وبعد تركى

الوزارة) رؤساء لهذه الجامعات .. بعد أن خلت هـــذه المناصب من شاغليها . مما يؤكد موضوعية الاختيار السابق .

اللقاء السابق :

كان موعدى مع الرئيس الراحل ظهر يوم الأربعـاء ٩ ســبتمبر سنة ١٩٧٠ .

وكنت قد تعودت طلب مثل هذا الاجتماع كلما تراكم لدى عدد من الموضوعات الهامة التى تمس سياسة التعليم العالى . ناقشتها ودراستها وطلب عرضها على مجلس الوزراء ، اذا لزم الأمر .

وكان اجتماع سبتمبر هاما بالنسبة لعملى . فهو يسبق بدء العام الدراسى بالجامعات والمعاهد العالية .

اتصل بمكتبى الرئيس قبل الاجتماع . وأبلغنى تأجيل الموعد الى ظهر الخميس . أى فى اليوم التالى ــ واحب ان أذكر هذه التفاصيل . لأن هذا الاجتماع كان الأخير قبل وفاه عبد الناصر . وقبل تفجير الأزمة بين الملك حسين والفدائيين .. التى أعتقد انها كانت السبب المباشر فى الأزمة القلبية التى أنهت حياة الرئيس نتيجة الاجهاد والارهاق والانفعال .

وصلت الى مكتب الرئيس بمنزله بمنشية البكرى فى الساعة الواحدة

ظهرا ، وكان المنزل خاليا الا من الرئيس . وكان الجو فى المنزل حارا .
ودخل الرئيس بملابسه البسيطة ـ القميص والبنطلون ـ ولاحظت
حبات العرق على جبينه ، فتحركت حاستى الطبية وسألت عن صحته
وعن سبب ايقاف أجهزة التكييف والجو اليوم حار . فقال « أنا اللى قلت
لهم يقفلوا التكييف لأن عندى برد وزورى واجعنى » .

فسألت الرئيس : هل استدعيت الدكتور على المفتى ؟ (وكان
طبيبه الخاص فى مثل هذه المسائل) . فقال : لا . أخذت حقنة ريفرين »
وبكره ابقى عال .

فأبديت دهشتى وقلت : ريفرين علشان شوية التهاب فى الزور ؟
ده دواء قوى جدا نلجأ اليه فى الحالات الشديدة ، يا ترى مين اللى وصفه؟

فرد قائلا : مفيش حد ، أنا اللى قلت كده علشان أخف بسرعة
أصل انا وحدى فى البيت . وكنت عاوز أسافر الاسكندرية اليوم ،
الخميس ، ويمكن أخذ أسبوعين اجازة لأنى ما اخدتش اجازة ابدا السنة
دى والأولاد فى الاسكندرية . ولى مدة مشفتش عبد الحميد اللى فى
البحرية (نجل الرئيس) .. المرة الماضية رحت الاسكندرية وكان
المفروض عبد الحميد يخرج يوم الخميس قبل عودتى للقاهرة ، ولكنه
تأخر وسافرت من الاسكندرية من غير ما أشوفه .. وهذا هو السبب
أن ميعادك كان الأربعاء علشان أسافر النهاردة . لكن حأجل السفر شوية
لما زوررى يرتاح .

ولكن الرئيس لم يأخذ هذه الأجازة . فبعد سفره الى مرسى مطروح مباشرة بدأت أزمة المقاومة الفلسطينية مع الملك حسين . وعاد الى القاهرة . وباقى القصة الى وفاته معروفة للجميع .

وخلال هذا اللقاء اختصرت فيما أردت أن أعرضه اشفاقا عليه . ولكنه كان صبورا كالعادة ، حتى انى عرضت عليه مشروعات يدر على الجامعات دخلا اضافيا لمقابلة بعض المصروفات الاستثمارية ، يتلخص فى هدم وبيع المبانى القديمة فى كل جامعة واستغلال فوائدها فى انشاء الأقسام الجديدة المطلوبة . فوافق على الفكرة وطلب منى اعداد مشروع القرار الجمهورى اللازم . فأخبرته انه معد وسوف أرسله الى مكتبه فى الصباح الباكر ، فسألنى :

ـ هو المشروع جاهز معاك ؟

فلما أجبت بالايجاب قال :

ـ يا شيخ هات القلم نمضيه ، حد عارف بكره فيه ايه ؟

ووقع المشروع وفعلا لم نكن نعلم « بكره فيه ايه » !

النهاية





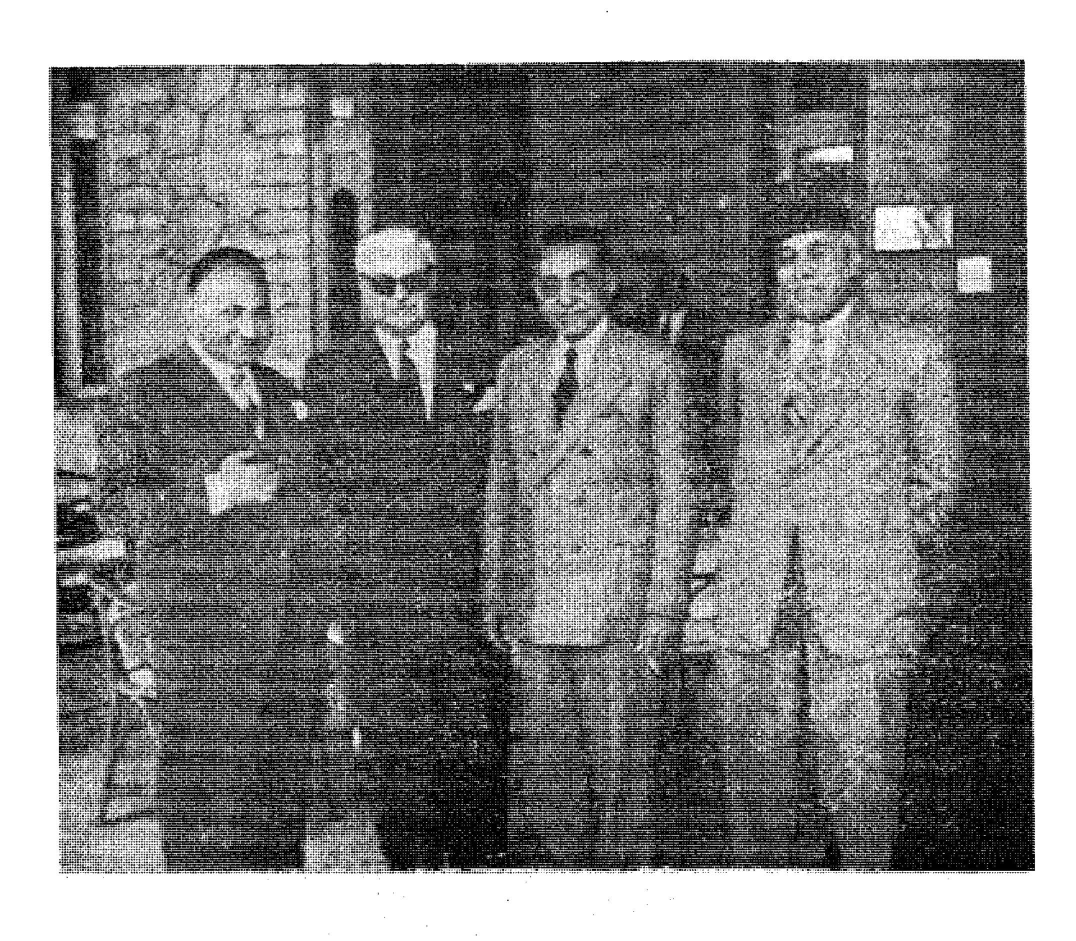
كان جواد حسني فتى ولا كل الفتيان .. ذهب إلى بور سعيد فى حرب ٥٦ ودفع بدمه ثمن تطهير سمعة اسم مصر وفدائية مصر .. وهذه صورة من حفلة تأبين .. وقف فتحي رضوان الوزير يؤبن الشهيد . والى جانبه على زين العابدين ووالد الشهيد .



مع جلالة الملك حسين .



فتحى رضوان وزير الاذاعة وحوله المهندسان مصطفى عامر والجارحى القشلان فى افتتاح أول محطة ارسال تنشئها الثورة .



فى مستهل أيام الثورة .. سعت السلطة الجديدة ممثلة فى سليمان حافظ وفتحى رضوان
سعت السلطة الممثلة فيهما إلى نقابة الصحفيين . ونراهما على بابها ومعهما الصحفى الكبير
حسين أبو الفتح الذى كان فيما بعد هو وآل أبو الفتح من ضحايا الثورة . والصحفى
ذى الطابع الخاص مصطفى القشاشى سكرتير عام النقابة وقتها .

● كتب ومؤلفات تحت الطبع

● بقلم ضـــياء الدين بيبرس

*** التاريخ السرى للنكتة السياسية فى مصر :**

دراسة شاملة تجمع بين الجدية والجاذبية والمنهج العلمى للنكتة السياسية فى مصر ، بكل أسرارها وأصـولها وجـــذورها ، مع تركيز هائل ودقيق على النكتة السياسية التى راجت فى مصر ابتداء من ميلاد ثورة ٢٣ يوليو حتى هـــذه اللحظة .. والكتـــاب ليس فقط حصرا للفكاهات التى يتداولها المصريون منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى اليـــوم ـ وهذا فى حد ذاته عمل هام ـ وانمـا الى جانب ذلك وفوق ذلك هو يقدم تأصيلا لهذه النكت ، وشرحـــا لأهم الأسرار السياســـية التى اكتشفتها واحاطت بها .. فهو كتاب اخبارى سياسى تحليلى جذاب .. ستكون مادته مفاجأة بمعنى الكلمة ..

* عبد الناصر والسادات فى الميزان :

مقارنة صريحة ومباشرة واخبارية وموضـــوعية ومتجردة بين شخصيتى وأسـلوبى وعهدى وســـياستى ومزاجى الرئيســين عبد الناصر والسادات .. فى كتاب من ذلك النــوع الذى ينبغى فيه على مؤلفه أما ان يكتب كلاما جديدا ومفيدا وصادقا واما ان يغلق فمه .. وقد اختار ضياء الدين بيبرس أن يكتب كلاما مفيــدا وصــادقا فى دراســة حافلة بالأسرار والأخبـار سوف تعد من أكثر ما ظهر عن تاريخ مصر المعاصر صراحة وغرابة واثارة .

* ضاحكون حتى الدموع :

أسرار السياسة والصحافة والمجتمع فى مصر فى خلال الخمسين سنة الأخيرة .. من خلال ودراســات مفصلة عن عشرة من كبــار الرسامين الكاريكاتوريين فى مصر .. مع نماذج تاريخيــة معاصرة من الرسوم الكاريكاتورية في مصر والعالم .

* الوقوف فى الممنوع :

فى أواخر عام ١٩٥٩ عقد المغفور له صلاح سالم ما يشبه المحاكمة او المواجهة لضياء الدين بيبرس فى ندوة بمكتب المرحوم كامل الشناوى حضرها المرحوم ابراهيم نوار وسعد الدين وهبة ومحمد عبد الجواد (رئيس مجلس ادارة وكالة أنباء الشرق الأوسط) والمرحوم عميد الامام وعبد العزيز عبد الله (مدير تحرير الجمهورية) وايزيس فهمى (محررة ديبلوماسية بالجمهورية) .. واستهل صلاح سالم هذه المحاكمة قائلا لضياء الدين بيبرس : انا اعرض عليك أمام هؤلاء الزملاء مبلغ الفى جنيه مصرى لكى تكتب جريدة الجمهورية مذكراتك .

ولكى نعرف غرابة ذلك العرض . نقول أن ضياء وقتها كان مجرد صحفى حديث العهد بدخول الصحافة ، فما الذى جعل صلاح سالم يعرض عليه هذا المبلغ ــ بجنيهات ذلك الزمان ــ لكى يكتب مذكراته ؟ ثم ماذا أضاف الزمان الى ما يستطيع أن يكتبه منذ عام ١٩٥٩ حتى الآن ؟

هذا ما سيقدمه كتاب « الوقوف فى الممنوع » بين دفتيه فى كتاب سيثير مزيدا من المتاعب والزوابع حول كاتبه .. فهو كتاب سيكون مزيجا من الذكريات والاعترافات والأسرار والأحداث الخطيرة الحقيقية بأسماء أبطالها وبلا رتوش . وسيكون تشريحا دقيقا لقطاع عريض من المجتمع

يضم صناع السـياسة والأخبار ونجوم المجتمع وصنـعاليكه وكواليس الصحافة والثقافة والفنون بقنواتها المختلفة من مسرح واذاعة وسينما وتليفزيون ..

*** خليج البترول فوق بركان :**

كتاب قنبلة . ولا نزيد !

*** اسرار مصرية :**

نظرة من ثقب المفتاح على اهم واخطـر ما فى مذكـرات بعض الشخصيات السياسية والعسكرية المعاصرة قبل ثورة ٢٣ يوليو (مثـل على ماهر باشا والنحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشـا) .. ثم بعد ثورة ٢٣ يوليو (مثل الباقورى وصلاح الشاهد وجمال القاضى وآخرين) .

* أوروبا كما لا يراها الآخرون

والكتاب واضح من عنوانه !

* محاكمة جمال عبد الناصر :

كيف ومتى وأين ولماذا انعقدت هذه المحاكمة ! ومن الذى رأس المحكمة ومن الذى أقام الدعوى ومن الذى شهد بالحق ومن الذى شهد بالباطل ومن الذى ترافع ومن الذى جلس فى مقاعد المتفرجين !

ومتى وكيف وأين صدر الحكم ؟ ولماذا ؟

وما هو منطوق الحكم ؟

وما هى حيثياته ؟

دراسة جادة ، شاملة ، جذابة ، حافلة ، بالأسرار والأخبار .

* أحمد بهاء الدين .. الشيخ ، والطريقة

ليس تاريخ أحمد بهاء الدين ، وليس دراسة لفكرة ، وانما دراسة للمناخ الصحفى والسياسى والانسانى الذى أحاط بظهوره ، واثر وتأثر فيه ، وتفاعل به ومعه ..

ولأن الكاتب صحفى ، ولأن المكتوب عنه صحفى ، فمن الطبيعى أن يحفل الكتاب بأسرار وتحليلات سياسية وصحفية بعضها يذاع لأول مرة ، وبعضها يكتب على وجهه الصحيح . .

* الكتابة الثانية لقصة هيكل

فى مارس ١٩٧٤ ، فى أعقاب رفع الرقابة عن الصحف ، واعفاء محمد حسنين هيكل من منصبه فى الأهرام وغضب السلطة عليه ، كتب ضياء الدين بيبرس فى خلال سبعة أيام متتالية ــ بمعدل ١٨ ساعة عمل كل يوم ــ كتابا بعنوان « هوامش على قصة محمد حسنين هيكل » . وظهر الكتاب بعد عدة أسابيع . وحقق رواجا لم يسبق له مثيل فى العالم العربى . . بل ان رواجه جاوز رواج كتب هيكل نفسها . وقالت بعض مراكز الرصد فى بيروت أن كتاب ضياء الدين بيبرس عن هيكل يعد أكثر الكتب السياسية رواجا فى العالم العربى فى السنين العشرين الأخيرة ، باستثناء كتاب « لعبة الأمم » ، وعلى الرغم من حظر دخوله فى خمس دول عربية !! . .

وقد كان بقاء ضياء الدين بيبرس آمنا على حياته ومكانه فى الصحافة المصرية بعد ظهور هذا الكتاب دليلا لا ينقض على أن السادات كان ولا يزال صدقا مع نفسه الى درجة الشرف حين أعلن عن حرية

الكلمة . وما من انسان قرأ هذا الكتب ــ وبخاصــــة داخـــل مصر ــ الا وبصم بالأصابع العشر على أن حرية الكاتب فى مصر آمنة الى اقصى الحدود ، حتى وان تجاوز هو الحدود فى بعض الأحيـــان ، ذلك أن الكتاب ينصف هيكل ، ويتحدث عنه بأســـلوب من يقف موقف الحيـاد بين هيكل والنظام فى مصر . بل ان كاتبا سياسيا ذا تاريخ فى مصر مثل احمد أبو الفتح قال لمؤلفه : انك جعلت من هيكـل الها صــــغيرا .. وأنا لا أرتضى هذا المنهج .. بينما قال خالد محيى الدين لمؤلفه فى حضور عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ : انه لم يستطع أن ينتزع نفسه من قراءة الكتاب من اللحظة التى قرأ فيها الصـــفحة الأولى حتى انتهى منه فى ليلة واحدة . وانه ــ اى خالد محيى الدين ــ نادرا ما أعجب واحترم أسلوب عرض لكتاب حديث مثلما أعجب واحترم أســـــلوب المؤلف رغم اختلافه ــ اختلاف خـــالد ــ مع المؤلف فى نصف المعلومات السياسية الواردة فى الكتاب .. وفى كل ما زعمـــه المؤلف ــ وتعبير الزعم طبعا على لسان خالد محيى الدين ــ من أن مصر كانت واقعة تحت السيطرة الشيوعية فى فترة معينة من الستينيات ..!

اما هيكل نفسه فلم يعلق بكلمة على الكتاب .. وان كان هنـــاك قليلون من صدقوا أن ضياء لم ير هيكل ولم يتقابل معه منـــذ ١٩٥٩ حتى الآن !!

ولم تكتب كلمة واحدة عن الكتاب مدحا أو قدحــا فى مصر .. وانما كتبت عنه مئات المقالات هجوما ودفاعا فى دول اخرى سمح فيها

بتداوله علنا . وقد أصيب الذين اقتنوه فى مصر بشىء يشبه الصدمة الفعلية من فرط الدهشة التى انتابتهم لصراحة ضياء الدين بيبرس مفزعة فى كل ما كتبه بين دفتى ذلك الكتاب ..

الآن يعيد ضياء كتابه ذلك الكتاب من جديد بعنوان : « الكتابة الثانية لقصة هيكل » .. وواضح ان الأمر ليس مجرد اصدار طبعة جديدة من ذلك الكتاب (ملحوظة : طبع الناشر اللبنانى منه سبع طبعات ولم يعترف للمؤلف الا بطبعتين !!) .. وانما الأمر هذه المرة مقصود به اعادة الكتابة من جديد بكل ما تعنيه اعادة الكتابة من معنى يميزها عن مجرد الاضافة والتنقيح هنا وهناك .. باختصار سيكون الكتاب الجديد مفاجأة جديدة تضاف الى المفاجأة التى أحدثها ظهور كتاب هوامش على قصة محمد حسنين هيكل » ..

مطبعة المعرفة